

العنوان عن تاريخ عمان

تأليف

الشيخ العلامة المؤرخ النسابة الفقيه القاضي أبي محمد

سالم بن حمود بن شامس

السيابي العماني



مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

سلطنة عمان

العنوان

عن تاريخ عمان

تأليف

الشيخ العلامة المؤرخ النسابة الفقيه القاضي أبي محمد

سالم بن حمود بن شامس

السيابي العماني



الطبعة الثانية

١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م

نشر وتوزيع

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

هاتف: ٠٠٩٦٨٩٦٤٤٦٦٩

t.k.aldhamri@gmail.com

ص ب: ٢ السيب - الرمز البريدي: ١٢١ سلطنة عمان



مقدمة الناشر

الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام، وجعلنا من أهل عُمان، والصلاة والسلام على خير الأنام وبدر التمام محمد ﷺ.

وبعد.

يشرفني أن أقدم هذا الكتاب القيم العنوان عن **تاريخ عُمان** للشيخ العلامة المؤرخ سالم بن حمود السيابي رحمه الله وهو كتاب ذا قيمة تاريخية لعُمان والمنطقة العربية برمتها.

وعليه فإن هذا الكتاب يعد من أهم الكتب التاريخية العُمانية، نقدمه للقارئ ليعرف ويتعرف على المكانة العُمانية قديماً.

والله الموفق لكل خير.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل عُمان من أعظم الأقطار الإسلامية العامرة، وجعل أهلها من العروبة في صميم الأمم القحطانية والعدنانية الباهرة، والصلاة والسلام على الشاهد الصادق في العنصر البشري بآياته القاهرة، سيدنا صفوة الله عز وجل، دعوته في الأولى وحجته في الآخرة، محمد المصطفى من الأصلاب العدنانية الطاهرة، وعلى آله أنجم الحق، وأصحابه هداة الحق، الدعاة إلى معارفه الزاهرة.

أمَّا بعد فهذه كلمة وجيزة، تعرب عن أحوال عُمان العزيزة، كنموذج لتاريخنا العام، وسيرتنا في قطرنا المشار إليه برؤوس الأقلام. نقدمها عنواناً لمحبي الاطلاع على التاريخ في البيئة الحاضرة، مقدمة إلى أهل الذوق الذين يرومون الوقوف على حقائق التاريخ العُماني.

نسأل الله توفيقه لرضاه، وهدايته لتقواه، وعونه على كل شيء قصدناه، مما يحبه الله ويرضاه.

وإني إذ أقول ما أقوله عن عُمان، في هذا العنوان، وفي غيره من البيان، أقوله تعبيراً عن الحقائق، وتحريراً للوثائق، وإعلاماً للأمم العربية التي طالما سمعنا بجهلها لعُمان، وكشفاً لما في الزاوية الشرقية من الجزيرة العربية، من فخر للعرب عامة، ومن شرف للإسلام أيضاً.

حدود الوطن العربي العام

قال القطب رحمه الله : حدود الوطن العربي، من خليج فارس وولاية ديار بكر شرقاً، حتى بحر الظلمات غرباً، ومن جبال طوروس شمالاً، حتى إفريقية الوسطى جنوباً.

وتشمل الأقطار التي يتفاهم أهلها اللغة العربية، ويتكلمون بها، ويتلقون ثقافة عربية، وينشدون مثلاً أعلى مشتركاً، العراق، ونجد، واليمن، والحجاز، وسورية، ولبنان، وشرقي الأردن، وفلسطين، والكويت، والبحرين، وعُمان، وقطر، في آسيا.

يحيط بها بحر الهند، والبحر الأبيض، والبحر الأحمر، ثم دجلة

(١) لعل اقتصار المؤلف على الأقطار العربية في آسيا لكونه يخص بالحديث شبه جزيرة العرب، وإلا فيضاف إلى ذلك ما في أفريقية: مصر، والسودان، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا... الخ.

عُمان

عُمان اسم لمملكة متعددة الإمارات، كثيرة الزعامات، في هذا الوقت الذي نحن فيه، واسعة الأرجاء، ظاهرة المعالم.

تقع في شرق الجزيرة العربية، فهي النافذة التي تطل على البحر الهندي من الجنوب، والإقليم الفارسي من الشرق، والبحرين وما إليها من الجهة الشمالية.

سميت بعُمان بن قحطان، فغلب عليها وعرفت به، وكانت لها أسماء في عرف الأمم البايدة، لازالت تذكر في التاريخ القديم.

حدود عُمان

من الجهة الجنوبية الحدود الظفارية، ومن الجهة الغربية رمل بينونة، ومن الجهة الشمالية حدود قطر، ومن الجهة الشرقية بحر الهند. لا يمتري في هذا المؤرخون جاهلية وإسلاماً، كما جاء في الخرائط الجغرافية.

وإن رأى راءٍ غير ذلك فقد أخطأ، ولا عبرة بتجزئة هذه البلاد بالدويلات الحالية، والإمارات الخليجية، إبّان تفرق الممالك إلى ملوك وزعماء، فذلك لا يغيّر من أصل وضع التاريخ الطبيعي، والتاريخ نفسه شاهد بذلك.

وقد عرف قديماً أن عُمان والبحرين مصر واحد، والمراد بالبحرين الأحساء، واشتهر عند الفقهاء ذلك، فنبهوا عليه في آثارهم أن إقامة الجمعة بصحار يقضي بسقوطها عن البحرين، على القول أن الجمعة لا تتعدد في المصر. ومن كلام ابن مقرب العيوني يقول:

وجازت جزى البحرين عيسى وأصبحت عُمانية واستسهلتها سواحله

قال الشارح، ويعني بالسواحل سواحل البحرين من عُمان. أي إن البحرين من عُمان، وسواحلها هي سواحل عُمان، وهذا من موضوع التأريخ العُماني، لا من عنوانه. فهي في شرق الجزيرة العربية، أي منتهى شبه الجزيرة من هذه الناحية لا تحتاج إلى تعريف. كما تداول تعريفها المطلعون على ذلك من الإسلاميين وغيرهم، وبالخصوص الكتاب العصريون الذين يشيدون قصور التاريخ، وينظمون دول المعارف، في هذا القسم العربي المجيد، الذي مازال ولا يزال قطراً عربياً عريقاً، ومسرحاً حراً، في العهد المشرق بإمامته الشرعية، وأحكامه المرعية، ودوله الإسلامية، بملوك لم يزل التاريخ يذكر زعاماتهم، وينوه القرآن بهم في أجلى آياته، مشيراً إلى ما هم عليه من قوة السلطان، جاهلية وإسلاماً.

فليس لبلد عربي في شرق الجزيرة ما لعُمان في جميع الأحوال، ففي عُمان كرم لا يقاس عليه، وأخلاق طيبة نزيهة، وعواطف صادقة شريفة، في مطلق العرب العُماني. ولقد امتازت عُمان حتى في حيواناتها، فضلاً عن بني إنسانها، في عوامها وأعيانها. ولا يخفى أن الله خصها بهذا لدعوة رسول الله ﷺ لها، حتى في خفها وظلفها وحافرها، وفي صيدها اللؤلؤي، وسمكها

البحري، وغرسها النباتي، ومعادنها التي لها الشأن قديماً، كالنحاس والذهب والفضة وغيرها.

مساحة عُمان

اعلم أن مساحة عُمان يقدرِّها أهل الاطلاع من هذا الجيل، بمساحة بريطانيا أو تزيد عليها. وباعتبار الفراسخ ستون فرسخاً من كل جهة. وباعتبار قطع السيارات لها في ثلاثة أيام، بأرض غير مضروربة حسب الوضع العصري.

ولا يخفى أن قطر تبعد عن مسقط وصور وجعلان مثل ذلك، أو أكثر منه، وكذلك الحدود العربية من الربع الخالي. ومن رمل بينونة إلى الدقم، لا يقل عن اعتبارنا المذكور.

وواقعها ما قرب البحر، سهول ورمال. وما تباعد منه، حزون وجبال. ذات ريف متسع، ومناخ متضع، ومراع كافية وافية، وأنهار جارية.

عدد أهل عُمان

ليس في عُمان إحصاء رسمي سنوي يعتمد عليه، فنأخذ عنه تحقيق هذا الصدد، وحسبنا حزر الزعيم الباروني رحمه الله أيام تجولاته بعُمان، فإنه يقدر في عُمان من ظفار إلى قطر خمسة ملايين، إذ قال: وبعُمان مليون ونصف رجال مسلحون. فبالنظر إلى غير المسلحين، وإلى الأطفال والنساء ونحوهم، لا يقلون عن هذا العدد.

وقد مر على عُمان عهد ومحلة واحدة من نزوى فقط تدعى سعال، بلغ سكانها أربعة عشر ألفاً. وعسكرها أي جيشها الخاص، أيام الإمام المهنا بن جيفر، أربعون ألفاً أهل الخيل والإبل. فليس بقعة من الساحل العُماني أو الداخل، إلا وهي غاصة بأمة في ذلك العهد، ولا يخفى على ذي الفكر الحي ذلك.

في أيامِ اليعاربة بلغ جيش عُمان فوق ذلك، أي مائة ألف جندي أهل الخيل، فضلاً عن غيرهم. وهي أمة بادت بعدما أخذت عهوداً عديدة بعُمان، كالسومريين، والكلدانيين، والعاديين، والفينيقيين، والآشوريين، والبابليين، ثم الفارسيين، ثم القحطانيين، ثم الفرس الأخيرة الكسروية، ثم العماليق. كل هذه الأمم سكنت عُمان عهوداً حتى انتهى دورها.

وتلك سنة الله في عباده. وفي ذلك لأهل العقول معتبر، والتاريخ واعظ صادق، ومحدث موثوق.

فسبحان من له الأمر كله، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

ذكر أمم عُمان

اعلم أن عُمان تبادلتها أمم متعددة، في أجيال واسعة، وهي أي أمم عُمان أكثريتها الأصلية عرب كلهم خلَّص، إلا بعض الجاليات من أمم الهند كالهندوس المعروفين بالبانيان في هذه العهود الأخيرة، وكذلك بعض الشيعة الحيدر بادية والبحارنة الذين حدثوا بعُمان من عهد غير بعيد، وبعض الأمم البلوجستانية، التي كانت تستعملها الدول العُمانية أو الغزاة لعُمان، ثم تبقى منهم بقايا في عُمان كمواطنين عريقين، ويعرفون في عُمان باسم البلوش.

المقاطعات العُمانية

المقاطعات العُمانية معروفة عند الكاتبين عن عُمان، وأهل العلم بها يعلمون معالمها، وإليكما على وجه الإجمال.

جعلان

جعلان في الجانب الشرقي من عُمان. واحة كبيرة، ومقاطعة واسعة، تحيط بها قبائل جامعة، كبني بو علي، والحبوس، وبني راسب، والهشم، والجنبة، وطوائف أخرى، في أماكن واسعة، من الرويس حتى رأس الحد في الساحل الشرقي الجنوبي، وفي الداخل إلى حدود بدية، ووادي بني خالد، وصور.

الشرقية حسب العرف العُماني العام

علمٌ على ما يتاخم بدية. في الجانب الشرقي الجنوبي إلى بلدان العوامر تغريباً، إلى وادي عندام والعق شمالاً، وإلى حدود واحة الطائيين وإلى محوت جنوباً.

قسم مهم يشتمل على واحات واسعة عديدة، يكاد أن يكون ثلث عُمان تقريباً. ولا شك أن عُمان مقاطعات طويلة عريضة.

الجوف

اسم يقع على بلدان العوامر تغريباً، فيشمل أزكي وأعمالها، ونزوى وأعمالها، وبهلى وتوابعها، والحمرا وما إليها، إلى الجبل الأخضر شمالاً، وجبل الكور غرباً.

وتحده من الجهة الجنوبية أدم (بفتح الهمزة، والدال المهملة، بعدها ميم) فالرمل الجنوبي على مناجم البترول إلى الفهود.

الظاهرة

وهي محدودة بديار بني هناءة شرقاً، وديار الدروع جنوباً، وضنك غرباً، وينقل شمالاً.

وتشمل الدريز، والعينين، والعراقي، والغبي، وعبرى، والسليف، وديار البلوش، وما إليها من الأعمال، إلى تنعم.

أرض الجو

ويشملها الآن اسم البريمي

البريمي وهي تشمل ما كان من ضنك تغريباً إلى حدود أبو ظبي غرباً، ودبي شمالاً، وبلدان الحدان شرقاً.

وتحتوي على قرى كثيرة، وواحات متسعة، ومعالم عديدة، بمساحة يعرفها الآن كل أحد. وتسميها الآن الحديقة الجنة الغنا، والروضة الزهرا، لأن حفيت أصبح من جبالها حين تنظر أعين بريطانيا إلى بتروله المخزون،

وذهبه الأسود، الموقر جناح الطائرة المصفق في الأفق الأعلى، وتاج الشرف للدول في هذه العهود.

الباطنة

هي قسم مهم من عُمان فتمتد من الوُطَيَّة (بضم الواو، وفتح الطاء المهملة، على صيغة التصغير) ثغر المطرح شرقاً، سلسلة متواصلة الحلقات بعمارة متصلة، حتى رأس الخيمة شمالاً، والجبال الصخرية الكبيرة سهيلاً، والبحر يسايرها من الشرق إلى الشمال الغربي، كسور لها.

فضاء متسع، وأرض لينة الوطيء، يسير الراكب المجد فيها خمسة أيام بلياليها، بين الرياض والغياض، والبيوت والمنازل. وتقطعها السيارة في يوم كامل بجد السير، عمارة متصلة، وبيوت مصطكة، ومقامات متواصلة، يصحبها ريف صالح كاف للارتفاق، صالح للعمران، سهل هادئ، خصب طبعاً.

جبال عُمان

أهمها الجبل الأخضر، وهو المعروف قديماً بجبل اليحمد، وحديثاً بجبل بني ريام، ويقال له أيضاً: جبل الشراة، ويقال له أيضاً: رُضوى. (بضم الراء المهملة، وسكون الضاد المعجمة).

ويقع في قلب عُمان ككرسي لها، وكحوض خزان لمائها، يرتفع عن الأرض بآلاف من الأقدام والأمتار، وسنذكر أحواله في موضع غير هذا.

وأهله بنو ريام، كما جاء في العوتبي وغيره من السير. وهو أخصب الجبال العُمانية، وأعلاها ارتفاعاً، وأشدها برداً.

جبل الكور

جبل عظيم الارتفاع، شديد البرد، كرسي الصحة، عامرٌ ببني هناءة من مالك بن فهم، يحيطون به من جميع جهاته من قديم الزمان، لا تزال عمارته القديمة باقية الأثر، فهو كقطعة من الجبل الأخضر، ولكنه يقصر دونه من جهة الاستعمار بمسافات، ويقرب منه بأشياء يذكرها المطلعون، سنذكر بعضاً منها إن شاء الله، فهو أحد الحصون العُمانية الراسية.

قنه وادي السحتن

جناح طويل من أجنحة الجبل الأخضر، منفصل عنه، ممتاز بأشياء ذكرها الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري في سيرته «تبصرة المعتبرين في تاريخ العبريين»، والشيخ الزعيم الباروني أيام زيارته له، فيما كتبه عن عُمان ونشره في المجلات العالمية.

جبال الحدان

سلسلة جبال متشابكة في الجانب الغربي من عُمان. عامرة بآل الحدان بن شمس، متعددة الأحوال، متباينة الأعمال، أرسى الله بها ذلك الأفق لحكمة يعلمها هو. فهي جبال متواصلة، آخرها في الجانب الغربي وادي القور.

جبال الشحوح

هي جبال متواصلة متكدسة في شمال عُمان، أشبه بسلسلة متواصلة الحلقات، مرتبطة بعضها ببعض.

لها مسافة طويلة من قريب البريمي إلى الرأس المعروف برؤوس الجبال.

الجبال المعدنية بعُمان

حسب تقرير الجيولوجيين في هذا الأوان، بعد تفتيشهم لعُمان، واختبارهم طيات الأرض، وطبقاتها في الطول والعرض، في هذا العصر البارز بأعماله.

جبل حفيت

ويقع في ناحية البريمي. ويشاع عنه ما يبشر بمستقبل حسن لعُمان وأهل عُمان إن صدق.

فإن البترول كما يقولون: أصبح هو صاحب الجلالة، وعليه التاج الذي تسجد له العظماء. والمقبل كشاف، ولا بد للمغطى من إزالة الغطا، وفي الغيب عجائب، ولله في خلقه أسرار، وفي مخلوقاته عظيم الاعتبار.

جبل فهود

(بضم الفاء والهاء، وسكون الواو، بعدها دال مهملة)، ويقع في رمال الدروع، وفي حوزته بغير مدافع.

وقد شرع المنقبون في الذهب الأسود بالتنقيب فيه، ويقال عنه ما يقال، مما شاع في العالم الصحافي، وفعلاً تحقق الآن.

جبال حطاط

(بكسر الحاء المهملة، والطائين المهملتين بينهما ألف). وجبال حطاط هي جبال متشابكة متواصلة أصولاً وفروعاً، ويقال: إن بها أنواعاً معدنية مهمة.

وأعظم هذه الجبال الحطاطية جبل «صِيَا»، فهو جبل في نفسه بارد في هوائه جداً، لكنه لا عمران به لعدم المياه فيه. ولو كان الماءُ موجوداً به لكان أحسن شيء في فصل المصيف، أيام اشتداد الحر بعُمان.

أودية عُمان العامرة

وادي سمائل

هو أشبه بواحة جامعة، ومقاطعة واسعة. يشمل قبائل كثيرة. أخصب بلاد عُمان، كثير المياه بينابيع معروفة، وأنهار جارية، في بساتين زاهرة، وريف طيب.

والأودية في عبارة مؤرخي عُمان أعلام تكون على عدة بلدان، وأسماء لقرى متعددة، يضعونها عليها عُرفاً عاماً بينهم.

وادي المعاول

عبارة عن قرى متعددة، يشملها هذا الاسم إجمالاً، أما على التفصيل فلا، وهو قريب من الأول في شؤونه إلا أنه أقل عمارة وأمة، فإن الأول تتخلله قبائل هامة متعددة، وبه بلدان لا تقل عن عشرين قرية، أهمها سمائل، وهي أم الوادي، وهذا يشمل آل معولة وبلدة النعب، أي تضاف إليه كالطوية، وفي الراس نخل. فهو علم على المقاطعة المعروفة من الجبل الأخضر إلى الساحل.

وادي الرستاق

واد متسع الأرجاء والنواحي، أشبه بالأول، بل هذا أوسع منه في كل معانيه، وهو الذي يسميه بعض أهل عُمان وادي الأرزاق، فهو واد متسع العمارة، كثير الخيرات، متواصل البلدان العامرة بالسكان، كثير البساتين والمزارع والنخل، وبه قبائل من أهم قبائل عُمان.

وادي بني خالد
في شرق عُمان

واد متسع فيه قرى وبلدان متعددة، وقبائل عديدة معروفة، مهم جداً في وضعه.

وادي الطائيين

من أهم أودية عُمان في شرقها، وأكثرها سكاناً، فإنه يجمع قبائل ولفيفاً معروفاً، وأرهاطاً من اليمن والأزد، وفريقاً أيضاً من العدنانيين.

وادي السحتن

وادِ به بلدان للعبريين، وأخرى لبني غافر، ومن هم من لفيفهم، يعرفهم كل أحد، فيه قرى متعددة، ومزارع معروفة.

وادي القريات

وادٍ تعددت قراه، وكثرت مزارعه، واتسع ريفه، ولا ريب فإن اسمه دال على مسماه، واقع في قلب عُمان الداخلية، ينحدر من ناحية وادي «سيفم»، ماراً على بهلى، ثم على ما يليها جنوباً كما قلنا، حتى ينصب في الرمل الجنوبي من عُمان. تعددت قرياته ومزارعه.

هذه هي أودية عُمان المهمة، التي لم تدخل في اسم مقاطعة خاصة، ولا وضع عليها علم خاص. وبقيت أودية أخرى لها أهميتها، كوادي بني غافر، ووادي الجهاور، ووادي الحيال، (بكسر الحاء المهملة، وفتح الياء من تحت، بعدها ألف فلام)، ووادي الجزي، (بفتح الجيم، وكسر الزاء المعجمة، بعدها ياء مثناة من تحت ساكنة)، ووادي القور.

وكل هذه الأودية عامرة مأهولة ببلدانها وقراها ورجالها وأمرائها، وكلها أيضاً في الجانب الغربي من عُمان. ولا يبعد عن هذه الأودية وادي عندام، (بعين مهملة مكسورة، ونون ساكنة، ودال مهملة مفتوحة، بعدها ألف فميم)، في شرق عُمان.

فوادي بني خروص يشتمل على قرى مهمة واسعة، كالأبيض والعوابي وبلدان بني خروص كالعليا وستال، فالأولى (بضم العين المهملة، وسكون اللام، بعدها ياء فألف). والثانية (بكسر السين المهملة، وفتح التاء المثناة من فوق، بعدها ألف فلام).

رمـــل عُمان

بعُمان جبال من الرمل متواصلة متشابكة، ممتدة من رأس الحد شرقي صور، إلى حد ظفار وحضرموت والمملكة العربية السعودية وقطر والباطنة أيضاً، لكنه منبسط هادئ لين سهل غير مرتفع.

وكذلك رمل جعلان غالبه شبيه برمل الباطنة. وأما رمل جنوب عُمان، فسلاسل متكدسة، ومعالم متواصلة.

وكله مأهول بقبائل عديدة من البادية، قد انتشرت فيه الماشية لكثرة أعشابه ومراعيه في خصب أراضيه، واطمئنان أهله فيه، وقد ظهرت به مخازن البترول الآن.

عُمان
بالنظر إلى المؤرخين القدماء

يقول مؤلف الطواف حول البحر الأرتيري : بأن عُمان كانت تدعى عند السومريين أرض ماجان، وقد وجدت بعض اللوحات التي أشار إليها السومريون بأنهم كانوا يحصلون على النحاس من أرض ماجان، وذلك لصناعة المزهريات، وهذا قبل أربعة آلاف سنة أو يزيد، إلى أن قال: وهذا يدل على أن مناجم النحاس في عُمان كانت هي مصادر النحاس الرئيسية عند السومريين.

ويقول المؤرخ البريطاني برترام توماس: إن مناجم النحاس هذه كانت موجودة في جبل حفيت.

ويقول المؤرخ الكلاسيكي بليني الذي عاش من ٢٣ - ٧٩م: بأن الجنس الكلداني قد سكن تحت جبال إبليتا، في الجهة الغربية من رأس، مسندم. وجاء الفرس وأطلقوا على عُمان أرض مازون، فهذا يدل أن السومريين كانوا بعُمان حيث سموها أرض ماجان، وهذا قبل أربعة آلاف سنة، أي للميلاد، وأنهم كانوا يستخرجون النحاس من عُمان في ذلك العهد. والمؤرخ البريطاني يقرر وجود النحاس في جبل حَفِيت، ويدل أيضاً أن

الفرس جاءوا عُمان بعدهم، وأن الكلندانيين سكنوا عُمان أيضاً.

أما ابن خلدون المؤرخ العربي المغربي فيقول: إن يعرب بن قحطان لما غلب على عاد، وانتزع اليمن منهم، ولى على عُمان أخاه عُمان بن قحطان. فدل أن عُمان كان اسماً لرجل، ثم غلب على القطر، كما أن للقطر قبل ذلك أسماء معروفة، فدل هذا على أن عُمان كان بها قوم عاد، وهذا غير بعيد، لأن رمل الأحقاف الذي كان يقطنه قوم عاد هو أحد حدود عُمان في تلك الجهة.

وقال مؤلف الطواف حول البحر الأرتيري، وهو أحد كتاب الإفرنج القدما، حوالي تاريخ ستين للميلاد، يقول: وصلت إلى جزيرة أوجيريس، وهي جزيرة أوسيرابيس، واسمها اليوم مصيرة. ومصيرة هي من بلاد عُمان على الساحل الجنوبي بينها وظفار. قال: وقد وجدت بها ثلاثة معابد يتعبد بها أكَلَة السمك. والمعنى هم أهل مصيرة لأن عيشهم كان غالباً السمك. قال: ووجدت بها هيكلين على الطراز الكورنتي، وبعد عبور مضيق هرمز بمسيرة أيام توجد مدينة تسمى عُمان، قال: وكان يصل إلى هذه المدينة الخشب، وخصوصاً خشب الصندل، إلى أن قال: وتصدر عُمان نوعاً من السفن تسمى مدرعات، قال: وهي سفن قوية محصنة، قلت: أشار إليها في مروج الذهب. قال: كما كانت تصدر اللؤلؤ، إلى أن قال: وكميات كبيرة من التمر والذهب، والعبيد المستوردين من إفريقيا. ثم استطرد يذكر عُمان، وخليجها المعروف بخليج القمر، وجبل القارة، وأن جبالها صخرية شديدة الارتفاع، وذكر جماعة يسكنون الكهوف، ويذكر مسقط باسم مسكا، وباسم مسكة.

ويقول ياقوت الحموي: إن مسقط مدينة من نواحي عُمان، في آخر حدودها، على ساحل البحر.

أما ابن المجاور فقد ذكر مسقط في كتابه تاريخ المستبصر، يقول: إن هذا الإسم - يعني مسقط - الأصل فيه مسكت، قال: وكانت هذه المدينة مرسى صحار، أي أن العاصمة إذ ذاك صحار، وأما مسقط فمحط تجارة صحار. قال: وهي هذه المدينة كانت ترسو فيها المراكب القادمة من الهند وزنجبار والشمال.

أما بطليموس فيقول: تقع أرض قبيلة عُماني - على قاعدة تعبيرهم - في الداخل، وهو الشعب الذي ذكره بليني، ويقول بطليموس أيضاً: عُمان مدينة تقع على ساحل كرمانيا.

وجاء في بعض المرسومات التاريخية أن صور إحدى المدن التي استوطنها الفينيقيون بالخليج العربي، فما أن انتقل الفينيقيون من الخليج، وهاجروا إلى ساحل البحر المتوسط الشرقي، حتى أسسوا هناك مدينة سموها باسم صور، وطنهم في عُمان. فدل هذا على أن الفينيقيين كانوا في عُمان، ولهم آثار فيها، ومن آثارهم مدينة صور المذكورة.

ولعُمان في تواريخ الأقدمين ملاحظات وأذكار رمزية، ولمحات تأريخية، لكن لما كان المؤرخون من الأجانب كلهم أو جلهم، ذكروا عُمان بهذه اللحظات التي تمر على القارئ، وبعضهم يطوي عُمان أو يصغرها جداً بحيث لا يبقى لها ما يستحق الذكر، وهذا موجود في الإفرنج وغيرهم، الذين تغلي في صدورهم مراجل الحسد والداء الدفين، الذي لازال يغطي الحقائق أو يشوهها، وكيف لا وعُمان قلعة بين الهند وإيران والعراق، وبين معالم الجزيرة العربية.

قال بعض المؤرخين القدماء: أما الآشوريين فقد استولوا على عُمان،

وذلك زمن ملكهم تفلت فلاسر الآشوري. وقال في موضع آخر: وازداد مركز الخليج قوة وازدهارا، بالامبراطورية البابلية الثانية، التي ورثت الآشوريين.

فدل هذا على أن الآشوريين تولوا عُمان، وأن البابليين أخرجوهم منها، وتولوا أمرها.

قال هذا في القرن السابع قبل الميلاد، إلى أن قال: وأطل قادم من جديد من الشرق، يكتسح الإمبراطورية البابلية، وهو كورش الفارسي، واستطاع أن يحقق أحلامه في السيطرة على الخليج العربي، وموانئه المزدهرة على ساحل عُمان.

فدل هذا على أن كورش المذكور أزال البابليين من عُمان، وحل محلهم الفرس، فترى تداول الأمم لعُمان لا يزال منذ العهد البعيد، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وفي الدهر عجائب.

مذهب أهل عُمان

اعلم أن مذهب أهل عُمان يتركز على الكتاب والسنّة والإجماع، ويأخذ بالقياس والاستدلال، ويعتمد على القرآن، ثم على السنة النبوية، ثم على إجماع الأمة، اعتماداً لا هوادة فيه.

وأهل عُمان منذ أسلموا على يد عمرو بن العاص رسول رسول الله ﷺ في السنة الثامنة للهجرة وتلقوا تعاليم الإسلام عن رسول الله ﷺ، بواسطة مندوبه إليهم، وأخذهم عنه دينهم، ملوكاً وشعباً، وثباتهم على ذلك منذ ذلك العهد، لم يبدلوا ولم يغيروا شيئاً من قواعد الدين.

وما كان لهم عبد الله بن إباض شيخاً مدرساً، ولا أستاذاً معلماً، ولا وضع لهم تعاليم يتمسكون بها، وما كان من بني بلادهم، ولا وطئ أرضهم، ولا قام بإمامتهم في عُمان ولا في غيرها من بلادهم الموضوع عليها علم ابن إباض، بل كانت فتاويهم يتلقونها عن خيار صحابة رسول الله ﷺ، كابن عباس، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وعائشة أم المؤمنين، والخلفاء الراشدين، ومن بقية الصحابة، ينقلها لهم تابعوها طبقة بعد طبقة، وجيلاً بعد جيل، من لدن الإمام أبي الشعثاء جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، والربيع بن حبيب راوي المسند

وأضرابهم، إلى محبوب بن الرحيل، ومن في طبقته من علماء المسلمين وأئمة العلم والدين، منذ ذلك العهد إلى اليوم بسلاسل متواصلة عن أئمة عادلة، لم يعرفوا عن ابن إباض مسألة واحدة، بل علماء المسلمين علماؤهم، وزعماء الهدى زعماؤهم، لا أثر لنسبتهم إلى ابن إباض إلا نسبة اصطلاحية كما ترى، وسببها أن ابن إباض كان من خيار المسلمين في أيام عبد الملك بن مروان، وكان أصله من تميم، كان هماماً مهماماً، وزعيماً مقداماً، يقول الحق ويحب أهله ويواليهم عليه، ويرد الباطل ويرفض أهله ويعاديهم عليه، شأن كل عامل لله، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يعظم الجبابرة مهما كانت، ولا يوالي الظلمة ولا يركن إليهم، اشتهر بذلك في مناقشاته لعبد الملك بن مروان، الذي يسمونه أمير المؤمنين، فهو يسميه أمير الفاسقين، ويتبرأ منه ومن أتباعه في الدين.

وبذلك عرف أهل عُمان أيضاً، إذ كانوا أنصار الكتاب والسنة، أعداء الظلمة والجورة، يرفضون المبطلين رفضاً، ويرضون بالحق ممن جاءهم به بغيضاً كان أو حبيباً، بعيداً كان أو قريباً، بذلك سموا إباضية.

فإن كان في ذلك قدح فهم هم، وإن كان في ذلك مدح فهم أولى بما هنالك، لم يجنحوا إلى التمذهب التقليدي كما جنح إليه غيرهم، ولا ركنوا إلى التقليد الأعمى كما ركن إليه سواهم، وأصدق شاهد على ذلك نصبهم الأئمة المنتخبين من خيارهم، المختارين من صفوتهم، فيبايعونهم على طاعة الله، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى إقامة شعائر الدين، وعلى العمل بالكتاب والسنة، وعلى الصبر على ذلك في المكره والمنشط. وإن رأوا منهم خلاف ذلك باينوهم وعارضوهم، وخلعوا المبطل، وتوبوا الزال، وأعانوا على الحق، وناصروا

المحق. فهل يوجد هذا في أمة من أمم الإسلام غيرهم؟ فليقل من عنده عنه علم، لا وربك لا يوجد بعد الخلفاء الراشدين إلا في هذا الجيل الموسوم بالإباضية.

بل الموجود في أمم الإسلام، الملك العضوض، والسلطنة الجبارة والزعامة الجايرة، القايمة بالوراثة، وذلك أمر يأباه الإسلام، ويبرأ منه الدين، ويسخط منه رب العالمين، القائل: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة:١٢٤]

انظروا يا معاشر المسلمين، ويا أمة الحق أئمة الدين، إلى الذين تسمونهم بالإباضيين تجدوهم في عُمان وفي اليمن وحضرموت وبلاد المغرب على نهج الخلفاء الراشدين، توليهم الأئمة الخلافة الإسلامية على نهج الانتخاب، لا على وجه التسلط بالجبروت. اللهم اهد أهل العلم للحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء على صراط مستقيم.

انظر أيها العاقل في هذه الحقائق، ولا تغامر نفسك فإن الحق بين، وإنك عبد مسؤول، والإتباع للحق هو الواجب على المسلم عقلاً ونقلاً، والتجنب للباطل هو المكلف به العباد، وهو الذي جاءت به الشرايع السماوية، وأرسلت به الرسل إلى الأمم. أما اتباع الهوى، أو خلط العمل الصالح بالفاسد، والخبط في الأعمال ولا يبالي بما يأتي ويذر، فلا يرضى الله بذلك، ولا العقل المتنور.

مشاهير علماء عُمان
في أول الإسلام

اعلم أن أهل عُمان في الإسلام هم قادة العلماء، ولهم الصدر الأعلى في مناصب العلماء، فهم في علم الحديث السادة الأجلاء.

مثل الإمام أبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العُماني، من أهالي فرق من أعمال نزوى، كما هو من آل عمرو بن اليحمد، الذي أجمعت الأمة كلها على ثقته، وجلالة قدره.

روى عنه أئمة الحديث، كالبخاري ومسلم وغيرهم، من رواة الأحاديث. وشرَّاح الصحاح محتجون بأقواله. ونَقَلَة السنة يعتمدون على ما رواه.

وقد أدرك من حياة عمر بن الخطاب رحمه الله سنتين ونصف، ومات على رأس القرن الأول، أو أول الثاني.

ومنهم الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي البصري، أصله من أهل ودام من الباطنة، أزدي أيضاً.

من أجلة أهل العلم بالسنة النبوية، وهو صاحب المسند الصحيح،

الذي هو قذىً في أعين أعداء الحق، وله روايات في السنة معروفة يرويها عن ضمام بن السائب، فيغير المسند الصحيح، المعروف بـ «الجامع» في عصرنا هذا.

ومنهم ضمام بن السائب الندابي من الأزد أيضاً، وهو علامة جليل، روى عنه أئمة في المذهب.

ومن علمائهم في الأدب، لغة ونحواً وصرفاً وبياناً وتاريخاً. وغيرهما مما يشمله علم الأدب، الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي استخرج علم العروض من وقع مطرقة على طست، لم يبن على مثال، ولم يجر على منوال. ولو لم يكن له إلا كتاب «العين» لكفى.

وهو أستاذ سيبويه، وأحد الهداة، وهو واضع إشكال الإعراب والنقط، ومناقبه لا تحصى، وكل رجال الإسلام في هذه الأحوال عيال عليه.

ومنهم الإمام الثاني في الأدب بجميع معانيه، أبو بكر بن دريد، المعروف عند الخاص والعام، أحد الأعلام الكمّل، وأجلّ الرجال الفطاحل، المعروفين في العالم الإسلامي. وهو من الأزد من قدفع، (بقاف فدال مهملة ففاء فعين مهملة)، من أعمال رأس الخيمة. ولو لم يكن له إلا كتاب «الجمهرة» لكفى، وله عدة مؤلفات، في فنون عديدة، وهو صاحب المقصورة المشهورة، وكتاب الملاحن.

وفي معاني رجال الحرب والبأس من أهل عُمان من يعجب بهم القارئ، ويفخر بهم السامع، كبلج بن عقبة الذي يعد عن ألف فارس، فهل يوجد في تاريخ المسلمين مثله؟ بلج الذي لألف قرن ينتمي في كلام الحضرمي الإمام أبي إسحاق وابن النظر، وقد شاع خبره وناهيك به في فتح

الحرمين مع زميله، فليأت الدهر في قوم آخرين بأمثاله، وإليه بشير بن دريد في مقصورته حيث يقول:

وواحد كالألف إن أمر عنا

ومنهم المقدام الشهير أبو حمزة الشادي المختار بن عوف السليمي الأزدي، من أهالي مجز من أعمال صحار، وممن أنجبته الباطنة، الذي عرف بحزمه وعزمه، وصبره في الحروب العربية، إذ خرج بالجيش اليماني لما أفسد الملوك الجوررَة، فدك صروح الباطل، وأخمد نيران الظلمة، وأطفأ مصابيح السفه، ومزق شمل الظلم، حتى أقلق الدولة الأموية، الطاغية، فزحفت إليه جيوشها لتقاتله فقتل رحمه الله.

وروى خُطَبِه مالك بنِ أنس، ثم تداولها أعداؤه معجبين بحججها وبلاغتها وبراهينها، فدونوها في كتبهم، ورسموها بأقلام الاحترام.

وسرد مناقبه لا يسعه المقام، ولله أبو حمزة، ولله يومه بين أيام الدهر.

ومنهم في قيادة الجيوش أبطال تعترف بأعمالها الرجال، مثل المهلّب ابن أبي صفرة، وآل المهلّب المعروفين، وقد استنقذ المهلّب البصرة من براثن الأسد، وفعها بين الثريا والثرى، حتى شاع عليها بصرة المهلّب، ومشى آل المهلّب فيها مشية ازدهاء وإعجاب.

ومنهم رجال في هذا الميدان، يضيق بهم العنوان، فلنعرض عن ذكرهم هنا، ولنتركه إلى محله.

ومنهم في الفقه علماء المسلمين، وأئمة الشريعة في الدين.

مثل حتات بن كاتب، المشهور في سير المسلمين بالفقه الواسع، والعلم النافع، من أهل توام، وكان منزله بنزوى في سمد، ولعله من بني هميم.

ومنهم الشيخ العالم الوحيد، حاجب بن مودود، من بني هلال بالولا، وولد ولده حبيب بن حفص بن حاجب.

ومنهم صحار بن العبد الطاحي.

ومنهم شبيب بن عطية العُماني، من أجلَّة الفقهاء في عُمان في أيامه.

ومنهم المعروف معهم بالشيخ الكبير أبو المنذر بشير بن المنذر النزوي، وهو من بني نافع، جد بني زياد من سامة ابن لؤي بن غالب.

ومنهم منير بن النيِّر الجعلاني، من بني حضرمي بن يزام.

ومنهم موسى ابن أبي جابر الازكاني، وهو من بني ضبة، وقيل: من سامة بن لؤي بن غالب.

ومنهم محمد بن معلا الكندي، من أهل فِشَح (بفاء مكسورة، وشين معجمه مفتوحة، وحاء مهملة)، من أعمال الحمرا الآن.

ومنهم الشيخ هاشم بن غيلان، وولده محمد بن هاشم بن غيلان، وأخوه عبد الملك بن غيلان، من بني هميم أهل سيجا، (بسين مهملة مفتوحة، وياء مثناة من تحت، وجيم مفتوحة، بعدها ألف)، من أعمال سمايل. وبها قبورهم معروفة، وفضلهم مشهور، وذكرهم يعطر الصحايف.

ومنهم أبو عثمان سليمان بن عثمان، المعروف بالأصم، من أهل نزوى، ولم يكن أصمًّا وإنما كان لتلقيبه بالأصمِّ سبب. وكان من أهل العلم

في الدين، وأهل الفقه في المسلمين، وأهل الصلاح والرشد في المؤمنين، كان من أفضل علماء المسلمين ديناً وإيماناً وعلماً وعملاً وإخلاصاً.

هؤلاء علماء عُمان في الصدر الأول، أعني مشاهيرهم فقط، ولا ريب فهم كثير لا يأتي عليهم قلم الكاتب في مثل هذا الموجز، وحسبك «اللمعة المرضية من أشعة الإباضية»، لإمامنا السالمي رحمه الله. وفي أهل عُمان من أهل العلم كثيرون في كل جيل، وقد ذكرنا بعضاً منهم في كتابنا «أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج»، وفي «إزالة الوعثا عن أتباع أبي الشعثا» رحمهم الله ورضي عنهم، وفي «العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة» لإِمامنا السالمي رحمه الله.

وكان هذا الشرح رمزاً خالداً في الذهن من عهد الصبا، حتى أذن الله بطلوع شمسه النيّرة الآن.

والحمد لله الذي جعل لكل شيء زماناً يظهر فيه، وكل شيء مرتهن بوقته، أسأل الله العون والتوفيق لأقوم طريق، إنه كريم رحيم.

الإمارات العُمانية

اعلم أن إمارات عُمان تعددت في هذه العهود الأخيرة، وأصبحت كحكومات متفرقة في قُطر واحد، متباينة متنافسة حِساً ومعنى، ليس لها حاكم عام تجري عليها أحكامه، ويشملها نقضه وإبرامه. وإليكها كإشارة إليها.

وقد دخل الآن المهم تحت راية السلطان سعيد بن تيمور، وعسى الله أن يجمع الكل تحت راية واحدة، بهمة السلطان المؤيد، والمليك المسدد.

إمارة آل حمودة

إن إِمارة آل حمودة بن سلطان زعماء بني بو علي في جعلان، وهي إمارة عامة في ذلك الجانب، تشكّل هيئة كحكومة مستقلة بمعناها، فإنها تمتد أحياناً على أرجاء جعلان كلها، إلى وادي بني خالد وبلاد صور.

ولها في الساحل الشرقي صفة نفوذ، وبسط معروف في هذه العصور الأخيرة، فتنبسط أحياناً على الهشم وبني راسب، وترى لها السيادة عليها، شأن كل سلطة إذا قويت شوكتها.

إمارة آل صالح بن علي
في شرقية عُمان

إمارة آل صالح بن علي في قلب شرقية عُمان، وتمتد إلى بلدان العوامر وبني رواحة، وهي تعادل إمارة آل حمودة عدداً وعدة، إلا أن تلك أقوى نفوذاً لرئيسها على مرؤوسيه، كما يعرف ذلك أهل عُمان كلهم.

وقد أسس هذه الإمارة الأمير عيسى بن صالح الأول، وهو الأب الثالث لصالح بن علي بن ناصر بن عيسى، وكانت قبله كغيرها من المشيخات العُمانية في قبائلها، ولكن ذلك الهمام الجليل في مقامه العلي، أقام أعمدة هذه العمارة، وأسس بنيانها، وشيَّد أركانها، وأقام صرحها مشيداً بحد الفرض المعروف، وفرض على ذي الفرض إرضاء فرضه، وقد أرضاه ﷺ، حتى أفنى عمره لله وفي الله، وذلك ما يتطلبه المرفق في هذه الحياة الدنيا، والحمد لله.

إمارة آل نبهان

وهي إمارة عريقة، تفرعت عن سلطنة قديمة بعُمان، وتشتمل الجبل الأخضر وتوابعه.

ولهاذ نفوذ فعال، بطاعة متأصلة، وحب عميق، وأصل راسخ، يخضع لها تابعوها خضوعاً ملموساً يعرفه أهل عُمان، ويعترف لها بذلك ذوو الشأن.

إمارة اليعاقيب
في عبري

اعلم أن إمارة اليعاقيب في عبري في هذه العهود الأخيرة لولا البداوة التي تتلبس بها لكانت من الإمارات المهمة، حيث يوجد لها أنصار يؤيدونها، ويمدون لها يد السيطرة على أهل ذلك الصقيع البهيج، الوارف الظل، المتسع النواحي بين تلك البادية العربية.

فهي تجمع قبائل شتى تسيطر عليها عبري، ولها عليها الطاعة، والانقياد الملموس، والخضوع المحسوس. فعبري سيدة أرض السر كلها، وعهدة أمم الظاهرة مطلقاً.

إمارة آل صقر بن سلطان النعيمي

تشمل هذه الإمارة مقاطعة البريمي وتوابعها، الداخل والساحل، بمن فيها من نعمي، وكعبي، وشامسي، وقتبي، وظاهري، وأعلاقهم. عدا بني ياسر ولفيفهم.

وقد علم أمر هذه الإمارة، ووقت تأسيسها، ومدى صوتها. وقد انحلت في هذه الأيام، وصارت اسماً بلا مسمى، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

إمارة آل صقر بن سلطان القاسمي

وتشمل هذه الإمارة عدة بلدان في الساحل الغربي القاسمي، إلى حدود دبي غرباً، ومملكة آل بوسعيد شرقاً في الساحل الشمالي.

وعواصمها الشارقة، ورأس الخيمة. وقد بلغت هذه الإمارة اسم الزعامة الكبرى في الساحل، وكاد أن يتلقب زعيمها باسم السلطنة، لاحتوائه على قسم متسع من المملكة العُمانية الشمالية.

ولا ينكر أمر القواسم في هذه المواقع الهامة، والحال شاهد المقال، والتاريخ هو الحجة. ولكل زمان رجال، ولكل بلاد أعمال، وأعمال القواسم معروفة في ساحل الشمال.

إمارة آل حشر بن مكتوم
في دبي

وهي معروفة عند الكل. ودبي من العمران القديم، لكنها لم تكن شيئاً مهماً فيما سلف من سابق حالها، وسالف عهدها، حتى نزلها هؤلاء المذكورون، أعني آل حشر، فهم البانون لهذه الإمارة، والمقيمون لأركانها، والواقفون على بنيانها، بأياد عربية حرة، حتى أصبحت دبي الآن لبنان الخليج أو باريسه، كما يقولون. ومن المعلوم أن المكان بالمكين، والمنزل بالآهل، وفي الزوايا خبايا، وفي العرب البقايا.

ودبي الآن من أبهج بلاد عُمان، وإمارتها تبتهج بها ابتهاجاً، وتلهج بها إلهاجاً، إذ كانت لها ربيعاً ثجاجاً، وألبستها بتجارتها الشاهرة من الغنى تاجاً. فالحمد لله الذي يقبض ويبسط، وبيده كل شيء.

إمارة آل زايد بن خليفة
أو آل نهيان في أبو ظبي

هي الإمارة الوحيدة المعروفة بإمارة آل زايد، أو إمارة أبو ظبي، أو حكومة بني ياس، أو آل نهيان، كما عرفها الناس عرباً وغيرهم.

وقد طال ما حج إليها قصاد العرب أيام زايدها الزايد، ذلك الشهم الهمام، المفضال المبذال، الذي حدّث التاريخ عن كرمه وعزمه وحزمه، حتى بلغت أبو ظبي أيامه مبلغ الشهرة في الجزيرة، وأشير إليها بالبنان في أحوالها العربية من عُمان والبحرين والرياض، وخطب ودها جيرانها، شرقاً وغرباً.

ثم علا صوتها الآن بالبترول الذي تسجد له جباه الدول، وتخضع لسلطانه الزعامات العربية وغيرها. وزايدها الحالي الذي هو زايدها الثاني، قد طن لها في العالم صوت داوٍ في مسامع الكل، وإذا بالناس إليها من كل حدب ينسلون.

إمارة آل ثاني
في قطر

لا يخفى أن قطر في هذه العهود الأخيرة، يخالف حالها فيما سلف من الأيام، كما أنها هي باب عُمان الغربي، ومصباحها الذي تطل فيه على الجزيرة العربية، نمحو المملكة العربية السعودية، والبحرين، والحسا.

وقد علم أمر هذه الإمارة بتاريخها العريق، وعصرها الأنيق، برجالها

البواسل، وصناديدها الفطاحل، وكرامها الأجلّاء. ولقد حدّث عنها التاريخ قديماً وحديثاً، منذ نزلها هؤلاء الرجال التميميون الدراميون، بأياديهم البيضاء، ومكارمهم العلياء. ولقطر بهم ذكر يعطِّر أفق العروبة، في شرق شبه الجزيرة العربية، ويرفع من قدر العرب.

وقد أفضى بها الحال الآن إلى قمة الشرف، بمكارم حاكمها علي بن عبد الله، وإبنه الهمام الجليل أحمد. أبقى الله للعرب مجدهم في جميع آفاق العروبة، وأعلا بهم صروح الإسلام، وأعاد لهم من شرفهم السالف أضعافاً مضاعفة، إنه ولي كل شيء، وجعل حبهم آية الإيمان، وبغضهم آية النفاق.

هذه هي الإمارات العُمانية بوقتنا الحالي، ومنه يعلم شرف هذا القطر، وحقيقة أمته ورئاساته. ويستفيد المطلع أنباء قومه، وبني جلدته في عُمان.

ولا بدَّ أن يعلم العالَمُ الجاهل بعُمان مدى هذا البلد المجيد، والوطن العزيز، من عهد بعيد «وإذا لم تر الهلال فسلم»، وأنت في واسع العذر.

والحمد لله أن قطراً يشتمل على إمارات تسع، كل إمارة كحكومة مستقلة، أو زعامة كاملة لكبير، مع أنا لم نذكر سائر الإمارات، التي هي مشيخات قبائلية ونحوها، وإن كان لها نفوذ وسلطان، تعتبره الحكومات ساحلياً وداخلياً.

السلطنة العُمانية

اعلم أن السلطنة العُمانية، منذ مائتين وأربعين سنة، ما زالت في آل أحمد بن سعيد، ومقرها مسقط، وما زالت مسقط عاصمة عُمان منذ ذلك العهد، وما زال آل أحمد بن سعيد يتعاقبون على عرش عُمان، لم يتزعزعوا عنه ولا يوماً واحداً، منذ تولوا هذه السلطنة داخلياً وساحلياً، إلا أيام الإمام سالم بن راشد الخروصي، الذي قام في سنة ١٣٣١هـ، واستقل بأمر داخلية عُمان حتى مات.

ثم خلفه الإمام الخليلي، من ذلك العنصر الخروصي الأزدي. ثم بعده غالب بن علي، بولاية العهد من الإمام الخليلي وأعوانه، ثم انحل أمره.

وعاد الأمر إلى السلطان سعيد بن تيمور. والملك لله يؤتيه من يشاء، وله الملك الدائم الذي لا يتغير.

أما إمامة الإمام عزان بن قيس، فهي راجعة إلى العنصر البوسعيدي، بل إلى العمود القائم في أفق عُمان، أحمد بن سعيد، مؤسس هذه الدولة البوسعيدية.

الإمامة العُمانية

الإمامة في عُمان منذ ذلك العهد الأول، تجري بطريق الاختيار في عُمان، على نهج الخلفاء الراشدين.

فيختار خيار الأمة وأعيانها، من يرضون دينه وخلقه، وعفته وأمانته، وثقته وعدالته، وتقواه وإيمانه، الذي لا يرتابون في شيء من حركاته وسكناته أنها لغير الله، فإذا وجدوه على هذه الوتيرة المذكورة، بايعوه ووازروه، وسمعوا له وأطاعوا، في المكره. والمنشط، وفي الشدة والرخاء، فأعادوا به سنن الشريعة، وأقاموا به أعمدة الحق، ونصروا به المظلوم، وأعادوا به شعائر الدين، ونصبوا به معالم الإيمان.

وحسبك في صفة الإمامة ما جاء فيها، وفي الإمام ما أوردناه في كتابنا، «إرشاد الأنام» والحمد لله.

وارد عُمان

يرد عُمان في هذا العهد، كل شيء من مستحدثات العصر، ويمشي بها في نشاط، ويستفرغ حاصل غلاتها غالباً، لميل النفوس إلى كل مستحدث، ولا يقابل صادرها نصفه ولا ربعه.

فتستورد عُمان الضروريات، والحاجيات، والكماليات، على اختلاف أنواعها، من معايش وملابس وغيرها، ولكل جديد لذة طبعاً، فإن جوالب العصر أصبحت تعشقها القلوب، وتميل إليها الطباع، والإنسان خلق بطبعه ميالاً إلى كل رائق مبهج.

ولا منع لأي جنس يرام إيراده إلى عُمان، لأن التجارة حرة حسب القوانين الوضعية، إلا بعض أمور لا يقتضيها العصر.

وبسبب الوارد المتنوع، مع سهولة اقتنائه، وتيسير المراد منه، تأخرت الأعمال الصناعية بعُمان، وقد كانت بها مصانع بحسب حاجياتها الوقتية، وتعطل عاملوها.

كان لباس أهل عُمان من نسيج عُمان، ومعاشها من مزارعها، وبذلك صارت غنية عن بقية البلاد، منعزلة عن الأمم الآخرين. ولما تركوا بذلك، وأصبحوا ينفضون أيديهم من أعمالهم ويقتنون الوارد إليهم مهما كان، وممن

كان، راغبين غير مجبورين ولا مكلفين، أصبحوا أسارى المجلوب، لما أصبح هو المحبوب.

وأصبح الضيق يحيق بعُمان، ويستنفد غلّاتها، ثم زاد الطين بلة رخص غللها في هذا العهد، ولولا انتشار العُمانيين في البلاد الأخرى سعياً للرزق، لتدهور الشعب العُماني، والأمر لله.

صادر عُمان

تأخر صادر عُمان في هذا العهد تأخراً ملموساً، ولقد أثر في عُمان مادياً أثراً سيئاً، ولا يزال يأخذ بها إلى الوراء، إن لم يتداركها الله بشيء من مواد العصر، كما يشاع وجودها بها وجوداً وافراً، وهذا أوان فتح مغلقه.

وقد بدأت روح العمل تدب في الجسم العُماني قليلاً قليلاً، والأمور مرهونة بأوقاتها. وإذا أراد الله أمراً كان، فإن أعمال البترول بعُمان شارعة في صددها، وقائمة بنشاط.

وقد شاع وجود هذا الذهب الأسود بعُمان وجوداً ملموساً، وأدرك إدراكاً محسوساً، ولا بد أن تنال منه عُمان ما نالته أخواتها من بلاد العرب. والأحاديث النبوية تخبر عن ذلك، وكأني بما أخبرت به كائن لا محالة.

ولا شك أن الأشياء مرهونة بأوقاتها، وحكمة الله عز وجل فاعلة في الكائنات كما يشاء الله عز وجل، ولكل شيء غاية ينتهي إليها.

وأما مصدراتها الحالية، فالتمر بأنواعه المتعددة، والبسر المبسلي المعروف بأثمانه الوافرة سابقاً، والليمون بكميات قيمة، وأنواع من القماش، وأجزاء من الجلود. وكانت سابقاً تصدر اللؤلؤ بأنواعه الكبار والصغار. وأعداد من المنسوجات اليدوية القطنية، المعروفة بالخضرنج. وأنواع من الأوزرة الملبوسة المزركشة. وأنواع مما يسمونه العمايم والسباعيات. وأنواع من المنسوجات الصوفية، كالخروج والشمل والمناسيل ونحوها. وكميات من السمن البقري، تصدره عُمان إلى الخارج في البواخر، بكميات كاد العقل أن لا يقبلها، لولا أن العهد بها قريب، والمعتادون العمل فيها باقون. وتلك من آيات الله الكونية، ومعجزاته الربانية، سبحانه ما أعظم شأنه، له الأمر من قبل ومن بعد.

البلاد الرئيسية لهذا القطر

أهمها الآن منذ نزول البرتغاليين على البحر الهندي، وتسلطهم على الخليج العربي الفارسي.

مسقط

وهي ما زالت ولا تزال تفوق عواصم القطر سلطة وسلطاناً، وتعلو على القطر العُماني مقاماً ومكاناً، كما قلنا في تاريخنا «العقد الجديد».

فهي الآن مقر السلطان، وعاصمة عُمان في هذا الأوان، ومنتدح الأمة في كل مكان، وميناء تجارة القطر العُماني، والخليج العربي، بلا مدافع ولا منازع. وهي الحجة على القطر كله.

ومنها تخرج جوازات المسافرين، حسب الأوضاع الحالية للدول العصرية، من عُمان إلى جميع البلاد، بإذن السلطان. ولها علاقات ودية بالدول الحالية، في الشؤون الحيوية، ومقتضيات الأوان.

وبها كرسي الملك، وإليها تنتهي الموارد والمصادر في عُمان، رغم كل إنسان، فهي عرش عُمان الآن.

وتقع بين جبال تحيط بها. وإليها تساق تجارة الهند وغيرها، وتستورد

أشياء أخر من بقية الدول، ولعل أغلبها في الوقت الحالي من بريطانيا.

وأغلب أهلها أخلاط، أهمها الجاليات الهندية، من حيدر أبادية، وبانيان، وبلوش بلوجستانية، والأقلية للعرب من جميع النواحي، لولا أن ملوكها من تعرفون. ولا يوجد بها يهود الآن، وربما وجدوا قبل هذا الأوان.

أما النصارى الإنجليز فهم موجودون الآن بعُمان كلها، كضباط وقواد للجيش، وأهل شراكة النفط. وأما غيرهم فلا، إلا أن يكونوا رحّلاً أو زوّاراً.

أما الوطنيون الأصليون فهم العرب بقسميهم، القحطانيين والعدنانيين، وبيدهم أزمة الأمور. أما الذين ذكرناهم من الجاليات الهندية، فهم تحت ظل السلطان، وتحت مراحمه، ولا حرفة لهؤلاء إلا التجارة.

وكان العرب يترفعون عن أعمال التجارة منذ عهد الجاهلية، لأن نفوسهم مطبوعة على حب الكرم، وذلك لا يتفق والتجارة، لأن التجارة تستدعي الحرص على الدرهم والدينار، للتجمع أرباحها، ويعظم استغلالها. ولقد حضهم عليها رسول الله ﷺ، فاحترفها القليل، وتركها الكثير. فلهذا ترى الهنود آخذين بزمامها، لأنهم لا يعرفون الكرم ولا معناه.

صحار

هي الكورة الوحيدة، والبلدة القديمة، والعاصمة العظيمة، في العهد الأول قبل الإسلام. وقد أطنب الواصفون والمؤرخون في إطرائها وذكرها. وبشأنها يعترف الكاتبون عن الخليج العربي، ولا ينكر شأنها أحد من أهل الاطلاع والمؤرخين، في ذلك الجيل.

وهي خزانة الشرق في العهد القديم. ومركز البلاد العُمانية، ودولة البحر العربي الفارسي. وإليها ترنوا الأعين، ونحوها تلتفت الأنظار.

وهي مرجع الطالب والراغب، ومنتهى الزعماء إذ ذاك والوفود. ولذلك جعل الخليفة الثاني، الفاروق ابن الخطاب رحمه الله، منبر الجمعة الذي لا يزال محفوظاً بها، من عهد ذلك الصِّيْد الزعيم، عمر بن الخطاب ﷺ، لأنه هو الذي عيّن منابر الجمعة في عواصم الأقطار الإسلامية، وتعهد عليها باجتماع الصحابة رضوان الله عليهم.

وكان لها من الشأن، فيما خلا من الزمان، ما تضيق به مفردات المجلدات، وحسبنا كلمة الأندلسي الشريسي فيها. ومن أراد المزيد فليطلبه من كتب الأوائل، كمروج الذهب، وابن الأثير، ونحوها.

وحسبنا الإشارة إليها بهذه الكلمة الوحيدة، برهاناً على ما تسمع.

وهي تقع في الجهة الشمالية من عُمان، في فضاء سهل، كثير المياه العذبة حتى على سيف البحر. وهي قابلة للغراس والزراعات بأنواعها. وبها الامبا الجميل، الموجود بكثرة، المتنوع، المعروف بالمانغا. وبها الليمون الغليظ الحسن، وأحوالها كلها جميلة.

إلا أن تأخر الزمان بها، كاد أن يلقيها في الحضيض الأسفل، إذ تعرت الآن من تلك الصفات الحميدة، لما تحول عنها عرش سلطان عُمان. ولله أمر هو بالغه.

قلهات

أولى العواصم في الجاهلية قبل غيرها لعُمان، فلي العهد الذي باد بأهله وفات. (وهي بقاف، بعدها لام ساكنة، فهاء، فألف، فتاء مثناة من فوق).

وهي المعهد الملكي، والمركز السلطاني المهم، في شبه الجزيرة من الجانب الشرقي. وقد علمت نزول الذي يأخذ كل سفينة غصباً بها، في قديم الزمان، فكانت الدولة المعروفة في الجاهلية الأولى لعُمان، وحسبك إشارة القرآن إليها، وتنويهه بسلطانها العظيم. ولكنها الآن اسم بلا مسمى، وأثر بعد عين، ولله الأمر.

كانت قلهات عاصمة مالك بن فهم، عند نزوله عُمان، ثم مازالت عرشه في الساحل، ومنهج قصره في الداخل، وصحار إذ ذاك بيد الفرس، ثم انتقلت رياسة القطر إلى صحار بعد ذلك، حتى جاء الإسلام، وبها بنو الجلندى ملوك عُمان، وبعده انتقل عرش عُمان إلى نزوى، ثم الآن في هذه العهود الأخيرة إلى مسقط. ومن المحال دوام الحال، والدهر من طبعه التقلب والتغير، سبحان من دبره بحكمته.

صور
من أمهات القطر العُماني

لا يخفى أن صور من أمهات القطر العُماني الآن، وإن لم تجعل عرش دولة، فقد مر لها شان بمن استعمرها من العرب الذين عاشوا بها، وتطاولت بهم القرون، حتى انتقلوا عنها إلى الشام، واختطوا فيها بلدهم بها، فسموها باسم صورهم في عُمان. وهي في الجانب الشرقي عن قلهات.

ولقد أصبحت قلهات في هذا العهد، من أعمال صور التي نتكلم عنها الآن. وهنا يتردد على ذاكرتنا قول القائل، تذكاراً واعتباراً:

وإذا نظـــرت إلى البقاع رأيتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وصور الآن أعمر بلاد الساحل الشرقي من عُمان بغير مدافع، وتصلح بأن تكون مركزاً سلطانياً لعُمان الشرقية، لأحوال لا تخفى على من له نظرية في قطرنا العُماني.

وعن التفصيل عن هذه البلاد يطول المقام، ونكل ذلك إلى رواد البلاد، ومحبي الاطلاع على الكائنات، من سائر العباد، وإلى تاريخ عُمان إن شاء الله.

وأهلها الجنيبيون وهم أربعة أفخاذ، في كل فخذ رهط مستقل بزعيمه. وعندهم غنى بالنسبة لأهل هذا القطر لا يستهان به، فهم من هذه الناحية، كبني ياس في دبي وأبو ظبي، فهؤلاء في شرق الساحل، وأولئك في غربة.

ولأهل صور مهارة في الأسفار البحرية، ولهم ولع به، في همم وعزائم حرة، وهم أهل علم بأحوال البحر.

وصور هذه قسمان: صور السكنى، على الساحل، خصوصاً في أوقات الشتاء، وصور المصيف، في الجانب الأعلى، ويقال لها بلاد صور. وهنا المركز القابض على الموارد، لأنهم يطلقون البلاد على النخل، فهم يعنون نخل صور، وكذلك هذا العرف في جعلان كلها، مع أن المركز الحكومي في صور، قابض على الوارد من داخلية عُمان بكل معناه. وبيده زمام هذه البلاد الفخمة الضخمة.

دبـــي

لبنان الخليج

دبي ويسميها العصريون : لبنان الخليج. أو عروس الخليج. فهي الآن عاصمة كريمة، وبلدة فخيمة، قامت سوقها في العهد الجديد، وهو العهد الذي استعمرت فيه البرتغال مسقط، ولم تزل تنشط أسواقها، وتنمو أممها، ويتكاثر أهلها، وتزيد ثروتها، ويمتد ذكرها في هذا القطر.

وعلى الإِجمال هي من عواصم الإمارات العُمانية، ومن أبهج عُمان وأوسعها عمراناً، وهي حلقوم عُمان في الجانب الغربي، وثغرها البسام العربي. مدينة عامرة بآل ياس بن عامر، أهل الخير والخيل والخول. لها أهميتها في هذه الآونة، وبها أمم من العرب والعجم والهنود، وأخلاط لا تزال تنمو فيها.

ومهم أمرها إلى رئاستها في آل حشر بن مكتوم، من آل أبو فلاسة. وسمعت الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري يقول: إن آل أبو فلاسة أصلهم عبريون. ولا أدري على أي مستند يقول بذلك، والمعروف أنهم من «أبو ظبي»، انتقلوا إليها بعد فتن أهلية كانت بينهم، ولا معنى لما يقوله الشيخ العبري، وليس له كثرة اطلاع تأريخي.

وخلاصة القول أن دبي التي قلنا عنها: إنها عروس الخليج في بهجتها، وحللها الزاهية، وجمالها الوضيء، ها هي تسير إلى الأمام. وكان بها اللؤلؤ سوق رائجة، وعمل قائم، حتى إذا تأخرت تلك السوق عن تقدمها، قامت مقامها أسواق أخر، تنهض بدبي نهوض العاثر من كبوته، ناشطاً بصحته وقوته.

أبو ظبي

وجه عُمان الشمالي

اعلم أن أبو ظبي - واسمها هذا الجاري على نهج الحكاية، رفعاً ونصباً وجراً، ومن شاء أعرب - تقع في الجانب الغربي من عُمان، فهي وجه عُمان الشمالي، وطالعها في الأفق العربي المنير، على مسافة تبعد عن شرق عُمان، كما تداولها الجغرافيون، وحرروا تقديرها بما لا مزيد عليه، فهي في صورتها بلدة أشبه بهلال في سماء.

وقد كبر لها شأن وذكر لم يزل التاريخ يسجله في صفحاته العربية، ويرتله على ألواحه الحرة. ولا داعي إلى وصف جوها الحالي، وعزها وسلطانها المالي، وقد طال ما حج إليها قصاد العرب، أيام زائدها الأول، وأواق اللؤلؤ بها لا أسواق السمك.

ورئاستها إلى آل زايد بن خليفة، المشار إليه في عنصر آل بو فلاح، من عامر صعصعة. وأكبر أمير كان بها هو زايد المذكور كما نوَّه به التاريخ، ورسم مكارمه على الصفحات الزهراء، أيام الإمام عزان بن قيس.

ولأبي ظبي معارف حميدة، وهي كرسي الرئاسة الفلاحية وكنانتها، ذات أهمية في الساحل المتصالح.

والبترول الآن يزيدها جمالاً، ويرفع لها مقاماً. ولله دره إذا أخرج رأسه سجدت له الجباه الدولية على الأذقان راغمة، وإذا مد يده تهافت الكل إلى تقبيلها، وهو باسم الثغر، ضاحك السن، يعلم أنه المطاع في كلامه.

قطـــر

العاصمة الحرة

اعلم أن قطر في القطر العُماني مما يفتخر به قديماً وحديثاً، حيث هي بدر عُمان في الغرب، ونجمها الزاهر العربي مازال يشق سماء الشرف، غير مستور بغيوم الأهواء. وهي جاهلية العمران، مازال اسمها يتردد في التاريخ محترماً، وما برح رسمها في العالم العربي من الجزيرة عليه طُغرى المجد، وعنوان المحامد.

كانت دون ما هي عليه الآن، حتى أفضى بها الحال الآن إلى ما يعرفه كل أحد. وهي نهاية القطر العُماني في الجانب الغربي بالوضع الطبيعي، واتفاق المؤرخين القدماء على ذلك شاهد على ما قلنا.

ورئاستها إلى آل ثاني في الوقت الحالي، وقد رفعت رأسها بهم بين البلاد العربية، وآل ثاني قوم من تميم. ولنا فيهم ذكر عند الكلام على أنساب العرب العُمانيين.

وأميرها الحالي الشيخ علي بن عبد الله، الذي لا تتعقد الأقلام في إطرائه، ولا يجمد مدادها عند ذكره، لما له من محامد في بلده هذا عديدة.

وإليها الآن يشار بالبنان، ولها في هذا العهد أكبر شان. وقد استعمرت عمراناً باهراً، دعم بناءه الذهب الأسود، وأقام صروحه سيدها الأمجد، الهمام الكريم، علي بن عبد الله، الذي أكتب عنه هذه الكلمات، ولم أره ولم أر أرضه، ولم يتقدم من فضله إلا ما وصلني همته ومنشورات عنايته من الكتب الثمينة، ولكن ما أقرؤه عنه من المحامد يدعوني إلى إطرائه، وإلى الثناء عليه. وبأفعاله يعرف الفاعل، وقد جاء في بعض الكتب السماوية قوله

عز وجل: «من ثمارهم تعرفونهم»، ولقد عرفت هذا الأمير من محامد أفعاله، وقرأت عنه مكارم عالية في القيام بحقوق بلاده وأمته، وما أبداه في الالتفات بثقافة علمية، ونباهة دينية. وصراحة فقهية.

يتحلى هذا الزعيم بحلى الكملة من الرجال، ويتزين بزينة الأخيار من زعماء العرب والدين، قبل كل شيء شرف ثابت الأركان، والفقه في الدين جمال العباقرة الأفذاذ من بني الإنسان.

وعلى كل حال إن الأمير سوق ما راج فيه جلب إليه، فإن عناية علي بن عبد الله، على اختلاف أوضاعها، وتباين مواضعها، يدلنا على نفس كريمة في علي بن عبد الله، تحب على الإجمال العلم والأدب، وتتباعد عن الرذايل، وتستند على المراضي الكاملة، والأعمال الفاضلة.

ولو كنت ممن يمدح الأمرا، لمدحته بقصايد تضرب إليها أكباد الإبل، ولكن أفعال الكرام كفيلة بمدحهم. والله يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وهو على كل شيء قدير.

وقد خلفه الآن على وتيرته الطيبة، وسيرته المحبوبة، ولده الهمام المجيد، ولا ريب قديماً قيل: ومن يشابه أباه فما ظلم.

ففي قطر مكاتب مهمة، لا زالت تسوق المؤلفات إلى أهل العلم والأدب، وعلى كل حال إن ذلك يدل على نفس كريمة تحب الخير، وتدعو إليه، وتتباعد من الشر، وتنفر منه، وهكذا أخلاق المسلم الصالح.

وإذا وفق الله الأمير لحب الخير، فطوبى للمأمور بذلك، والحمد لله فإن الناس معادن، وأهل الخير لا يزالون دعاة إليه، وأهل الشر كذلك، وبذلك يمتاز المسلم، والسير إلى الله.

القسم الداخلي من عُمان

بعدما ذكرنا العواصم الساحلية، وجب أن نذكر العواصم الداخلية، لأن القلب هو سلطان الجسد، وهو الذي تقوم به الحياة، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله.

وأعز المراكز في عُمان الداخلية نزوى، فها نحن نذكرها أولاً، ثم نلحق بها ذكر ما بعدها، مما له شأن بعُمان.

نزوى
قلب عُمان

اعلم أن أعظم المراكز العُمانية في الداخل نزوى، إذ هي تخت مملكة عُمان، وكرسي إمامتها من قديم الزمان.

وذلك أنه لما اشتدت الغارات الأجنبية على مركز الزعامة العُمانية، إمامة كانت أو سلطنة، وتوالت الغزوات بتوالي الغزاة، وبقي عرش الزعامة في صحار مهدداً دائماً في قلق، جعلها العُمانيون عرش مملكتهم، ومقر سلطانهم، ومأمن إمامتهم، ومنتدح مهماتهم. وإذ ذاك أشندت فيها القصائد الشعرية، والخطب النثرية.

واستمرت تتقدم ويجلب إليها كل شيء، حتى قام لها ذكر لم يزل التاريخ يتلوه على المسامع، ورَسَم ذكرياتها الأكابر، أيام نقل المركز إليها من صحار، بتوالي الغارات عليه - كما قلنا - برية وبحرية، وطال تزعزعه بعواصف الأعداء، ولم يلبث إلا مُروعاً.

وكانت نزوى مأمونة من غارات الأعداء، إذ هي في قلب عُمان الداخلية، والحال لا طيارات ولا سيارات ونحوها. فإذا نزل الغازي لعُمان، وارتفع خبره إلى نزوى، قامت عليه عُمان بعدها وعديدها، وسدت الثغور في وجهه، وطاردته حتى فُل حده، وضعف جنده، وقل عدده، فيقنع من الغنيمة بالإِياب، ويبقي عرش الإمامة ثابتاً في مأمنه.

وعلى هذا الأساس أمروا بصلاة الجمعة في نزوى أيام أئمتها، وأبقوها في صحار ثابتة الدعائم، قائمة المباني، لم يروا تحويلها منها كلياً، وقد وضعها عمر بن الخطاب فيها، فهي بصحار من ذلك العهد إلى الآن.

وتقع نزوى في سفح الجبل الأخضر من الجنوب، بين جبال هي سورها، في فضاء صالح، غير مكتظة بالجبال من كل جهة، ذات أنهار وبساتين، ونخل باسقة، في جو مناسب.

فكانت حضيرة العلماء، ودايرة الأئمة، ومأوى الصالحين الأخيار، والفضلاء الأحرار، ومجتمع العلماء، ومحط الأفاضل الأصفياء بغير نكران. ويا لتربتها وما حوت من علماء المسلمين جماً غفيراً، وطوت في صحايفها من الأتقياء عدداً وفيراً، والحال أكبر شاهد، وأصدق ناقد.

وقد تنازع رئاستها في الجديد قبائل، من ريامي، وهنائي، وعبري، وحلفائهم. وهي أعرف من أن تعرف، وأشهر من أن تذكر.

وأصلها من العمران الجاهلي، ثم تطورت أحوالها. وذكرها ياقوت وغيره من علماء التاريخ، لكنه ذِكْرٌ عن بعد، فإنه سمع ولم ير. ورآها ابن بطوطة في أيامها المظلمة، فذكر ما رأى.

وفي تقلب الدهر بأهله عبرة للمعتبرين، فبينما ترى أنوار الأئمة، وهدي العلما، وكبكبة الأخيار بنزوى، ومعالم الشرع منشورة، وأعلامه مرفوعة، في عزها وشرفها ومجدها الذي لا مثيل له، إذ يرميها الدهر بعد ذلك برمية تأتي على ذلك كله، فتسحقه وتمحقه، ويتسلط عليها من يسومها الخسف، ويرميها من غطرسته ما تسيل به العيون دماً، كأيام بني نبهان التي ذكرها الشاعر اللوامي وأمثالهم، من أهل الجور والظلم.

وناهيك ما أصابها أواخر أيام اليعاربة، ومن حذا حذوهم، كالجبري في أيامه، فإنه وقع على نزوى ما تذهل له الألباب، وتندهش منه القلوب

وفي طي القضاء بديع سـر   تبوح به عوادي الدهر جهرا

وفي ذلك عبرة للمعتبر، وآية لكل ذي فكر مزدهر، فإنه بعد الإمامة الصالحة، حلت القضايا الفادحة، وبعد الأمن الباهر، نزل الخطر القاهر، وبعد العز والشرف، وقع سقوط الهدف. لله الأمر كله، ولا ريب، فكم قطعت سرر النبيين بين زمزم والحطيم، وكم وضعت الأصنام في أركان الكعبة الشريفة قبلة المؤمنين، ومأوى المرسلين. وهكذا.

بهلى

العاصمة الثانية في الداخل

(هي بضم الباء وفتحها، وسكون الهاء، وفتح اللام، بعدها ألف قصر). من أهم بلاد الداخل، وأعرقها في حسن الشمايل، مركز مهم، له فضل وشرف في الزمان الخالي.

وبهلى - كما قلنا - إنها مدينة علم، وكورة ملك، بأحبار نزلوها وأخيار نشأوا بها، وأفاضل رتعوا في ظلها، ما زال التاريخ يفتخر بذكراهم، وما برح المجد يعرف عن شرفهم.

ولقد جعل بهلى ملوك بني نبهان القدماء عرش مملكتهم عهداً طويلاً. والحقيقة هي أخت نزوى، في غالب أحوالها، وكامل صفاتها. وهي روضة غناء، ومدينة زهرا، وحضيرة حسنا، يتجلى على وجهها جلال شرفها.

وتقع في الجهة الغربية من نزوى؛ على مرحلة واحدة منها. ولقد حوت بهلى من أهل الفضل والتقوى، وأعلام الدين والإيمان، من يفتخر بهم الدهر، ويطرب بذكرهم العصر، وتسيل الأقلام بالثناء عليهم نشيطة، كالأئمة الجهابذ، والقادة الأماجد، لا يسعنا إلا أن نشير إليهم فقط.

الرستاق

وما أدراك ما الرستاق

(بضم الراء المهملة، وسين مهملة ساكنة، بعدها مثناة فوقية، فألف، فقاف).

وما الرستاق إلا عرش ملـك   عليه يستوي المسعود قسرا

هي الوحيدة في بابها، والفذة في أترابها، بغير نكران. مضى عليها حين من الدهر وهي وحدها دولة مستقلة بإمامتها، وجيشها، وزعامتها. إمارة منحازة عن الجمهورية العُمانية، ممتازة بأشياء معروفة، تقوم بحقوقها، وتقدم بجيوشها، وتنافس ملوك القطر، وتشترك في النهي والأمر.

ولها من الذكر ما لا يقوم به مقامنا هذا. وبها من الأعلام من يشار إليه بالبنان، ويفرد بالذكر. ولها عند العُمانيين التاريخ الضخم، والذكر الطايل، في غابر الأيام. وبها من الحدائق، والبساتين، والمزارع، ومحصول الثمر، شيء مهم بالنسبة إلى حاصل البلاد العُمانية. كثيرة الخيرات، والبركات، والمستغلات.

تسيطر على إقليم واسع، من منتهى حوزة نخل في الشرق، إلى منتهى أودية بني غافر في الغرب، وفي الجانب الآخر إلى جَمًّا والمسفاة، ويكون مركز المزاحيط تحت سلطانها، وحصن الحوقين أيضاً رهن إشارتها.

وهي واسطة العقد في هذا الصقع، ويتنازع الرئاسة فيها زعماء عديدون. وخلاصة ما هنالك أن أهم أمرها إلى من بيده قلعتها الضخمة السامية، فهو يتولى زمام ذلك الصقع. وتحيط بها قبائل هامة، تضرها وتنفعها في شدائدها ورخائها.

وآخر أيامها انتهت رئاستها إلى السادة من آل عزان بن قيس، وآخرهم السيد أحمد بن إبراهيم، ناظر الشؤون الداخلية الآن بمسقط، كان أخرجه منها الإمام سالم بن راشد الخروصي.

وللرستاق شأن لا يجارى. وسيأتي كلام على قلعتها في مقامه.

وقد تولاها الآن السلطان سعيد بن تيمور، في الحرب التي وقعت بينه وبين العُمانيين زعماء إمامة غالب بن علي الهنائي، وكان الوالي بها أخوه طالب، فخرج منها خائفاً يترقب، ولم تعد إليها إمارته المزعومة عليها، والملك لمن غلب، ولأم المخطئ الهبل.

والرستاق مدينة هامة، من العمران الأول قبل العرب، ولعلها نشأت أيضاً قبل الفرس، فيما أحسب

وإذا نظـــرت إلى البقاع رأيتها تسقى كما تشقى الرجال وتسعد

والعدل تزدان به البلاد، وتسعد به العباد، وتنمو الأمة معه.

والجور بخلاف ذلك

وهل كالعدل في الدنيا حيـــاة بها تحيـــا الأنـــام وتستطيـــب

وعلى كل حال إن رأي الحاكم فيه الهلكة، فإن فيه النجاة، ولو في أضيق الأحوال، فإنه سياسة سماوية، لا تجاريها السياسة البشرية.

وتقع على سفح الجبل الأخضر، من الجانب الشمالي. وتبعد عن الساحل بمسافة مرحلة واحدة.

من قبائلها الهامة، آل حراص، وآل عوف، وكلاهما من وايل وآل

غافر من سامة بن لؤي بن غالب، وآل عبرة بن زهران. هذه هي القبائل المهمة التابعة للرستاق. ولن ننسى آل سعد، فلهم بها اتصال قوي. وقبائلها الأخرى كثيرة.

ولآل صالح خصوصية في الحالة الرستاقية، في الأزمنة الأخيرة. ومازال شيخنا الأمير عيسى بن صالح كأحد زعمائها يغار عليها، وخصوصاً بالنظر إلى الشخصيات العزانية. والود موروث، والعداوة موروثة، كما قال عليه الصلاة والسلام.

سمائل

حلقوم عُمان الداخلية

وأين حلقوم ذاك الملك معصمه سمائـــل فهي للسلطان سلطـان

هي حلقوم عُمان الداخلية، بإجماع أهل هذا القطر، وواسطة عقده. هي الفيحاء الوارفة الظل، البهجة الرياض، الحسنة المنظر، الجميلة الهيئة.

لها شأن سجّله الدهر، بعلماء أفاضل، وزعماء عباهل، وأمراء أكابر، وأعيان لم ينس الدهر فضلهم، وأخيار ما زالت الأيام تتلو شرفهم ومجدهم.

هي بالنسبة إلى البلاد العُمانية جنتها الوحيدة، ودوحتها الفريدة، وتاجها الموقر. أنهارها جارية، وأثمارها دانية، وأشجارها وارفة، ومياهها متدفقة، ورياضها غناء مورقة.

وبها قبائل مهمة. وتقع بين جبال مكتظة بها، تحيط بها سوراً منيعاً. تحمي حماها أُسود عرينها.

ورئاستها يتولى جانباً منها في هذا العهد آل الخليل، من رهط بني خروص الأقدمين، وهم ذراري الإمام العلامة الرباني سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح، من أشرف بيت في عُمان، علماً وعملاً، وفضلاً ونبلاً، وتقى ومجداً.

ويمتطي ظهر القسم الآخر قوم من آل ذبيان، لا ينكر مقامهم، ولا يضام نزيلهم، ولا يستباح حماهم. ويشاركهم في رئاستها من جديد قوم من آل المسيب، نزلوها ومدوا أيديهم بها، وتملكوا من أزمتها ما لا ينكر، وربعوا في ربوعها قاهرين، ورئاستهم بها صحيحة المعنى، ثابتة الدعائم. وتلك الأيام نداولها بين الناس.

ولسمائل فضل على عُمان بسبق الإِسلام، فإن أول من أسلم من عُمان، مازن بن غضوبة السعدي الطائي، فإنه سار إلى النبي ﷺ بالمدينة، وأسلم وحسن إسلامه قبل أن يدعو النبي عليه الصلاة والسلام أهل عُمان للإسلام، ويبعث إليها عمرو بن العاص. واستدعى مازن رسول الله ﷺ لأهل عُمان، وسأله أن يدعو الله لهم عموماً وخصوصاً. والقضية بين أهل العلم والسير والتاريخ غير خافية.

ولا يزال بسمائل أدباء من أفصح العرب في كل جيل، وإليها يشار بالبنان في ذلك، وحسبك بمثل الإمام ابن النظر، أشعر العلماء، وأعلم الشعراء، والشيخ العلامة الجليل، الخليلي النبيل، سعيد بن خلفان، وابنه الشيخ الرئيس عبد الله، وهذا اليوم حفيده الشيخ عبد الله بن علي، أشعر من بها. وقد جمع شعراءها كتابنا «زهر الخمائل في ذكر شعراء سمائل». وفيها من أهل الأدب آخرون.

وهي بلدة جامعة لصفات الحسن والجمال والشرف، ورونق الازدهار، حسا ومعنى. وإن لدعوة رسول الله ﷺ أثراً بها يعرفه أهلها.

فهي جاهلية العمران، تحيط بها جبال من جميع جهاتها كسور لها، لها بابان فقط لدخولها. ويقع حصنها بالقلب منها. ويشقها في وسطها مسيل واديها، وهو ميدان الصافنات بها فيما خلا، وهي قسمان بهذا. ولنا في ربوعها أيام الشباب قصيدة مطلعها:

أهاجك برق لاح أعلى سمائل ... فبتَّ له في لوعة وبلابل

أم الورق إذ غنى على الأيك صادحاً ... أم الماء إذ يجري بتلك الجداول

أم الروض والأشجار باسمة به ... أم الدار أم من حسنها المتكامل

وهي كفيلة بالتعبير عن حقيقة سمائل.

سمد الشان
في شرقية عُمان

وناهيك بها، فإنها العلم المرفوع في الجانب الشرقي من عُمان، والمركز المنظور إليه في ذلك المكان، والكرسي العريق بشرقية عُمان، حدث عنه التاريخ أحاديث سارت بها الركبان، وحسبك بذلك أيام ملوك بني نبهان.

فإنها قاعدة من قواعدهم، وعرش رفيع من عروش مملكتهم، ومحطة

من محاط رحالهم، ومعقل منيع من معاقل زعامتهم. وهي - ولا تزال كل العصور - كوكب الشرق بعُمان، وإن ضعفت الحال في بعض الأزمان، فإن الأيام دول، وتقلب الدهر يشهد به الواقع.

وكان لسمد الشان السيادة على النواحي الشرقية حتى جعلان إلى صور، فيما خلا من الزمان، ومن يستقرئ التاريخ يعرف ما نقول.

ومتى سميت سمد الشان؟ لعله أيام الإمام عزان بن تميم، فيما أحسب، ذكر ذلك في بعض السير العُمانية، في أخبار هي من وظائف التاريخ، ومن مباحثه الممتعة. وليس للعنوان سنة في بسط ذلك، فإنه جعل عنواناً يشير إلى الحوادث من بعيد، وينص على المهم منها فقط، لأسباب تستدعي ذلك.

وفي سمد الشان أخلاط من القبايل العُمانية. ورئاستها من قديم لآل جهضم بن عوف بن مالك بن فهم، وهم العريقون بها.

ومن قبائلها الآن آل حبس، وهم ذوو اليد فيها قبل غيرهم، وبها زكاونة، وورود، ومعاول، وحرث، وغيرهم، من آل بوسعيد، وقبائل أخرى.

وإذا كانت سيطرتها على الشرقية فيما خلا إلى جعلان وصور، فهي ولاية مهمة، حقيقة بالإطراء، خليقة بكل ذكرى، ولا ريب فلعلها لذلك سميت: سمد الشان.

مقنيات

اعلم أن مقنيات - وضابط اسمها (بضم الميم وكسرها، وكسر القاف، وسكون النون، بعدها مثناة تحتية مفتوحة، فألف، فمثناة فوقية) - هي من غراس المملكة النبهانية، تقع في الجانب الغربي من عُمان الداخلي، من أعرق البلاد، وأطيب المناخات.

كانت إحدى حواضر زعماء النباهنة، وبها غرس فلاح بن محسن النبهاني شجرة المانغا أول ما غرست في عُمان، وهي المعروفة الآن بالأنبا، وبعضهم يقلب الهمزة هاء. وقد جعلها المذكور الحرم الذي يأمن فيه، والمرتبع الذي تقر فيه عينه، ويطيب عيشه بأشودها الحصين وقصرها المكين.

وهي في موقع منيع، ذات أنهار وغراس وبهجة، تعشقها القلوب، وتميل إليها النفوس، لريفها وهوائها السجسج، ومنظرها المبهج، وحصانة حصنها الذي لا يزال منيع الحمى بقوم من بني كلبان، رهط من أرهاط وائل، استولوا عليها من عهد غير بعيد، فعضوا عليها بالنواجذ، وأخذوا بزمامها بيد من حديد، فلا تزال في أيديهم يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه.

ولقد مضى عهد على عُمان الغربية، متبعثرة الأساس، متلاشية الأمور، تتلاعب بها الرؤوس وتسود فيها الفوضى. ويدعّي كل ما بيده من إرث أبيه، وهي من هذا النوع إلى الآن. وبعض المناطق كذلك. فمتى يكون لحكومة عُمان شأن يذكر وحالها هذا؟.... إنا لله وإنا إليه راجعون.

مملكة أضاعها المالك، فلا جرم إذا صغر الأمر، ووهنت القوة والحال هذا، ممالك متبعثرة، وبلدان متدثرة في حوزة متأخرة.

وإذا تقسم الملك ضعفت قوة المالك، وهانت شكيمة الممالك، وهذا أمر قد ضرب في عُمان أطنابه. فهذه حصون عُمان وممالكها، تفرقت في أيدي الرؤساء من قبائل عُمان، وكانت عُمان جزءاً لا يتجزأ من أبو ظبي إلى جعلان، ساحلياً وداخلياً، حتى ظهر فيها الساحل المتصالح وغيره، سياسة اقتضت ذلك، حتى تتلاشى بها الممالك. إنا لله وإنا إليه راجعون.

عبـــري
كرسي الظاهرة

(هي بكسر العين المهملة، وسكون الموحدة، بعدها راء مهملة، فياء ساكنة).

كرسي بلاد الظاهرة، وقاعدة ملكها، وحماها المنيع. من أجمل بلاد الظاهرة وأفخرها، وأوسعها مقاماً، وأفسحها مناخاً، وأطلقها هواء، وأنضرها رياضاً.

ولها يخضع كثير من قبائل ذلك الأفق، وبلاد السر هي عينها الباصرة، وهامتها العالية. هي عاصمة الظاهرة، ودائرتها الحسناء، وروضتها الغناء. واقعة في تربة صالحة، وأفق صحي. قابلة للغراس على مختلف أنواعه.

هي في هذا الأوان، إحدى الولايات الحكومية، وأهم مراكز السر في عمارة.

هي النافذة التي تطل على عُمان الداخل، والباب الذي يمهد السبيل للواصل إلى عُمان من الجهة الغربية. وحيدة في الشرف الرئيسي، والمصباح

الذي يدخل به رايد عُمان بتلك الأجواء في حيطة عربية، وزعامة يعقوبية، يشترك معها أنصارها مع شتى القبائل، وبالأخص قبائل البدو، كالدروع، وآل خميّس، وبني قتب، وبني كلبان، وغيرهم من أنصار رئاسة عبري.

أما الزعامة في هذه الأوقات الأخيرة فهي إلى آل عبد الله بن راشد اليعقوبي، وعلى اسمهم تقوم، وفي صالحهم تسعى.

وهي الآن تحت السيطرة السلطانية السعيدية، اسماً ومعنى، بخلاف العينين.

وللسياسات مناهج، كما للرئاسات معارج، ولكل زمان سياسة، كما لكل وقت رياسة. فالعينين والدريز هما إلى علي بن سعيد بن محمد بن سليمان الغافري حتى الآن، وهو خاضع لسلطان مسقط.

توام أو البريمي

اعلم أن البريمي هي التي كانت تدعى توام، (بفتح المثناة الفوقية، بعدها واو مفتوحة، بعدها ألف، فميم). والبريمي (بضم الباء الموحدة، وفتح الراء المهملة، بعدها مثناة تحتية ساكنة، فميم مكسورة، فياء أيضاً)، على صفة النسبة إلى بريم أحد تجارها المتأخرين.

وتقع في فضاء مرتفع، مع هواء مطلق لا يعرقله عن مباشرتها شيء ما، في أرض سهلة هادئة مكشوفة. إليها تطول الأنظار، وترتفع الأعناق. مفتاح قفل عُمان من الجانب الغربي، ومصباح قصرها المشيد العربي.

ولها السلطان المسلط في أنحاء أرض الجو، وقبائلها الفذة في الحماس وصراحة اللهجة، ووفور المادة المعنوية.

وناهيك بها في القرن الثاني من الهجرة، أيام بني الجلندى، أو عهد الإمام المهنا بن جيفر، أجل أئمة عُمان عظمة وشأناً. فقد جعلها الجلندانيون كرسي مملكتهم، وعرش زعامتهم، وراموا بها الاستيلاء على عُمان، حتى محا ذلك الإمام ومزّقه.

والحقيقة هي رمز الصولة على عُمان من هناك، ولها الحول والقوة على أرض الجو كلها، ومنها تتوالى الأخطار، لأسباب هي من حقوق البحث التاريخي. وكم ذكرها التاريخ منذ نزول العرب بعُمان، إلى هذا الأوان الذي نحن فيه، عصر الذهب الأسود، الذي تتهالك عليه الدول القوية الرئيسية.

وللبريمي في هذا العصر، حميد الذكر. ويود كثير أن يكونوا من منابت تربتها، والدهر يبدي للعقل العجائب

وفي تقلب هــذا الدهر معتبر   للناظرين بعين العقل في الأمم

واعلم أن موقع البريمي من عُمان موقع رئيسي، لم يتزعزع من عهود عديدة، وأزمنة طويلة. ولقد نهج أهلها في العاجل إلى الجانب الغربي منهجاً مدعى، لا أصل له إلا الفرار من ملوك عُمان وأئمتها، لما تباعد منها عرش الإمامة إلى نزوى، أبدت تعلقاً بآل السعود في العهود الأخيرة الاستبدادية، وتركها الأئمة والملوك العُمانيون في الآونة الأخيرة استبقاء لها، ورعاية لأمتها، ودفعاً لروعتها، وتسكيناً لوحشتها، حتى أثرت تلك الأنظار تباعدها عن سلاطين عُمان وأئمتها، والذئب يأكل القاصية من الغنم.

ولقد مر على ملك عُمان زمن طويل مضاعاً بأيدي المتنطعين، الذين لم يكونوا للملك بأهل، ولا للسلطان بأكفاء، يدعون الزعامة ادعاء فارغاً، لا مبرر له، ولا شاهد به. ولا يخفى الحال في غضون الأيام التي تلاعب فيها

الغوغاء المتنطعون بأهوائهم، كأيام الغزوات القرمطية، إلى الفتن الهنائية الغافرية، إلى الأحوال الجبرية، لمطلقها ومديريها، وما إلى ذلك من أحوال.

وفي هذه الآونة التي جاءت بابن عطيشان، وكان في تلك الظروف ما كان، فامتدت الأنظار إلى البريمي، وأصبحت حديث السمر، وأحدوثة أهل الفكر، وحل بها ماحل. وإذا هي فريسة الطامعين، أصبحت بين أنيب تروم نهشها، وأشداق تحاول قضمها. وللملك عبد العزيز إليها نوايا قوية، تعرقلت بقضاء الله وقدره.

وللسلطان سعيد بن تيمور إليها التفات، والحقيقة هو أحق بها. والذهب الأسود يشف من وراء الستار فيها، ويوقد في الجوانح لهب النار. والمطامع الدولية تنادي بلسان غير متعقدة، وجنان غير متهيب.

وإذا رجعت العقول إلى الإنصاف، فالبريمي عُمانية طبعاً ووضعاً بل هي الصدر من جسم عُمان، وفيها البلعوم، وإليها النظر في الصحة والفساد. وداست القوى السلطانية واحة البريمي فعلقتها بين الثريا والثرى، حتى يقضي الله فيها ما يشاء. فلله تلك الرياض الزاهرة الزاهية، المحتوية على الجنان الخضر، والرياض الزهر.

ومن يعوّل على الحقائق يعلم أنها من أملاك عُمان، لا علاقة لها بغير عُمان أبداً، اللهم إلا إذا كانت الأمور تديرها القوة الفعالة، فللسيف حكم غير حكم القلم.

ولسنا ممن يرضى بتباعد البريمي عن السلطان العُماني مهما كان الحال، فليس لعبد العزيز ولا آله في البريمي حق، وإنما الحق فيها لعُمان، وأهل عُمان.

والقائم بأمر عُمان الآن، السلطان سعيد بن تيمور. ومن رام بعُمان نهجاً عنه فقد أخطأ خطأً فاحشاً. والزمان قد استدار أو كاد في هذا الوقت، مؤذناً برجوع الحقوق إلى أهلها.

وما تمركز الأجانب في البريمي، إلا تهييجاً لسلاطين عُمان وأمرائها. ولن تترك عُمان واحة البريمي لزعيم أجنبي أبداً. ومن نافسها في البريمي فخارج عليها، معتدياً في مرامه.

وإذا أصبحت البريمي أجنبية عن عُمان، تبعتها عُمان بغير نكران، ولن يكون ذلك وأيدي عُمان تحمل السلاح، ورجال عُمان ترومها بالصباح والرواح.

ولا حق لأي زعيم في البريمي، لغير الزعيم العُماني. وأي عُماني يرضى أن تخرج البريمي عن المملكة العُمانية، إلا أن يكون غراً جاهلاً، أو مغلوباً عليه، مرغماً على ذلك. وهيهات يرضى سلطان عُمان أن يداس رأس مملكته لواطئ بقدمه الأجنبية، هذا ما لا يعقل.

وأسباب ابتهاج البريمي بالدائرة السعودية معروفة، ونواياه مفتوحة، والسلطان غير غافل.

المراكز الأخرى بعُمان

لا يخفى عليك أنا نعني بالمراكز البلاد الحكومية، التي بها حصن فيه والٍ وقاضٍ ونحوهما، من السلطات الحكومية، التي لها النفوذ استقلالاً، أو مرؤوسة من قبل الرئيس الأعلى، إماماً كان أو سلطاناً.

وإذ قد تكلمنا على مراكز عُمان الرئيسية، ساحلياً وداخلياً، فقد وجب أن نلفت الأنظار إلى المراكز الأخرى، التي لها أهميتها المعروفة، وشؤونها الموصوفة. فنقول: إن من المراكز الساحلية بعد، مما لم يمر عليك ذكرها، جملة غير خافية.

السيب
الثغر القريب للوطن الحبيب

اعلم أن السيب هي ثغر مسقط في الجانب الغربي، وثغر وادي سمايل والشرقية، كما هي ثغر الأودية الأخرى، للقاصد إلى العاصمة مسقط.

فهي محور هذه البلاد، وقطبها الذي تدور عليه، وإليها تنحط قبائل هذه الأودية التي ذكرناها، وبالخصوص أهل وادي سمايل والشرقية، بل وكل وارد إلى عاصمة عُمان مسقط، من جميع الثغور العُمانية ساحلياً وداخلياً. وهي تعتبر باباً أولاً لمسقط من هذه الوجهة، وقد اتخذها أئمة عُمان

القُدماء رباطاً مهماً، وموقعه منها المعروف الآن بالخُرَيِّس، (بضم الخاء المعجمة، والراء المهملة المفتوحة، والياء المثناة من تحت مشددة، آخرها سين مهملة)، وهي التي تسمى دما سابقاً، لا يدريها الآن إلا خواصهم.

وللسيب مقامها العجيب، وهي الآن لبنان الخليج، ببساتينها، ومياهها، ورياضها، وحياضها، وهوائها المطلق الفيّاض، النقي الندي، البارد طبيعياً. تقع في سهل هادئ متسع.

وقد أخنى الدهر على دما المذكورة، ورمى بها في الحضيض الأسفل، وأبقاها بلا مسمى، فأصبحت ولا يعرف عنها شيء، بعدما كانت الرباط الكبير، والمجمع الرفيع. وبسكانها تعظم الديار، وبأهلها تبتهج البلاد، وتزدهي برجالها وأعمالها وحسن أفعالها.

والسيب من أبهج البلاد في الباطنة، ومن أول الباطنة في الشرق. ولو التفت إليها أولو الأمر، وأعاروها أذناً واعية، لكانت روضة من أبهج الرياض.

ولست أنسى كلمة فاهَ بها الزعيم الباروني المجيد، حين طاف على أنحاء الباطنة، لما تولى وزارة الداخلية لسلطنة مسقط، قائلاً: لو كانت عند دولة غير عُمان لكانت تجري ذهباً. ومعناه صلاحيتها للغراس، لكثرة مائها العذب، وسهولة أرضها للعمل. فإذا أعيرت اهتماماً دولياً، أصبحت جناناً وارفة، وبساتين زاهرة، وعاش الأهالي بها في أرغد عيش، وأسعد حياة.

فإن بحرها الهادئ المملوء بالخير العميم، والفضل الجسيم، يستطيع خوضه القوى والضعيف. وقد جعلا لله بفضله بحر عُمان مخزن خير لأهل عُمان، ففيه من الأرزاق ما لا يخفى على العاقل، من السمك بأنواعه، وهو بحر الدر والجوهر.

رأس الخيمة

أو جلفار القديمة

اعلم أن راس الخيمة أو جلفار القديمة - كانت رأس الخيمة تعرف بجلفار (بضم الجيم، وسكون اللام، وفتح الفاء، بعدها ألف، فراء مهملة) - من أهم القرى العُمانية الساحلية، قديماً وحديثاً. وناهيك بحديثها القديم والحديث.

كان من جملة حديثها القديم، قتل الإِمام الجلندى بن مسعود وجيشه أجمع بها، مع قاضيه العلامة المرضي، هلال بن عطية، ومحو تلك الدولة، وإدخال عُمان تحت السلطة النائية.

ومن حديثها الحديث، ما وقع بها أيام السلطان سعيد بن سلطان، إلى آخر أيامها. ولا شك أن قتل ذلك الإمام المرضي فيها، ينذرها بشر ينزل بها، ولو بعد حين.

كان الجلندى أول إِمام بعُمان، فخرج عليه خازم بن خزيمة التميمي الدارمي، جاء يجر القوات العباسية الأثيمة، فكان من قدر الله ما ذكره التاريخ.

ولقد اتخذها أمراء فارس في العهد الأخير، أيام غاراتهم لعُمان، قاعدة عسكرية، لقرب البلاد من بلاد فارس، إذ تتراءى النيران من الجانبين، ولذلك اختاروها لزعامتهم العسكرية. وهي بلدة واسعة، وقرية جامعة. بها الآن اختلاط من الأمم، وأنواع من الرحل والمواطنين.

وسبب تسميتهم لها براس الخيمة، كان سيف بن سلطان اليعربي

الأخير، استنجد بالعجم، فجاء بجيش ضخم، وخميس جرار، أنزلهم براس الخيمة المذكورة، وكانت هي إذ ذاك تحت السلطة اليعربية، فعسكروا بها سيف وجنوده العجم المذكورون، وضربوا للأمير خيمة كانت سرادق الأمير، وكانوا يضعون عليها بالليل سراجاً، يعرف به مناخ الأمير الخاص، وتسير عليه سفنهم التي تجيء بالليل، فيتراءون ذلك السِّراج فيقولون: ذلك رأس الخيمة. يعنون خيمة الأمير، حتى شاع ذلك إشاعة عرفٍ، حتى أطلق على البلد فغلب عليها، فقالوا راس الخيمة حتى اختفى اسمها الأصلي.

ولا ذكر ولا شأن قبلها لأي إمارة عربية، في العهد الذي أشرنا إليه، في الجهة الغربية الساحلية، وإنما حدث بعدها أم القيوين، (بكسر القاف، وسكون الياء، وفتح الواو، بعدها مثناة تحتية أيضاً، ثم نون) وكذلك عجمان والحمرية. بل السبق لراس الخيمة، قبل دبي، وأبو ظبي، والشارقة.

وأما جلفار وصحار، فهما العريقتان في هذا المضمار، ولهما السبق بين تلك الديار. وقد ذكرت راس الخيمة باسم جلفار في الكتب القديمة. فسبحان الذي يغير ولا يتغير.

بعض المراكز المهمة

ومن المراكز المهمة التي ينبغي أن لا يفوت القارئ علمها في الداخلية، وليعرف شيئاً من أحوالها جملة، فيعلم العربي عن بلاد قومه شيئاً كان يجهله. فإن الجهل قبيح، وعلمك بالشيء خير من جهلك به.

وعُمان جنة الجزيرة العربية في كل زمان، لاتصال عمرانها، وكثرة قراها وبساتينها ورياضها، بل حتى سيوحها بالنسبة إلى الفلوات النجدية وما إليها. فعُمان غيطان، ورياض، وأشجار ملتفة، في أكثر المقاطعات.

ميدنة ازكي أو جرنان

اعلم أن إزكي (بكسر الهمزة وفتحها، وكسر الكاف، قبلها زاء معجمة، ثم آخرها ياء)، أو جرنان (بفتح الجيم المعجمة ثم راء مهملة، ثم نون، فألف، فنون) يقال: هو اسم صنم في الجاهلية.

وأين إزكي وطيس الحرب ما فعلت ... فإن عمدة هذا الأمر جرنان

هي مدينة قديمة، من العمارات العريقة مجداً وسؤدداً، ذات شأن وذكر حافل بمهام التاريخ، إذ قام بها أمراء بني سامة الأمجاد قديماً، واشتهر بها من فحول العلم عباهل أطواد. ولم نذكرها في سياق البلاد الرئيسية،

لكونها في قلب عُمان الداخلية، فلم تكن قاعدة ملك، ولا ثغراً من الثغور.

ولم تزل العلماء تخرج منها، ولم تبرح الأعيان في خباياها. ولكن الزعماء الساميون مرحوا في ربوعها عهداً، وقعدوا على عروشها زماناً، وأهل الحل والعقد من رجالهم بها. ولولا أنها في قلب عُمان الداخلية، لكان ذكرها حقيقاً أن يسجل في مصاف البلاد السلطانية، التي ذكرناها سابقاً.

ولو ذهبنا نتكلم عن أحوالها القديمة لخرجنا عن الموضوع، لما لها من الشأن جاهلية وإسلاماً. وحتى الآن هي من البلاد المهمة.

وبها في القديم رئاسة بني سامة بن لؤي بن غالب. وتخضع في هذه العهود الأخيرة لزعامة آل نبهان، اسماً دون معنى، إلا في بعض الأحيان. وهي ذات ريف متسع، وفضاء لا بأس به. ويرجع إلى زعامتها كل ذلك الصقع، من حدود وادي بني رواحة شمالاً، إلى مدينة منح جنوباً، وإلى أعمال سمد الشان شرقاً، ونزوى غرباً.

ومن أشهر علمائها الشيخ الكبير موسى بن علي في القدماء، والشيخ محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي، والشيخ أبو زيد عبد الله بن محمد في المتأخرين، وأبو الحوارى وأمثاله كثيرون.

وأقول - والحق يقال - إن أكثر علماء عُمان من هذه الثلاث العواصم الكبرى، نزوى فبهلى فإزكي وإن كان في غير هذه البلاد علماء عديدون، فالأكثرية مقرها هنا قديماً. ولكل بلاد اختصاص.

أما نزوى فعلماؤها منها ومن غيرها يساقون إليها لتقويم الإمامة، والقيام بشؤونها. وأما ما عداها من البلاد فعلماؤها منها غالباً.

وفي تربة عُمان من أئمة العلم كثيرون، يعسر عدهم، ويطول ذكرهم. وقد قالوا: إن العلم باض بالمدينة، وفرخ بالعراق، ثم طار إلى عُمان. فانظر شرحنا لكشف الحقيقة.

بدبد
التي لا بد منها

وبـدبـد لا بـد من ذكرهـا　　　فـإن الفتـوح لـها شـامـل

اعلم أن بدبد - بضم الموحدتين، بعدهما دالان مهملان ساكنان -، هي الباب الأول للداخل على وادي سمايل، والموقف الثاني للنازل إلى الساحل. من المراكز المهمة بهذا الوادي، فهي مفتاح وادي سمايل وقفله، ومن يكن المفتاح بيده ينفتح له القفل طبعاً.

ولها مقام في النظر الرئيسي. وهي - حقاً أقول - مركز استراتيجي منيع لهذا الوادي. ولمعقلها في أنظار أهل الزعامة شأن رفيع لا يستهان به مهما كان. ثغر من ثغور عُمان، يسيطر على حوزة واسعة ذات شأن من بلدة الخوض، آخر بلدة في بوادي سمايل من جهة الباطنة، إلى ديار الرحبيين من آل همدان.

وتضم أهم بلاد السيابيين نفعاً وتوابعها، وقسماً من ديار آل ذبيان، في الجانب الغربي.

وأهم شأنها كونها الثغر والبلعوم لعُمان الشرقية، إلى عبري غرباً، فهي تسيطر على طرق المواصلات لهذه الديار كلها. كانت مملوكة متعددة

القبائل، فأصيبت بالغرق المجتاح لها بجائح شديد، أتى على معالمها كلها، فتركها ولا يعرف شيء عنها، ولم يبق أحد من أهلها، ولا يعرف مال زيد من مال عمرو، وكان ذلك أيام الإِمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي، رحمه الله.

ولا تزال الأودية طاغية عليها كل آن، لانبساط مجرى السيل بها، فإذا تلاحقت الأودية بها ارتفعت إلى أموالها، فتسحقها وتمحقها وتتركها في حال يرثى لها، لأنها تأكلها من جهاتها، وتجتاح شجرها ونخلها ومزارعها.

وبسبب الغرق الذي أصابها، صارت لا تميز ربوعها، فجعلها أئمة عُمان بيت مال كلها، طيلة أحد عشرة قرناً، أي منذ اجتاحها ذلك السيل صارت مجهولة الأرباب، فصارت بيد الإمامة كأمانة لأهلها، وأنى لها بأهل وهي على هذا الحال. ولم يغير منها الأئمة شيئاً ما، حتى هذا العهد الذي نحن فيه.

وأمر الإِمام محمد بن عبد الله الخليلي، بالبيع من أموالها لمصالح الدولة حين دعت الحال إلى ذلك، واستشار العلماء في ذلك فأجازوا له ذلك، نظراً لصلاح الدولة، فباع أكثر أموالها، كما باع الأكثر من غيرها، أو الكل من سواها.

ولا يخفى عليك أن مقامها العسكري لا يزال محط أنظار الأئمة والسلاطين، ولا ريب فإن العين تعرف ما في العين، ولله على أحوال كونه أسرار. ومن بيده مفتاح قفل لا شك هو فاتحه. وبقبضها يقبض على شرق عُمان الداخلية والغربية أيضاً إلى عبري. فإن قناة السويس أيسر من بحر المانش إلى الشرق.

وألصق الناس ببدبد الآن آل المسيب، لأنهم جيرانها الأدنون، ولهم أكثرها، وتحيط بلدانهم بها من جهاتها، ومنهم تخاف، ولهم تخشى. ولا رئاسة لقبيلة خاصة بها، لأن سكانها غالباً أجراء عملها، أخلاط من الناس غالباً، بعضهم لحصنها وبعضهم لأموالها.

ولا يخفى فإن العرف العُماني يجعل اسم الحصن خاصاً بمقام ولي الأمر، الذي هو كحاكم أو أمير أو وال أو قاض ونحوهما، وهو محل مقام حاكم البلاد، سواء أكان الحاكم الأعلى أو غيرها كما قلنا.

وحكم هذه الحصون، راجعة إلى بيت المال، لأنها تبني غالباً باسم الدولة، سواء أكان الباني الحاكم الأعلى أو غيره، من بيت المال.

نخــل
في الجانب النعشي من الجبل الأخضر

تقع مدينة نخل بالجانب النعشي من الجبل الأخضر، إلى الشرق في الداخلية، فهي مركز في قلب عُمان، ولها إشراف على تلك النواحي من بلاد وادي مستل، حتى ديار آل ذبيان في الشرق، وديار آل معولة بن شمس، إلى ديار بني صبح، حتى حوزة الغوالي في الجانب الغربي ولها إشراف ساحلي بناحية بركا، فهي مركز هذه البلاد قديماً.

فهي تحتوي على واحة واسعة النطاق، وإليها يتوجه قسم من آل ذبيان، وقوم من حراص وايل، وقسم من بني صبح، وآل المسيب. هذا حالها الرئيسي السابق.

وهي من المدن العامرة بأخيار وأفاضل وعلماء، لازال لهم ذكر في

عالم التاريخ. وهي في ذاتها من أشرف بلاد عُمان. جبلية الوضع. بها مياه نابعة من صميم الجبل الأخضر، تحت صخره الأكبر.

تحتوي على قبائل من كندة وحراص وريام وسليمة بن مالك، وأخلاط أخرى عديدة. ويجيب دعوتها آل حراص، وآل ذبيان، وآل المسيب، وفي المهمات الكبرى الريامي. ولها في النبهاني حب شيعي.

ونخل من غرر البلاد، وفي أهلها طاعة وانقياد. وهي (بفتح النون، وفتح الخاء المعجمة، بعدها لام).

وكانت رئاستها في هذا القرن الرابع عشر لأولاد ثنيان، حتى باد القوم، وانمحت رسومهم، وقطع دابرهم.

حراص من نخل تمزق شملهم   كبنـــي سبــاء تمزقوا مـن بابل

وأصبحت نخل ورئاستها إلى قلعتها، تسجد لها راضية وكارهة، لا حول لها ولا طول إِلا بها، وإليها زمام البلاد جارت أم عدلت. والأمر لله وحده.

ينقل بني علي

أو شبكة الغصون

اعلم أن ينقل (هي بمثناة تحتية مفتوحة، ونون ساكنة، وقاف مكسورة، بعدها لام ساكنة) هي في حد ذاتها بلاد ظاهرية، عريقة الشأن، خالية الذكر، مازالت الزعامة العلوية تتوالى عليها في الأيام الخالية، بل ما برحت مَصْيَدَةً للغصون زعماء بني علي ورؤسائها، وهم رهط الإمام عبد الملك بن حميد،

فهو من هذه العشيرة. كان من أجلة أيمة عُمان.

وينقل مذبحة الغصون، فهي السيف الصارم لأعناقهم، والسهم النافذ في أكبادهم. منذ ترك أيمة عُمان وملوكها بلاد الظاهرة، وممالكها المبعثرة، فهم يتولون أمرها، ويسيطرون عليها. وهم رهط قحطاني أزدي عريق، ويختص بالزعامة فيه بطن يقال لهم: الغصون.

وهم الآن ولاة أمرها، وبيدهم زمامها. وعامر بن سيف بن عامر ابن غصن بن سنان بن سليمان، قطب رحاها، وأمير حصنها، وإليه منتهى رئاستها، في الوقت الحاضر. وهو من الوجهة العامة خاضع لسلطان مسقط، وعينه ناظرة إليه.

والغصون ليسوا من عمود نسب بني علي، فهم قوم من نجد، من خصوص بلد الحوطة، نزلوا على بني علي بن سودة، ويقال: سود بغير هاء. فاندمجوا فيهم، وتولوا رئاستهم، فصار لهم على هذه العشيرة الحول والطول.

واعلم أن ملك عُمان بعد اليعاربة لم يجتمع لإمام ولا سلطان، وبذلك تشعب ملك هذه الدولة العربية المجيدة، حتى أصبح من بيده أمر بلد كوال وقاض وزعيم، عاضا عليه بالنواجذ، يدّعيه لنفسه، وينافس عليه غيره.

وكذلك في جميع الممالك التي احتوت عليها عُمان، إبان رقيِّها بيعاربتها الأقيال، وأئمتها الأبطال. وصار بعد ذلك من احتوى على بلد يلقب نفسه بأميرها أو ملكها أو سلطانها، كأن القايل يشير إليهم حيث يقول:

ألقاب مملكة في غير موضعها

والاستبداد ممزوج بالأنفس السيئة، ومغروس في طباعها، إلا من شاء الله.

الدريز والعراقي

جناحا العينين

اعلم أن العينين لما استقر وجودها في ذلك الصقع، كانت عيني هذه البلاد، كما يعرف عنها اسمها، فالدريز بالجانب الشرقي منها، والعراقي بالجانب الغربي الجنوبي عنها. وهل يعيش عيشة كاملة في الكون حي بدون عينين؟

أما الدريز - على وزن عزيز، (بدال مهملة مفتوحة، وراء مهملة مكسورة، وياء مثناة من تحت، بعدها زاي معجمة) - فبلدة تؤيد العينين، وتخضع لها، ولا أهمية لها من الوجهة الاستراتيجية، وخصوصاً في هذه العصور، لتوالي الضعف عليها بكرات المحل الذي مزقها، حتى أصبحت شيئاً دون الأشيا.

وهي لا تزال مرؤوسة للعينين، ملك علي بن سعيد بن محمد بن سليمان الغافري، من بني سامة بن لؤي بن غالب. فالدريز واقعة في فضاء طيب مطلق، صالحة للغراس وللزرع، واسعة الأراضي، مستوية الوضع، لا خفض ولا رفع.

وأما العراقي فهي (بفتح العين المهملة، والراء المهملة أيضاً، بعدها ألف، فقاف، فياء ساكنة) بلدة طيبة ببساتينها وجنانها ورياضها، واتساع فضائها. لم يكن لها شأن رئيسي منيع.

يتولى أمرها العبريون، فهم فيها الحمى المنيع، وإليهم نفوذها. وهي الآن مضافة إلى ولاية عبري، ومن حقها أن تضاف إلى ولاية العينين، ولكن لما لا يخفى على الفطن اللبيب، أن الأوضاع الغافرية والهنائية، غيرت من

أحوال هذه البلاد الطبيعية فما أضيف إلى عبري إضافة معنوية، وبقيت العينين وزميلتها الدريز في تحزب، أثاره سوء الطوايا، وأعان عليه قوم آخرون.

والحقيقة أن الدريز والعراقي يمين العينين وشمالها، وكلاهما من أبهج بلاد السر وأطيبها.

ويحل في جانب من العراقي قوم من البلوش، ولا تاريخ لأصل وجودهم في هذه البلاد، إلا ما يتحراه المتفكرون، من أنهم قوم كانت الدول العُمانية تستعملهم كجنود وأنصار، بدعوى أنههم من غير الجنسية العُمانية، ولا المذهبية، فتسكن النفوس السلطانية إلى أمانتهم، وتركنُ إلى نصرتهم، فتمضي عليهم الأيام فيستوطنون البلاد، ويطمئنون إلى ريفها الرائق، فيخضعون لحكمها، ويدينون بطاعتها.

وهذا الحال موجود في طباع البشرية أياً كانت، فلا يستغرب وجود هؤلاء البلوش بعُمان، على هذا الحال. فتراهم جيلاً واسعاً في عُمان، يشاركون في خيراتها، ويمتصون ثمراتها، وهم في قلب عُمان وقالبها، كالعراقي ومازم وبدية وجعلان وصور، ففي هذه الأماكن منهم جنود تعد بالمئات، بل إذا قيل بالآلاف فغير بعيد. وحسبك بوجودهم في الباطنة، البلد الخصيب، والمعهد الرحيب.

وقل أن يخلو بلد منهم، وخصوصاً المدن الكبرى تجد فيها أكثرية لهم ملموسة، ومن حيث لا تجمعهم بالعُمانيين جنسية، إذ هم أمم هندية بلوجستانية، ولا تلمهم بعُمان مذهبية غالباً، إلا في هذه العصور الأخيرة التي انتشرت فيها بعُمان المذاهب الأخرى، بمثل هذه الأحوال التي نذكرها هنا، ولا ريب فإن عُمان قريبة من بلاد بلوجستان، كالهند ومكران وما إليهما،

وكون العُمانيين فتحوا هذه البلاد، وجاؤوا برجال منها أسارى ومستخدمين، والشيء لا شك ينجذب إلى جنسه، ويسكن إلى نفسه. ولا يخفى عليك أن جواذر بلاد بلوجستان، وهي لا تزال تحت الراية العُمانية، من عهد بعيد حتى الآن. وكان البلوش يفيضون على عُمان موجات ضخمة، على هذه الصفات وعلى أساليب أخرى، لا زالت مستمرة طيلة هذا العهد، كتجار ولاجئين وأجناد ومعاملين ومنتجعين ريف عُمان وخيرها في أمان واطمئنان. وقد أدركوا فيها ما لم يدركوا في غيرها، فترى فقيرهم يأتي في حالة لا مثيل لها، فيظل عهداً قريباً في عُمان، في أنعم عيش، وأطيب حال، فيستدعي ذلك آخرين من أبناء جنسه، فيأتون ولا مانع ولا معرقل، فيجدون عيشاً قاراً، ورزقاً داراً، ومقاماً آمناً، فينزلون دفعات على عُمان.

وقد جلب منهم سعيد بن سلطان جد ملوك مسقط كمية وافرة كما جلب غيرهم. ولحقهم بعد ذلك قوم من الهندوس، أي البانيان من كفار الهند، نزلوا عُمان نظراً لاتصال أسلاك المعاش، وإدرار الخيرات على البلاد، فاستوطنوها وانتشروا فيها، وبالأخص في سواحلها، حيث هي تحت راية سلطان مسقط، وهو وتلك الدول بموجب الاتفاق بينه وهؤلاء كانوا رعاياها، فلذلك تراهم آمنين مطمئنين في ظله، محروسين بعدله.

أما غير هؤلاء من الأجناس الأخرى، قل أن يوجد بعُمان، من نصارى أياً كانوا إنجليزاً أو برتغالاً أو فرنساويين ونحوهم، فلا، إلا الذين جاؤوا الآن باسم الشراكة في الأعمال البترولية، والضباط على الجيش الجديد بعُمان.

وأما العينين فهي عمدة هذه البلاد كلها، لان الروح بيدها، فهي تسيطر على الأفلاج التي تحت قدمها، وهي واطئة عليها وطأة الحازم العازم، وقابضة عليها قبضة الرئيس على المرؤوس.

وكانت العينين من أملاك محمد بن ناصر الغافري، ثم انتقل أمرها إلى آل محمد بن سليمان الغافري إلى الآن.

وهي وليدة الدولة اليعربية. وقصرها المنيع أقام أركانه ناصر بن محمد بن ناصر الغافري. بأموال جلبها من خراج البحرين، لما كان والياً عليها، للدولة اليعربية في خبر بديع ذكره المؤرخون. وقصر العينين مالك الأزمة للعراقي والغبي وعبري، كما يعرف ذلك كل المطلعين على الوضع.

والعينين كاسمهما، عينان ناظرتان لذلك الجسد الضخم، الذي لا حياة له إلا بامتثال أمرها عند التحزب القبائلي في تلك الأصقاع.

ضنـك
في فخامتها وجمالها

اعلم أن ضنك - وهي بضاد مفتوحة، ونون ساكنة، بعدها كاف - من أفخر البلاد وأوسعها، في قاع خصب بين حزون جاثمة، روضة من الرياض الغنا، وارفة الظل، دانية القطوف، مغروسة بما يعود عليها نفعه العميم.

من أطيب بلاد الجو، وأوسعها عمراناً، حدايق متكاثفة، ومقاصير متوالية. ابتليت بقوم من البدو المتوحشين، واستهانت بعداوة الأهل والجار، ولولا ذلك لكانت عين بلاد الجو كله، وتاج ذلك القطر بأسره.

هي الآن خاضعة لسلطان مسقط. ورياستها، تكثر الدعاوى فيها، كما يقال:

وكلٌ يدعـي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكـا

في ضنك أخلاط من القبايل العديدة إذ هي من أمهات القرى، وفيها قوم من آل عزيز، وهم من أعرق قبائلها. وللنعيم بها المقام المحمود، والمشهد المعهود، وهم رؤساء علايتها، ولهم بها مقام لا ينكر. وبقية القبايل لفيف في أمثاله:

وأين ضنك وأقيال النعيم بها

وبها قوم من الصلوف وإلى النعيم يرجعون. وبها الوحاشا، من رجالها الذين لهم فيها سهم لا يطيش.

وفي ضنك من زعماء الرجال مقاديم، وفي مناهج الأحرار أمجاد، وحسبك بالشيخ اليحيائي مثالاً لأولئك في هذا العهد، وهو أي اليحيائي من العنصر الخروصي على الصحيح، وهو من الرجال المحسنين في الظاهرة، مصلح حر، معروف بخصال قل وجودها في غيره، في هذه الأجيال. وفي الرجال بقايا بلا جدال.

وفي عُمان أبطال، ليس لها مثال. إن من مارس رجال عُمان، وعلم من زعمائهم أخلاقهم، علم أن لا وجود لأمثالهم في الأحياء العربية الآن في كل مكان، اللهم إلا أن يكون في العراق، على ما يبلغنا.

إبراء المساكرة وآل الحارث

إِبراء (بكسر الهمزة، وسكون الموحدة، بعدها راء مهملة) في الجهة الشرقية من عُمان، وفي الجبهة الغربية من شرقية عُمان.

بلدة واسعة بالنسبة إلى تلك البلاد، وبها مزارع. وهي إمارة الشرقية في العهد الجديد. وتتعلق بها الآن قرى كثيرة، أصبحت إبراء مرجعها. وبها

الحاكم من طرف الحكومة شرعياً كان أو سياسياً.

ويتنافس في شأنها قوم من آل الحارث بن كعب بن اليحمد، وآل الأسود بن ماء السما، والكل أزد. وآل الأسود الآن يختصون باسم المساكرة، وإليهم أمر علايتها، وهم الآمرون والناهون فيها. ولآل الحارث سفالتها.

وليست إِبراء من الوجهة العسكرية في شيء، لدخولها في قلب الشرقية من عُمان. وقد جعلها بعض الملوك القدماء مركز الشرقية حتى صور التي سبق الكلام عليها، يرجع أمرها إلى ولاية إبراء. ولكل زمان دولة، ولكل دولة رجال، ولكل رجال سياسة.

وزعامة آل الحارث ترجع إلى آل صالح بن علي في عُمان. وزعامة آل الأسود إلى زعماء معروفين في المساكرة، منهم الشيخ هائل بن راشد، ومنهم ذراري الشيخ جمعة بن سعيد المغيري، ومنهم أولاد إسماعيل بطن معروف. وفي رعاية الأحساب تجد بياناً عنهم.

القابل

عرش آل صالح بن علي

القابل (بفتح القاف، بعدها ألف، فموحدة، فلام، على وزن فاعل) بلدة اتخذها ذلك الشهم الهمام الصالح صالح بن علي، عاصمة إمارته، ومقر زعامته. فهي كرسي الشرقية أيام المذكور، ثم استمر بها الحال إلى الآن. وهي هي في اسمها ومعناها. وبآل صالح عظم شأنها، وارتفع اسمها، في عالم التاريخ العربي العُماني.

وآل صالح قوم من بني سامة بن لؤي بن غالب القرشي، كما سوف ترى نسبهم في محله من «العنوان» إن شاء الله، وأوفى منه كتابنا المسمى رعاية الأحساب بحماية الأنساب، فيه بسط واف عن هذه العائلة، فقد جعلها أي القابل ذلك العالم الجليل قاعدة الشرقية كلها، فكانت الجيوش منها تخرج، والألوية بها تعقد، حتى عهد الأمير عيسى بن صالح. ثم عضده بها ذلك العلامة المجيد أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي رحمهما الله. ولقد مر عليها زمان وهي مرجع الخايف، ومأوى اللاجئ، وعون الرايد.

ولقد قام بها عيسى مقام صالح في أهل عُمان عامة، فكان شخصية عالية، ديناً وإيماناً، وتقوى وصلاحاً، ولكل درجات مما عملوا.

فالقابل بآل صالح في الشرقية، كعبة الوارد، وقبلة القاصد، وعمدة الراجي. ولله في خلقه ضناين، ولا ريب، فإن كل زعامة أساسها العلم، لا بد وأن تكون حجة عالية، وزعامة سامية، فإن العلم أساسٌ لحياةٍ طيبة، ودعامة يرجع إليها كل متزعزع.

والعلم وإن كان دنيوياً، لا بد وأن يكون زماماً قوياً، لاقتياد المجد والشرف، فكيف به إذا كان دينياً، وكان الله عز وجل نصيره وظهيره، فإنه ينزل بالمملوك منازل الملوك.

فقد تدرع صالح بن علي بالعلم، وتقلده سيفاً صارماً لا ينبو، فكان العلم مدداً للفرض. وقام عيسى مقامه، واشتهر بتقواه وعفته، وزهده وورعه، وكان الله عونه في مقصده، لأن مقاصده كانت كلها الله.

فعاش محبوباً محترماً موقراً من جانبي عُمان معاً. والله الموفق لكل خير. وإذا أحب الله عبداً جعل حوايج الناس على يديه، فيحسن إليهم فيؤجر عليه عند الله، ولله المنة.

بديـــة

مقاطعة آل الحجر

بدية - بفتح الموحدة، وكسر الدال المهملة، وفتح الياء المثناة من تحت مشددة، على وزن هدية - اسم لمقاطعة معروفة، متعددة البلدان. كانت قاعدتها المنترب (بضم الميم، وسكون النون، وفتح التاء المثناة من فوق، بعدها راء مهملة، فموحدة ساكنة).

فبدية اسم متناول لجميع بلدان هذه المقاطعة. وقد صارت بدية مركزاً حكومياً، من عهد غير بعيد المدى في التاريخ. ومن بلدانها: الجاحس (بجيم معجمة مفتوحة، فحاء قبلها ألف، فسين مهمله).

والشاحك (بشين معجمة، فألف، فحاء مهملة، فكاف).

والغي (بغين معجمة مفتوحة قبلها لام التعريف، فموحدة مشددة مكسورة، بعدها ياء).

والحوية (بضم الحاء المهملة، وكسر الواو، وتشديد الياء المثناة من تحت، بعدها هاء التأنيث).

وفلج المطاوعة، والظاهر، بلدة الإمام السالمي رحمه الله.

وكل هذه البلدان رائقة زاهية فيحاء، تقع في مرتفع عن أرض جعلان، في رمال سيالة متنقلة، طيبة الهواء، نقية الروح، جافة بهجة، تناسب للصحة تمام المناسبة الطبيعية بطقسها الصحي.

وهي الباب للداخل على شرقية عُمان، من جانب جعلان. وأهلها

الحجريون قوم من الأزد، ولهم فضل وشرف، ومنهم صلحاء أوفياء أعزاء ميامين. ولا زعامة لغير الحجريين فيها، بل هم السادة بها. ومركزها العسكري الحكومي غير قديم الوجدان. والآن هي تابعة لسلطان مسقط ورياستها.

جعــلان

أهم ثغور عُمان

جعلان (بفتح الجيم، وسكون العين المهملة، بعدها لام، فألف، فنون) اسم لمقاطعة واسعة، وواحة عديدة الأرجاء. تشتمل على قبايل لها أهميتها.

وواحة جعلان في عُمان منقطعة النظير، تقع في سهل ممتد من جبل قهوان (بفتح القاف، وسكون الهاء، وواو مفتوحة، بعدها ألف، فنون) حتى الرويس (بضم الراء، تصغير راس) على الساحل، وحدود بدية في الداخل.

وأرض جعلان طيبة التربة، حسنة الغرس، كثيرة المياه، خصبة رطبة، نزحت المياه من قلب عُمان إليها، فانصبت فيها، فسكنت في أرضها، فلذلك تراها خضرة المرابع، زاهية الفلوات، مخضرة الأرجاء، شجر ملتف، وغوطات متكاثفة، وفلوات متسعة، ورياض رائقة، في هواء رقيق بارد، وأرض هادئة وادعة. تعادل أرض الباطنة اتساعاً، وتزيد خصباً وحسن تربة، تتخللها الرمال. لها أهميتها التاريخية، وشأنها الوحيد.

أعظم قبايلها بني بو علي، قوم من اليمن، يكثر عددهم، وتطول عدتهم، ولهم في الباس أحوال سجلها التاريخ بين طياته، وتداوله الكاتبون من إفرنج وغيرهم، ومسلمين ومن إليهم، وبالخصوص في القرن الأخير،

فإن لهم حروباً، ولهم في الحروب سطوات، وفي المعارك مواقف مشهورة، يتناقلها الجيل بعد الجيل. وبلادهم هي القسم الشرقي من جعلان، وإليها ينتمي أمر هذه المقاطعات، ومنها يقوم، وبها يطير. ولأهل جعلان أخلاق ساذجة، ولطيف لهجة حسنة.

ومن هذه المقاطعات بلاد بني بو بحسن، قوم من اليمن أيضاً. وأكثر أهالي شرق عُمان يمنيون. وبلادهم من أحسن البلاد في جعلان، وتربتها طيبة، صالحة للغراس، صالحة للعمران. وبصفة عامة جعلان كلها كذلك. والماء لا يزال يتخلل تربتها، ولا يزال خالداً في ثراها، لنزول أرضها عن بقية عُمان الغربية. ولقد توليت عليها من الإِمام الخليلي رحمه الله، ونظرت أحوالها.

وأرض جعلان من البقاع التي ينبغي أن يلتفت إليها، ففيها متسع لأهل عُمان، وبها غنى لهم عن كل مكان، فهي تكافي نصف الأمة العُمانية لو نزلتها واستعمرتها، فهي أشبه بأرض عُمان الداخلية. فإنها إذا أزيل الرمل عن سطحها، برزت منها أرض جميلة التربية، ممزوجة بالثرى الذي يشف عن الماء.

ولآل شمس في جعلان عزمات في الحروب، وصبر على الحوادث، وهمات عالية. وهم بين قبائل عُمان إِذا وعدوا وفوا، وإذا غضبوا جفوا، وإذا قابلوا شفوا، بادية حرة كريمة. فهم في قبايل جعلان السيف الذي لا ينبو، والجواد الذي لا يكبو.

ولقد توليت أنا هذه البلاد المذكورة، من قبل الإِمام الخليلي رحمه الله، كما قلت آنفاً، فلم أرَ منهم غير الجميل غالباً، وإن كان الناس لا يخلون

من طغام. ولقد خرجت من جعلان هذه وبقي سلاحي في أيديهم، فنفخ فيهم الشيخ النجدي نفخة سوء، دعتهم إِلى الإصرار على سلاحي كغنيمة. ولما رجع أمر عُمان إلى السلطان فأبلغته، كان جوابه لي رد الأمر إلى الشيخ الشهم المطاع، خليفة العبد الصالح، فأجابني هذا بما لا يوازن جناح بعوضة، وبقي سلاحي في أيديهم إلى أن ألقى الله تعالى، إِذ لا منصف لي.

ومن بلاد جعلان بلد اسمه الوافي. هو لبني راسب، قوم من الأزد لهم الذكر الخالد في التاريخ العربي. ومنهم الإمام عبد الله بن وهب الراسي الإباضي، إِمام أهل النهروان، الذي سجل المؤرخون شرفه العريق، وحفظوا في رسائلهم كلماته الثاقبة، وأيدوا دعوته الصادقة.

وبلد الوافي كاسمه. واقع أعلى جعلان، إلى الجانب النعشي. روضة من الرياض، وحديقة من الحدايق الزهراء الزاهية، أخذ من الجمال حظه، ومن الكمال الحيوي نصيبه. يطوف عليه نهر طيب، يتدفق على غياضه، وينساب في رياضه. ويالّلوافي بين البلاد العربية.

ومن جعلان بلاد الكامل. وهي بلدة طيبة، وروضة حسنة، تشاطر الوافي في كمالها، ويمدُّ يد الإخاء إليها. وبين الكامل والوافي كما بين اسميها من مناسبة معنوية.

وتقع الكامل بالجانب النعشي من الوافي، في الصدر من أرض جعلان، بالنظر إلى مرتفع الأفق العُماني. وأهلها قوم من الهشم، من العنصر النزاري، الذين نزلوا عُمان أيام مالك بن فهم، واستعمروا هذه البلاد.

وبنو راسب استعمروا تلك من عهد غير بعيد المدى، ذلك لأن من نظر إلى أرض جعلان أحبها، ورغب إليها، ولم يزل يود الركون إليها. وكان

استعمارهم أرض جعلان في عهد الأيمة اليعربيين، وكذلك الوافي والكامل. وبين البلدين أخوة معنوية، كأن أهلهما قبيلة واحدة، لما بينهما من الاتحاد والارتباط.

ولقد توليت أنا هذين البلدين أيضاً، من السلطان سعيد بن تيمور، ولاية لم يطل عهدها، كما لم يطل عهد ولايتي لجعلان بني بحسن، لأحوال هناك اقتضاها الحال.

وكل من الهشم وبني راسب، له السيادة على بلده. وزعامة بني راسب ترجع إلى أولاد فارس. وفيهم الآن ياسر بن علي بن صالح، وفي آل ربيع ناصر بن محمد بن خميس. ومن أعيان أولاد فارس ولد راعي البادة.

وزعامة الهشم منوطة بأولاد خادم، ومنهم الشيخ حليس بن خادم بن خلفان بن حليس بن خادم بن محمد. وفيهم بطون لها رشداء مسؤولون.

ويدعي الرئاسة على هاتين القبيلتين، رؤساء بني بو علي، فقد تصدق هذه الدعوى في بعض الأحيان، بخلافها في بعضها. والدهر ذو تقلب، والله يخفض ويرفع، والكل لحكمة.

وبنو راسب والهشم وبنو بو علي في هذه العهود يد واحدة، ولسان واحد. والأصل النسبي معروف، فإن بني بو علي، قد يكون لهم في بعض الأحيان التسلط على هذه الأنحاء، إلى وادي بني خالد وصور، وذلك غير مجهول في العصور الغابرة، ولا داعي إلى ذكر ذلك هنا، فإن العنوان لا يحتمل البسط، والتاريخ العام لعُمان هو المسؤول عن تفصيل هذه النقاط المشار إليها.

ورئاسة بني بو علي ترجع إلى أولاد حمودة بن سلطان الصلتي، من أهل حلم - بوزن قلم - من أودية الطائيين. وهم كذلك أي من الصلوت الذين كانوا بحلم، فنزحوا إلى جعلان.

ورئاسة بني بو حسن ترجع إلى قسمي القبيلة، فهم مطاعني يرأسه أولاد حميد بن راشد، وصواعي يرأسه أولاد راشد بن علي.

وبصفة عامة جعلان بلاد طيبة، وعشايرها تغلب عليها البداوة، في أغلب الأحوال.

وللجنبة في جعلان صوت مسموع، ومقام مشهود، وتدعمه لهم صور البلد المعلوم. والكل محتاج إليها.

ولقد التفت أيمة آل يعرب إلى جعلان، وشرعوا في استعمارها، فكان من عملهم مدينة الوافي، وسوق الإمام، الذي قضت الزعازع التعصبية عليه، فسقط في أول ظهوره. ولو أراد الله خيراً لأهل عُمان لأطال عمر تلك الدولة العلية، التي ما برحت ساعية في جلب كل خير، ودفع كل ضير. وإذا أراد الله أمراً كان.

فلما بعث الله اليعاربة لإِحياء عُمان، وعمارتها، وتأييدها، وإعلاء رايتها، وقوة شوكتها، ورفع علمها، ألفتوا أنظارهم إلى كل ما يعود إلى عُمان بالخير الجامع، والشرف الواسع، فعمروا فيها الأنهار، وأحيوا البراري والقفار، وبسطوا أيدي العمل في كل ناحية، فكلما جئت إلى جانب من عُمان، وجدت لهم فيه أثراً، وكلما نزلت على صقع، أدركت لهم فيه عبرا. وأخذوا في استعمار جعلان، كما أخذوا في غيره، فهم في قلب عُمان للحصون بانون، وفي أطرافها للعمارة مجدون، وفي أراضيها للشجر

غارسون، وهم في الممالك الأخرى فاتحون، وهم للجيوش في الثغور مجندون، ولكن ضاق الوقت بعمل زائد عليه، فقد اكتسحوا الممالك، وتغلغلوا في الخارج من كل المسالك.

ولقد ألقيت نظرتي على جعلان أيام ولايتي لها، فأسفت على ضياعها أدراج الرياح. وهي كما وصفتها لك أيها القارئ. فعسى الله أن يقيض لها من يقوم بعمرانها، فيسعد بها أهلها وكل شيء يأتي في وقته.

نعم يميل الناس إلى استعمار الباطنة، لكونها على ساحل البحر فهي حاضرته، وبما يخرج لها مما تعيش به. والنفس مجبولة بحب العاجل.

ولا بـــد للدهـــر يـوماً من تبدله   بحلية المجد بعد البوس والحزن

راس الحد

أو رأس عُمان في الشرق

فاصل بحري مهم، في الجانب الشرقي، وهو مركز استراتيجي في تلك الجهة. وهو الآن تابع لحكومة صور. وهو خرطوم ممتد في البحر، ربما اصطدمت به السفن المارة حوله، التي لا تحقق المجرى فتهلك بالاصطدام رغم قوتها. وربما ذهل عن خطه بعض المعتادين المرور به، فانصدعت صفاة قوتهم. وأغلب أهله بدو، يعتاشون من مثل هذا الحال الذي ذكرناه.

وعليه العلم السلطاني الأحمر، لا يزال يخفق معبراً عن السلطنة العُمانية بأنها عروته الوثقى، لا عن تابعيته للزعامة الصورية، صفا الدهر أو تكدر. فإن شؤونه القبيلية لها وجهة أخرى.

وإلى الزعامة الهناوية منتهى أمره. وإمارة آل صالح صالحة لكل صالح، وهو غير مستقل عن هذه الزعامة المشار إليها.

وقد يعلم الشرقيون الأحوال التي نتحدث عنها هنا، إلا عند من رأى اليوم، ولم ير أمس. فراس الحد فاصل مهم في الجانب الشرقي، والمعالم البحرية ليست بأهون من المعالم البرية. وأهله أكثرهم يمانون، ويمنهم يعبر عن صالحهم.

رأس الجبال
أو رؤوس الجبال

هذا هو الراس الثاني، يقابل الراس الأول الذي هو راس الحد. فراس الجبال أو رؤوس الجبال المعروف في جهة الشمال خرطوم ممتد، متصل بسلسلة واحدة من جبال الحدان تغريباً، إلى أن سقط في البحر، فهو أشبه بهلال في أول ظهوره، معروف عند البحريين، فاصل للركن الشمالي الساحلي. وهناك البحر أغزر ما يكون، حول الجانب الشمالي من عُمان.

ورؤوس الجبال عامرة برجال من قبائل شتى، هم في ضميره قاطنون، وعلى كاهله نازلون. والشحوح - وهم ذراري مالك بن فهم - ألزم بهذا الجانب، وفيه أقوى وأقدر.

والحقيقة أن السهل الساحلي - ويشمل الباطنة بمن فيها - أشبه بهلال رأسه الأول جبال مسقط، ورأسه الثاني جبال الشحوح. وهو تصوير متحقق، وهو المعروف برؤوس الجبال، المشار إليه.

وها مما يقوي عُمان فإن جبالها هي حصونها عند ثورة العدو عليها. وأوديتها أبواب تلك الحصون. وإذا سدت الأبواب امتنع الدخول، إلا ما شاء الله، كما يشير إلى ذلك قوله عز وجل: ﴿سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي...﴾ الآية.

والجبال عواصم طبعاً، فإن الجبل الأخضر ما زال طيلة القرون الأولى حصناً منيعاً لعُمان، من كل عدو يطرقه. وما بلغنا أن حاكماً احتله في العهود القريبة، إلا الإمام عزان بن قيس. ثم احتله الآن سلطان مسقط وعُمان، سعيد بن تيمور، وها هو في يده الآن، وتحت قدمه بلا نكران، وباحتلاله احتل عُمان كلها، رغم أعدائه. وما زال يتداوله الأولون، من شراة ويحمد وبنو ريام.

وكذلك الشحوح متحصنون بتلك الشمالية، مسيطرون عليها، لكنها خالية الأهمية، بل عُمان قلبها، وروحها الجبل الأخضر، وهو كرسيها الذي تستقر عليه حكومتها آمنة من العدو الأجنبي، مهما كان الدهر، لأن أسباب التحصن كلها فيه. فأين القلاع، وأين الحصون ذات الامتناع، وأين المصانع التي تعب فيها البناة والصناع.

وستبدي لك الأيام عن هذا الجبل أسراراً، وستكون له في المقبل أخبار. وإذا طال الدهر سيكون جنة عُمان في مصيفها، كمصيف لبنان. هواء بارد، ونسيم سجسج، وفاكهة حلوة، ونفحات عطرية، وأمان أهله، وهو أعظمها.

المراكز الأخرى
غير التي ذكرناها بعُمان

اعلم أن المراكز التي ذكرناها، هي الأهم منها فالأهم. ولقد بقيت مراكز أخرى، نذكرها هنا إلحاقاً لها بتلك حكما، فنقول:

إن المراكز التي أحدثها أيمة آل يعرب المعروفون عند الخاص والعام، ومن مبانيهم الدالة على ما هم عليه إذ ذاك من القوة الدولية، والسعة المادية، وما يتجلى هناك من عظيم هممهم، والآثار دالة على المؤثر.

تلـــك آثارنـــا تدل علينا فانظـــروا بعدنا إلى الآثار

مدينة جبرين

إِن جبرين - وما أدراك ما جبرين - بلدة غير كبيرة، لكن رفع شأنها في عالم الحياة، ذلك السيد المجيد بلعرب بن سلطان، سيد عُمان في أيامه. فبنى فيها ذلك القصر العظيم، الذي أصبح أعجوبة الدهر، ومفخرة المصر في عُمان.

انتقى الإمام بلعرب المذكور واحة جبرين، حين اتسع نطاق الملك،

وعادت الإِمامة مبسوطة الأعمال، غير محدودة الآمال، كادت أن تضيق بها بلادها، خيلاً ورجالاً وجنوداً، وأصبحت البيضاء والصفراء ملء الأيادي، وأصبح العُمانيون إذ ذاك كما يقول القايل:

من تلق منهم تقل : لاقيت سيدهم

لذاك رأى هذا الإِمام في واحة جبرين له متسعاً، وفي صقعها له مرتبعاً، في قاعة واسعة أحاطت بها الجبال كسور لها، غير مزدحمة عليها، ولا مكتظة بها، فاجتهد هذا الإِمام الوحيد في تشييد قصره المشيد، فكان من عظمة التاريخ، وأكبر آياته، في باهر صنعة، وعجيب اختراع.

جعله إِمام المسلمين المذكور، من المصانع التي تبهر أعين الرائي، ومن الحصون التي يخلدها الدهر، فكان عاصمة هذا الإِمام، ومقر زعامته، وعرش سلطنته، وبهجة حياته، وعمره بالعلماء وإِطرائه، وإِعجاب الناس به، أكثر ما جاء عن أهل العلم والشعراء، فتفننوا في ذكره، وأطنبوا في مدحه قديماً وحديثاً. وما زال آية الإِكبار والإِعظام في التاريخ العُماني.

وإليك هذه الطرفة الطريفة، أبيات عن نابغة مسقط، في عباراتها اللائقة، ورموزها الفائقة، للأديب الذكي، شاعر دولة مسقط في عصرنا هذا، هلال بن بدر بن سيف بن سليمان البوسعيدي يقول:

يـا نسـمة مـن ربى جـبرين مسـراها — أهدت لقلبيَ ذكـرى لسـت أنسـاها

وأنعشـتني ومـا بالقلـب مـن وطـر — إلا عهــوداً أناجيهــا وأرعاهــا

في ظـل قصـرك يـا جـبرين مرتعهـا — وتحـت دوحتـك الشـماء مأواهـا

من لي بجبرين أم مـن لي بدوحتـها — مـن لي بسـاحتها مـن لي بريّاهـا

مـلء الفـؤاد ومـلء العـين موقعهـا ... وفي ضـميريَ أنى سـرت أرعاهـا
يومي بقصرك يا جيرين قـد قصـرت ... سـاعاته ودقيـق الفـن أفناهـا
أقلـب الطـرف في أشـكال هندسـة ... وأسـتعين خيـالي في خباياهـا
يا قصر حـدِّث وفي التـاريخ مفخـرة ... وقـد خبرتـك مزهـواً وتيّاهـا
قـومي بنـوك وليسـت كـف عاريـة ... تفننـت فيـك واسـتوحت خفاياهـا
مـا أنـت يـا قصـر إلا آيـة بهـرت ... تكفـل الـدهر في إيضـاح معناهـا

وفيه من أقوال الشعراء العُمانيين وغيرهم شيء كثير، ومن شعراء الدولة اليعربية أكثر. ولقد أطنبت الشعراء في وصف هذا القصر وبانيه، وكاد أن لا يبلغ الوصف من صفاته إلا ظاهرها.

وهو دليل على كثرة الغنى بعُمان، وبسط الثروة لهم، إذ كان بناه من صلب ماله على ما قيل. وكان تمام بنائه قبل أن يلي الإمامة بسنتين. فانظر في الأموال التي أنفقها على بنائه، وتصورها في نفسك، تجد شيئاً عظيماً، ما خزنه بها لحوادث الدهر.

والمال روح الملك، وزعيم الإمارات وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾، لأن المال هو الحجة في الممالك، وبه تمهد المسالك، ويتعالى المالك، ولا ملك إلا بمال، ولا مال إلا برجال.

وإذا دخلت جيرين وسرحت الطرف في هيئة ذلك القصر العظيم، أخبرك الحال أن لعُمان شأناً يتعالى عما يقوله أعداء عُمان. وأهل عُمان في زمان لم يكن الذهب الأسود فيه موجوداً، وإنما هو خراج الأرض الحلال، وجباية المحاصيل الشرعية. والأمر لله.

إن أمر هذا القصر لأشبه بمسجد بني أمية، لما وقف عليه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، ورأى ما رأى مما هاله، وأسف على ما أنفق عليه من المال، فقال فيه ما قال. ثم زاره بعض ملوك الروم ورأى المسجد على تلك الحال، فقال مقالته المشهورة، فقال عمر: اتركوا مسجدكم، فإني أراه غيظاً لعدوكم. فكذلك هذا القصر، مما يغيظ أعداء عُمان والله المستعان.

الشهباء
أو قلعة نزوى

اعلم أن قلعة نزوى هي من القلاع العظيمة في العالم، يحتار العاقل في تصوير الهمة التي قامت ببنائها، ويذهل ربيط الجأش في تمثيل العزمة التي دعت إليها. والهيئة التي وضعتها عليها لا أقدر أن أمثلها.

وبالجملة أقول: هي قلعة عظيمة البناء، متينة الشكل، فخمة الهيئة، في بطنها سبعة أبواب لارتقائها، على كل باب فتح يدخل الضوء منه، ويشرق عليه، كمرصد له. ولا يتهادى لدخولها إلا من سبقت له معرفة بطريقها، إذ يجد نفسه في قبة مظلمة، أو صندوق مغلق. يندهش من روعتها الرائي.

وإذا تصورت مدة بنائها، والإنفاق عليها، وما قام به الإمام في خدمتها، علمت ما لهذا الإمام من القيام بشرف عُمان، وإعلاء شأنها وإظهار القوة لها، وحب التأييد للزعامة الإسلامية.

فإن بناء الحصون داخل تحت الاستعداد للأعداء. وإظهار عظمة الإسلام من أعظم القربات عند الله، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾. فكل من هؤلاء الأيمة أعد قوة خاصة وعامة، وسوف ترى عنهم ما تفتخر به،

وإن قد ذهب فإنه داع لمن جاء بعده، للاقتداء بفعله.

وباني هذه القلعة الإمام سلطان بن سيف بن مالك بن أبي العرب وهو أب بلعرب بن سلطان، الباني لحصن جبرين، المقدم ذكره. وكانت لهذه القلعة في نظر بانيها نظرة عالية الشأن، في رفع علم نزوى على أعلام عُمان، إِذ هي تحت عُمان وكرسي مملكة العرب إذ ذاك، فإنها عاصمة الإِمامة بعُمان. وفي ذلك أيضاً تأييد لبيضة الإِسلام، وإِعلاء لشأن الدين والإيمان. لم يبنها ليتحصن بها، وإنما بناها ليرفع بها من قدر عُمان، فيما يأتي من الزمان، كما رفع بغيرها من مستطاع ذلك العصر.

وقد جعل أهل عُمان نزوى فئتهم التي يتحيزون إليها. وإِليها يأرزون

فحط رحلـك عنهـا إِنها بلغت ... نزوى وطافت بها للمجد أركان

ولنزوى في عُمان شرف برجالها الأتقياء، وفضلائها الأوفياء، فإن رجال نزوى كل حر كريم يأتي إليها من بقايا عُمان، لأنها روضة العلماء، وحضيرة الفقهاء، ومهد الأيمة، ومرتبع الأخيار، من جميع الديار من عُمان.

حصن الحزم

اعلم أن حصن الحزم قصر ملوكي عظيم، ومعقل إِسلامي كريم، بناه الإمام العظيم الهمة، الطاير الصيت، المقدام الوحيد، السيد المجيد، الذي طفحت أفواه السير بأخباره، واندهشت أفكار العظماء بآثاره، الذي حسنت نياته الحرة، وصلحت مقاصده البرة، الذي وسع نطاق الملك ومد سلطان المسلمين في الخارج، فلم يزل شمساً مشرقة على آفاق العروبة، وعلماً مرفوعاً في سماء الرشد، ونوراً وقاداً على عالم الإِمامة العالية.

واختارت فكرته النيرة واحة الحزم مركزاً يمتد ظله طيلة الدهر على الخطين، الساحلي والداخلي، ومرجعاً للكل، تذهب إليه عظمة الرستاق، وترفع إليه هاماتها، وتضرب إليه أكباد الإبل من جميع الآفاق، ويرجع إليه بالمهمات من هذا القطر، وله فيه مآرب أخرى. ويحشر المؤمن على نيته.

وهو أي هذا الحصن آية من آيات المصانع، وعظمة من عظمات التاريخ، وقصر من قصور أئمة الحق، وسلاطين العدل، الذين يرون إعظام هيئة الحق بكل معنى، وإظهار قوة المسلمين بأي وجه، وهو من العدة التي أمر الله بها أن تتخذ لإرهاب العدو، وصيانة البيضة الإسلامية رغم أعاديها، وملجأ يلجأ إليه الخائف من عوادي الدهر.

فابنوا وشيدوا حصون العدل شامخة وحافظوها بعزم باهر الأثر

إن هذه الحصون الثلاثة في عُمان أضحت مفخرة عُمان، ودليلاً على عظمتها.

ولقد أطنب الشعراء في وصف هذا الحصن العظيم، كما هو شأنهم في إطراء كل مستحدث فخيم، حتى ألف فيه بعضهم وفي بانيه تاريخاً حافلاً مستقلاً، بقصيدة ميمية، جمع في شرحها سيرة هذا الإمام، وحروبه، ومجملاً من أعماله وأخلاقه وصفاته ومقاصده في الإسلام، التي لم تكن لمن قبله من الأئمة، ولا كانت لمن بعده. وهذه القصيدة هي التي يشير الإمام السالمي إليها في تحفة الأعيان. وهذا مطلعها:

لقصر بكر العلى والمجد والكرم قصر نشا في مقر العز بالحزم

وهي طويلة غرا، جاءتنا بعظيم من صفات هذا القصر وعجائبه، وصفات بانيه الإمام المرضي وأخباره وهممه، وما دعته إليه نفسه الحرة الناشطة، لرفع علم الناطقين بالضاد. ولقد أبقت تلك الهمة رنة داوية في أفق الشرق الأوسط، كما قرر ذلك مؤرخو الأجانب.

وحدث عن همم الرجال ومقاصدها. ولآل يعرب في التاريخ الصحيفة البيضاء، والأسطر الزهراء، وليس لغيرهم من أئمة عُمان ما لهم طول الأزمان. فقل لباغي اللحاق بهم: بعيرك ضالع، وعصاك مفقودة.

إن هذه الحصون الثلاثة في عُمان تاجها الذي تفتخر به، وروعتها التي تدهش الرائي، وجمالها الذي يلبسها حلي الحق، ويضع عليها طغرى المجد العربي.

وإذا قرنت بين هذه الحصون الثلاثة، وبين الأساطيل التي تمخر البحر العربي إلى ما وراءه، قضيت بالعجب لتلك الهمم، فإنهم كما بنوا الحصون في ريف عُمان، بنوا الحصون الأخرى على بحر عُمان. وإذا جمعت بين ذلك كله، وبين الخيل التي هي حصون العرب، وما اجتمع لهذه الدولة منها، رأيت أمراً هائلاً، لا تقف له الفكرة في حال. فإن جيشاً يتغلغل في آفاق الهند، يحمله ستة آلاف إلى تسعين ألف عنان ذكور الخيل، فأعجب بذلك، وقدر تلك الدولة قدرها.

وإنا إذ نذكر هذه الأحوال، لن نذكرها افتخاراً، وإنما نذكرها اعتباراً، وليعلم العرب في بلاد العرب أن في بلاد إخوانهم جبهة عربية رائعة، ولإرغام غير العرب الذي من شأنهم تصغير الأحوال العربية، ووصفها بما يسمها بسمة الضعف والضآلة بين الأمم، وللذين ما زالت حرفتهم توهين الأمم العربية، في كل جيل، وكل قطر.

وسوف ترى في تاريخنا الموسوم بتاريخ عُمان، ما لآل يعرب من المآثر، وما خلدوا من المفاخر، مما كتمه الإِفرنج في تحصيلاتهم، وما ذكره كتاب العرب في مسوداتهم. وما تراه هنا وتسمعه فهو رمز ذلك. والله يؤيد بنصره من يشاء.

أدم
من بلاد عُمان التي تستحق الذكر بين أعلام البلاد

اعلم أن أدم - (بفتح الهمزة، وفتح الدال المهملة، بعدها ميم) على وزن قلم - من النقط المهمة أيضاً، واقعة في حوزة تجاه الجنوب من منح، على مرحلة منها. ومن هناك تتوجه طرق المواصلات إلى شرقية عُمان، وإِلى ساحل الدقم ومحوت؛ وإِلى مصيرة، وإلى غربية عُمان، وإلى مواقع البادية العُمانية، من دروع ووهيبة وجنبة.

وأدم هذه من البلاد القديمة، وهي التي جاءت في شعر ابن مقرب حيث يقول في القرامطة وأفعالهم:

ولم تزل خيلهم تغش سنابكها　　　أرض العراق وتغشى تارة أدما

وأدم بلدة طيبة حسنة، بهجة المنظر، جميلة المخبر، تقع في سهل من الرمل، ويسايرها جناح مرتفع منه. وهي من أطيب البلاد هواء، وأفسحها فضاء، وأمدها فلاة، وأنعشها صحة. ولأهلها ولع بالأسفار إلى إفريقيا، تحدوهم إليه همم حرة.

وأهلها القدماء، المحاريق والجنبة. والأولون من تميم، والآخرون من

مذحج. وكانت الفئتان كما يقول عنهم المثل السائر في عُمان: القاتل جنبي والشاهد محروقي. أي هم نفس القاتل والشاهد، أي عصبة واحدة.

وفي أدم أيضاً قوم من آل بو سعيد، رهط السلطان سعيد بن تيمور. ومنها أصل نشأته، وفيها كان مقر آبائه، كما يعلم ذلك أهل التاريخ في عُمان.

وفي أدم هذه النقي الشيخ العلامة الفقيه، أكبر علماء دولة آل يعرب في زمانه، صاحب الأسرار والكشفية، خلف بن سنان الغافري بأحمد بن سعيد، وهو صبي، ولعله يتيم أيضاً فيما أحسب، فأخذ الشيخ يمسح براس أحمد بن سعيد ويقول له: اتق الله في الرعية. إشارة منه وبشارة لأحمد بن سعيد أنه سيملك أمر عُمان.

وهي قبل هذا العهد من المراكز المنظور إِليها للاحتفاظ بعُمان الداخلية. أما الآن وصارت القوات تنقل على غير ما كانت عليه، فهي الآن كغيرها. وهل عن نازل الجوسور مانع، إلا أن يكون رجال أبطال وأجناد أحرار يستعدون للموت، طامحون بعزمهم، متعشقون للسلاح، إِذا جاء الصريخ فهم فيه الصواريخ.

إذا ما رأوا حرباً يقولون: إنها ميادين أعراس لها الكل يطرب

وإِذا قامت الهيجا يتهافتون إليها تهافت الفراش على اللهب.

نسأل الله أن يؤلف شمل زعماء المسلمين على الحق، ويبعث همم أولي الأمر للأخذ بالعدل، وأن يسيروا بالأمة سير الأئمة الراشدين. وإنه لقادر على كل شيء.

سناو الشرقية
أو البلدة الحدرية

سناو - (بكسر السين المهملة، وفتح النون، بعدها ألف، فواو) على وزن كتاب - بلدة طيبة جميلة أنيقة بهجة، ذات رياض زاهرة، وأنهار جارية، وحدائق غناء، جميلة الوضع، حسنة الشكل، تمتاز بأشياء لا تعرف لغيرها.

وأهلها أهل خير وفضل، وسخاء وكرم، ولكنها، أي سناو، مصابة بداء بدوي عميق، طيلة العهود الماضية، حتى أزال الله عنها ذلك حين وضعت على عُمان محاط الطائرات، ثم حلقت في جوها الملطخ بالغيوم، وبذلك تبدلت الحال من السوء البدوي، إلى حضارة آمنة مطمئنة. نسأل الله أن يمد سلطان عُمان بيد العدل والإنصاف، ويرفع عنها نير الظلم والاعتساف.

كانت سناو مع حسنها وجمالها، يراها مواطنها في بعض الأحيان غصة من الغصص، ولولا حب الوطن - وهو سر جذاب يمتلك النفوس، وعاطفة عشيقة للنفوس المؤمنة -، لما عاش فيها حر والحال ذلك.

تقع في الجهة الجنوبية من شرقية عُمان في جو صاح أنيق، وأفق صالح طليق، أنهارها حسنة، وبساتينها فيحاء، ورياضها نضرة، ومياهها طيبة، ومبانيها كذلك.

وقد تعود أهلها الأسفار الإفريقية، فألفوا التمدن الأجنبي الجذاب. وهي سوق البدو في ذلك الأفق، بعد المضيبي التي سوف يأتي ذكرها. وكلاهما محط رحال بادية الشرقية، ومنها يرتادون معايشهم.

وفي سناو قبايل شتى عديدة، لها شأنها وأهميتها. ومن أفاضلها الشيخ

سالم بن حمد الأعمى، أحد العلماء الفضلاء الزهاد، والنجباء أولي الرشاد، من قبيلة آل براشد، من أشهر قبايل هذه البلاد، كان أفضل رجل فيها، وأرشدهم علماً وعملاً، وزهداً وفضلاً.

ومن مشاهير الصواوفة أيضاً، أعيان يبغون الزعامة فيها، ولا يرضون بغير القسم الأوفى منها، وكل في وطنه عزيز.

ولا يخفى عليك أن قولهم: سناو مثلاً، أو أدم، من الديار الحدرية. يعنون بذلك مجرى السيل من الجهة العليا الشمالية، منحدراً إلى الفضاء الجنوبي، فهي حدرية بهذا المعنى عرفاً عاماً في عُمان.

المضيبي

كرسي آل حبس

اعلم أن المضيبي - (وهي بضم الميم، وفتح الضاد المعجمة، وسكون المثناة من تحت، بعدها موحدة، فياء) على صيغة التصغير، وهي كرسي بلاد حبس - بلدة لها أهميتها المبهجة، وطلعتها الزاهية، في رياضها وغياضها وبساتينها. مجمع آل حبس، ودار ندوتهم، وصرح مؤتمرهم.

والقائم بأمر الحكومة والأحكام مركزه بها، فهي مرجع هذه الرقعة الحبسية، وبها السوق الكبيرة في أنحاء الشرقية. وهي كما يقول الشاعر الفحل ابن شيخان، في قصيدته السينية، حيث جاء فيها:

وما دار المضيبي في قراهـــا علاً إلا كمَلْك فوق كرسي

وهي حقيقية في الصدف الشرقي، ودرة في الأفق الحبسي، فإن قبيلة الحبس هم سادتها، وأياديهم الطويلة فيها، ولا مهم لها من الوجهة العسكرية، لدخولها في البيئة الداخلية.

وليست قديمة العمران، وإنما هي من الاستعمار الإسلامي. وفي العهد اليعربي تجدد قصرها، وانحل إصرها، وشدا بذكرها الشادي، وتغنى في شرقية عُمان بزهوها الحادي. وكلما طال عهد تجدد عمرانها، ومشت في ترقيها، حتى أصبحت عروس الشرقية جمالاً.

وأهلها كثيرو الأسفار الإفريقية، يتغلغلون في واحاتها ومعالمها، ومن هنالك أكثر غناهم غالباً من أسفارهم الإفريقية فغير بعيد لاسيما لما كانت إفريقيا الشرقية لأهل عُمان، فإنهم كانوا في تلك الأصقاع السادة الأعلام، والقادة الكرام، لهم الحول والطول، وهم عمدة ذلك الأفق الزنجباري، الدار بخيراته، ولم يزل أهل عُمان في آفاق إفريقيا سادة مخدومين، وقادة مطاعين، حتى إذا أذن الله بتقلص ظلهم، وسقوط عروشهم، سلط عليهم الدول النصرانية، كالإنجليز والجرمن وفرنسا، فرأت هذه الدول خيراً يتقلب فيه أهل عُمان، ورزقاً مغموراً بالاطمئنان، لا ينبغي أن يتركوا فيه مهما كانوا حتى يقاسموا فيه، فسرت النار في الهشيم، وأكلت الجذر حتى أصبح كالرميم.

وكان أهل عُمان يدخلون منه على عُمان عشرات الآلاف بل مئات الآلاف سنوياً، ويجلبون للعبيد إلى عُمان، تتبع الأموال، وتخدمهم في الحل والترحال، حتى انتشر السم الزعاف، وسرى في الجسم بلا خلاف، فقطع النياط، وقص الرباط، وأطلق السراح، ونادى بالفلاح، وأعلن للنجاح. وكان آل حبس استعمروا بلادهم العُمانية بموادهم الإفريقية.

وللشاعر بن شيخان وهو من العنصر النزاري، أي هو سالمي النسب ابن عم نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، وقد تعاصرا في وقت واحد، وارتحلا كذلك، له في ذكر المضيبي ما يكفي المتطلع إلى أحوالها، من قصيدته السينية التي يقول في مطلعها:

ذكرت أسى وبعض الذكر يوسي

وهي قصيدة طويلة فيحا، ذكر فيها المضيبي وحالها وحال أهلها ونهرها، وما صار بين قومها أيام الفتنية التي وقعت بينهم. فإنهم اقتتلوا طويلاً، وتهارشوا كثيراً، حتى أدبوا أنفسهم بأنفسهم، وكادوا أن يقضوا على بعضهم بعضاً.

وللشاعر الحبسي مادح الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي، وابنا عمه من آل يعرب، ذكر لها وإطراء. والناس لسان شاهد، ورائد ناقد، وهم شهود الله في أرضه.

وناهيك بالمضيبي أيام زهرتها، وإبان نضرتها، حتى بغى أهلها أن أغناهم الله من فضله، فتقاتلوا إلى أن لعب بهم الشيطان دوراً واسعاً، ثم تراجعوا بعد ذلك التيه، وحفظوا كرامتهم وشرفهم.

وهكذا العرب الجهلا، ينفخ الشيطان فيهم، ويثير أدمغتهم، فيهارش بينهم، فيتكالبون على البغي والعدوان على بعضهم بعضاً، ويعدون ذلك عزاً وشرفاً. والجهل آفة الإنسان. نسأل الله السلامة. صدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «هلكت العرب بالعصبية...» الحديث.

ذكر بقية المراكز
التي عليها العلم السلطاني في عُمان

اعلم أن مراكز عُمان التي يرف عليها العلم السلطاني في عُمان، غير التي ذكرناها، هي أولا بركا

بـــركـــا

بركا ثغر وادي المعاول ونخل، إلى الساحل. وبركا من مهام البلاد العُمانية، وكانت سوق عُمان أيام اضطراب عُمان بجنود فارس في مسقط.

وكان لبركا شأن لا ينكر، وزعامة لا تستنكر. وهي قرية عظيمة في الباطنة، وبلدة واسعة. والثانية المصنعة.

المصنعة

المصنعة ثغر وادي الرستاق من جهة الساحل. وهي مهمة جداً، يوجب موقعها الاستراتيجي إلى الوجه الرستاقي في عُمان. والثالثة السويق.

السويق
خضراء آل سعد

والسويق هي البلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه. مجمع آل سعد، ومحط رجالهم، قلب الباطنة وكاهلها، بالنسبة إلى داخلية عُمان، يشير إلى الزعامات العُمانية شرقاً وغرباً، ويتلقى وعيها داخلياً وساحلياً. والرابعة الخابورة.

الخابورة
واسطة العقد

الخابورة وهي البلد المهم الذي هو مرجع الحواسنة، وسوقهم الرابح. وفيها قبائل عديدة. وهي ثغر الظاهرة.

وناهيك بها مركزاً استراتيجياً، بالنظر إلى مناهج القبايل الظاهرية، حلا وارتحالاً في الأيام التي نحن فيها. يرف على هذه البلاد علم السلطنة البوسعيدية. والخامسة صحم.

صحم
باب صحار الشرقي

اعلم أن صحم (بفتح الصاد المهملة، بعدها حاء مهملة، بعدها ميم ساكنة) ثغر من ثغور صحار،ـ وباب شرقي لها، وهي راجعة إلى صحار ولاية وعناية، ولا يزال علمها ابن العلم الصحاري ووليده.

وهي من ثغور الظاهرة أيضاً نحو الساحل. وإليها تنصب القبائل الظاهرية، من علوي وكلباني وأعوانهم وأهل عصيتهم. والسادسة لوي.

لـــوى
الباب الغربي لصحار

لوي (بكسر اللام، وفتح الواو، بعدها ياء، على وزن خوي) ويقال لها: لاوة. بلام ممدودة، وهذا في لسان الإِفرنج.

ولوي من أعمال صحار، وهي طوع أياديها. وصحار أم الشمال لعُمان. ووالي صحار يكون والياً على تلك النواحي. والسابعة شناص.

شناص
زمام الشميلية

شناص (بكسر الشين المعجمة، وفتح النون، بعدها ألف، فصاد مهملة) المركز الغربي في حوزة الشميلية.

والشميلية اسم يقع على ما خرج عن حوزة صحار، حتى خطمة ملاحة، منتهى الحدود لحكومة سلطنة مسقط، في الجهة الشمالية.

وكل هذا الفضاء الذي ذكرناه، من مسقط إلى هنا، يشمله اسم الباطنة. فتراه كما قال الأول: سيف أفيح، ورمل أصيح، وحجر صلدح. وهو منتهى اسم الشميلية المعروف. الثامنة خصب.

خصب
بلد الصخب والنصب

اعلم أن خصب (بفتح الخاء المعجمة، والصاد المهملة المفتوحة، والباء الموحدة) بلدة واقعة بين أعمال الإمارة القاسمية، وهي مختصة بالشحوح، خارجة عن حكم ما جاورها من البلاد، التي دخلت تحت اسم الساحل المتصالح، كما يقولون.

وخصب بلدة لا بأس بها بين أترابها. وهي خاضعة لسلطان مسقط ولا يزال العلم الأحمر السلطاني يرفرف على جوها.

الحاق بما سبق

لا يغرب عن بالك أن مركز رأس الحد في الساحل الشرقي، هو من أعمال مسقط، وكذلك تلك الجزر الشرقية إلى مصيرة، التي تروم أن تصبح بعد أيام غير طويلة العدد، مدينة من المدن الزهراء، حتى تتصل بمرباط فظفار، في الجنوب العُماني.

تنبيه لكل فكر نبيه

إننا لم نذكر أحوال الجبل الأخضر، وما به من حقائق التاريخ، ولا ما لجبل الكور، ولا لقنه وادي السحتن، أي جبل العبريين، لأن ذكر ما هنالك من حقائق التاريخ العُماني، وهذا المختصر عنوان عنه، نسبته إلى التاريخ العُماني، نسبة العنوان إلى الكتاب فقط. فاعرفه.

مقام القبائل العُمانية الكبرى

اعلم أن قبايل عُمان عديدة، لا يستطاع ذكرها قبيلة قبيلة على التفصيل إلى ما تفرع منها، إِلا بعد عناء طويل، وفراغ واسع. وإنما نذكر في هذا العنوان القبائل الرئيسية، ونعني بها القبايل الكبيرة، والتي لها الشأن في نواحيها، والصولة في أماكنها، وما هي عليه من القوة والمنعة. فأعظم القبايل في عُمان الداخلية بنو ريام.

بنو ريام
في عُمان الداخلية

اعلم أن بني ريام في قبايلِ عُمان لهم الأكثرية الملموسة، وذلك لكثرة ما لهم من العدد، أفخاذاً وبطوناً، وما لهم من البلاد في قلب عُمان، وكونهم تحت راية واحدة، وتقودهم زعامة واحدة، يخضعون لها بحب عميق، أشبه بحب الشيعة لعلي إِن صدقوا. وذلك لأنهم يقطنون الجبل الأخضر من عُمان، الذي هو أمنع بلاد عُمان، وأعز مكان بها من غير نكران. أهله في رفاهة وأمان، لا يخافون جور شيطان، ولا سطوة سلطان، أي فيما مضى من الزمان.

ثم إن بلدان بني ريام، تحيط بالجبل الأخضر إحاطة الهالة بالقمر. ولهم القرى الكبيرة التي لا تعرف للمحل وطأة، ولا للعدو قهره، كإزكي وعلاية نزوى والبركة وكوادي بني خروص ووادي مستل ونخل وما إليها. ولهم بمحض العلاقات الودية في بلدان أخرى.

ويتولي رئاستهم بنو نبهان، آل سيف بن سليمان. والموجود الآن منهم الشيخ سليمان بن حمير بن ناصر بن سيف. منهم أولاد راشد، ومنهم بنو توبة. ومنهم العمور، ومنهم أولاد عمرو، ومنهم أولاد ثاني، ومنهم الشريقيون، ومنهم الجراميد، ومنهم بنو سليمة، ومنهم الفهود، ومنهم أولاد مفرج.

وبنو ريام عبارة عن قبايل ملتفة، من أنساب مختلفة، يجمعها العلم الريامي. هؤلاء أهم بطون بني ريام، وفي كل بطن مسؤول، كرشيد وزعيم، من قبل الرئيس الأكبر النبهاني.

وأما نفس بني ريام، أعني الجامعة التي يشملها الإسم الريامي، فمرجع رئاستها إلى المركز النبهاني. كما قلنا عنه.

وأما نسبهم، فنفس بني ريام، من ريام بن قمر بن الامرا بن مهرة بن جيدان. وقيل ريام بن بيرح بن سطرى بن الامرا بن مهرة بن جيدان وسوف تجد نسبهم في الإِسعاف، وفي رعاية الأحساب بحماية الأنساب، مستوفى.

آل سعد
في هوازن

من أعظم القبايل في الباطنة من عُمان، آل سعد بن منصور بن بكر بن هوازن، بعد بني ريام، وهؤلاء في الداخل وآل سعد في الساحل، من القبايل المهمة، الكثيرة العدد، الطويلة المدد، الرفيعة العمد، الوجيدة في بابها، الفذة في أترابها، المنفردة في مضمارها، منعة وصولة وطولاً، وعدداً وعدة. يحتلون من الباطنة قلبها، ويتولون رحبها، في قسم عظيم.

حدها في الشرق بالباطنة، من وادي القاسم من أعمال بركا في الشرق، إلى الحجيرة في الغرب. أي أقصى حدودهم في الغرب، فكان لهم قريب من ثلث الباطنة. يسير الراكب في أحوازهم ثلاثة أيام.

وهم بطون عديدة، الساعدة، ومنهم آل مبارك، ويقال لهم: الخموس. وفيهم الرئاسة، وهم بيت. ومنهم المصاخبة، ومنهم الجهول، ومنهم السهيلات، ومنهم المغابشة ويقال لهم: الغوابش. ومنهم آل عبد الله، ومنهم الخناجرة، ومنهم آل علي، ومنهم الملاوعة، ومنهم المخارصة، ومنهم أفخاذ عديدة لا يسع المقام ذكرها. ومنهم آل هلال، وهم بيت الخموس، ورئاستهم في آل هلال بن حمد بن هلال بن حمد ابن سعيّد بن علي بن كاسب.

وهذه البطون والأفخاذ التي ذكرناها أو أشرنا إليها، أكثرها ليست من عمود آل سعد، لكنها قبائل ملتفة على العلم السعدي، منظمة تحته. وهي قبائل بدوية، لا تبالي بتغيير أنسابها.

ومن هذه القبيلة الشيخ العلامة الجليل جميّل بن خميس بن لافي، صاحب قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة. دائرة معارف فقهية وأدبية

وتاريخية، جمع أمراً عظيماً من الفقه العُماني الأباصي. وكان من أهالي بلدة القرط وما زال آل يعرفون بأهل الخير وأهل الفضل والتقوى. ولهم فيما مضى من الزمان موارد ومصادر، لا ينكرها العقل العُماني، ولا يأباها الشرف العربي. ولهم نوايا مذهبية إباضية. ومن هذه القبيلة أيضاً الغوارب. ومنهم الشيخ.

قبيلة بني بو علي
في جعلان

لعلك تقول: كيف ذكر المؤلف قبيلة بني ريام، وهي في قلب عُمان، ثم ذكر قبيلة آل سعد، وهي في قلب الباطنة، ثم ذكر قبيلة بني بو علي، وهي في جعلان، وليس بين هذه القبايل مناسبة من هذه الوجهة؟

فأقول: إن عمله هذا هو عين عمله فيما تقدم، من ذكر الأكبر فالأكبر، أو الألزم فالألزم، بلداً، فقبيلة، فواحة، فواديا، وهكذا، غير مراع لقرب الجهة، بل يراعي لمناسبة الأحوال في الكثرة والعدد، ونحو ذلك، ثم يأتي بما دون ذلك، وهكذا.

فمن القبائل الكبيرة الشان، الكثيرة العدد، المطاعة في أطرافها، العريقة في شرفها، المنيعة في إمارتها، آل تمام (على وزن كلام) أي بنو بو علي أهل جعلان في شرق عُمان، أعظم القبايل عدداً وعدة، وشرفاً ومنعة، وصولة وطولة. لهم في التاريخ الذكر الواسع، والنبأ الجامع.

ولا يعرف لقبيلة عُمانية ما يعرف لهؤلاء من الصبر في الحروب، استماتة في الهيجا، أهل بسالة وشجاعة، وجلد وصبر، وما برحوا أهل

استماتة عربية، حدث التاريخ عنها حيناً من الدهر، وأبقى لهم في حديثه عاطر الذكر.

وقد عرفت بلادهم مما سبق. فهم قوم إِذا وضعوا في موازين القبايل العُمانية لا يخفُّون، وإِذا أُضيفوا إلى الزعامات العربية لا يتضاءلون. ولدوا وضجيعهم البتار، ونشؤوا ومهودهم ظهور الخيل وقت المغار. فلله درهم.

وهم بطون واسعة. وأشهر بطونهم السندة، وزعيمهم خميس بن سعيد بن صالح. ومنهم المزامة، ومنهم آل ريا، ومنهم آل كاسب.

وبقية بطون القبيلة كثيرون.

قبيلة بني ياس
في دبي وأبو ظبي

اعلم أن قبيلة بني ياس، أشبه بهذه القبايل المذكورة آنفاً في كل معانيها. فهي قبيلة يشهد التاريخ بمجدها، ويعترف الناظر والسامع بها بأن لها شرفاً لا يداني، ومجداً لا يجارى، وعزاً لا يضام.

وهم بالنسبة لمن حولهم من القبايل قادة أجلا، وسادة أعزا. وحسبك بوصف شاعر العرب لهم، الشيخ ناصر بن سالم بن عديم بن صالح البهلاني الرواحي، فإنه أتى عنهم بما يليق في حقهم، ويصدق في إطرائهم.

وهم حكام على تلك الأطراف. ولهم في الساحل إِمارتان:

الأولى أبو ظبي، وهي الآن مقر آل بو فلاح، والزعيم الحالي فيهم زايد بن سلطان، من آل زايد بن خليفة.

والثانية دبي، والزعيم الحالي فيها أي دبي راشد بن سعيد بن مكتوم. من آل حشر.

ودبي مقر آل بو فلاسة. وهم على الشايع عند نسابة عُمان نزاريون، من رهط عامر بن صعصعة. وهم أهل الخيل والإبل في العرب بعُمان. وناهيك بسكة الخيل من سوقهم المعروفة ميدان الصافنات الجياد.

قبيلة آل وهيبة
في بدو عُمان

من قبايل البدو بعُمان آل وهيبة. وهم والدروع متقاربون في جميع أحوالهم، إلا أن آل وهيبة أكثر عدداً، وأنشط مدداً، وأفسح معهداً. وهم أهل نجدة وشجاعة. عدد وافر، ورهط شاهر.

وهم منتشرون في الجنوب الشرقي من عُمان، إلى محوت والدقم بالساحل. ومن بلدانهم في عُمان الداخلية السديرة (بضم السين المهملة، وفتح الدال المهملة، وسكون الياء المثناة من تحت، بعدها راء، على وزن تصغير سدرة) وهي عاصمة مصيفهم. بلدة طيبة واسعة جميلة. وبها نهر طيب.

وهم أهل إبل من نجائب الإبل المعروفة، حسب العرف العربي فيها. وهم نزاريون نسباً. وفيهم بطون يمانية يشملها اسم وهيبة.

ورياستهم في آل علي بن مطر، ويقال لهم آل بو غفيلة. وزعامتهم في وهيبة مطاعة مسموعة بمعناها العربي. وهم قوم من أوسع قبايل البدو في عُمان. ولآل علي بن مطر نظر في العواقب، ومعرفة بأحوال الناس، ولهم كهانة عقلية معروفة لهم، سمعنا عنها أحوالاً.

قبيلة بني رواحة
في عبس

ومن القبايل المعدودة في الكثرة والبأس، والصبر على حوادث الدهر، بنو رواحة. وهم نزاريون. ومنازلهم بالأودية المسماة وادي بني رواحة. ويخصونه بالوادي الغربي، ووادي محرم، ووادي عندام. ويطلقون على وادي محرم الوادي الشرقي. وهذا الوادي هو حصنهم المنيع، وغابهم الرفيع، ذلك لأن بلدانهم تحيط به، فهو عندهم الحرم المقدس، والمحل المجلل. تحيط به الجبال، وتحف به من جميع جهاته الرجال.

وهم الجمرة المعروفة قديماً في العرب، والرمح الأزرق في نضال الحرب، وهم عدد مهم مع شدة وصبر، بحكم موقع أمكنتهم الطبيعية.

وقد وقع في كتابنا الإسعاف، أن رئاسة بني رواحة ترجع إلى المشايخ أولاد علي بن عبد الله الخليلي. ولا يخفى أن ابتداء العلاقات الودية بينهم، كانت بالشيخ العالم الرباني، سعيد بن خلفان. ولما وقع عليه ما وقع، وبقى المشايخ عبد الله وأحمد عند جدهم سليمان بن ماجد، في سفالة سمايل، ولما كان سليمان المذكور لا يقدر على دفع من يعدو عليهم، خرج بهم بنو رواحة باحتيال إلى وادي محرم، وبقيت أموالهم في يد الحكومة، حتى قام الشيخ الصالح، صالح بن علي شأنها، وبذل النفس والنفيس في استرجاعها، فرجعت بعد ثلاث سنين. وبقي الشيخان عبد الله وأحمد بصفة لاجئين عند بني رواحة، واستمر بهم الحال على ذلك حتى رجعوا إلى سمايل. ثم انشقت العصا بين الشيخ عبد الله بن سعيد، وأهل العلاية وأنصارهم من بني رواحة، كما حدثني عنه الشيخ محمد بن سيف بن عبد الله السعدي، وراغمت العلاية

الشيخ المذكور، وارتحل منها تاركاً فيها كل شيء من أمرها، وبقي بوادي المعاول. وصاهر الشيخ ناصر بن محمد المعولي. ومضى له عهد هناك، حتى أن أمواله التي كانت له هناك، باعها ولده الإمام محمد بن عبد الله.

وكان المشايخ أولاد محسن، هم الذين يصحبون الشيخ المذكور في وادي سمايل، إلى حوزة المعاول، وكذلك يتلقونه عندما يأتي إلى سمايل. إذ كانت الأمور القبائلية إذ ذاك تمشي على هذا الوضع. أما رئاسة بالفعل على بني رواحة فلم نعلم عنها.

ولا تخفى منزلة الشيخ سعيد بن خلفان العلمية. وكذلك ولده الفاضل الشيخ العالم أحمد بن سعيد. كما ذكرنا ترجمته في مقاصد الأبرار على مطالع الأنوار، شرحنا لأُرجوزته في الوصايا.

ولما نُصب الإِمام محمد بن عبد الله الخليلي إماماً للناس، لم يكن لبني رواحة رئيس خاص، حتى هذه الآونة التي عشنا نحن فيها. فإن أخاه الشيخ علي بن عبد الله، كان منحازاً في وادي بوشر، والياً لحكومة مسقط، حتى مات بها.

قبيلة آل الحارث بن كعب

من القبائل المشهورة بعُمان شرفاً ومجداً، ورئاسة عريقة، آل الحارث بن كعب بن اليحمد. قوم من الأزد نازلون بشرقية عُمان. رهط الشيخ عيسى بن صالح بن علي بن ناصر بن عيسى بن صالح الحارثي، وليس هو حارثي النسب، كما سوف تراه في أنساب أهل عُمان. وإِنما دخل آباؤه في آل الحارث، فتولوا رئاستهم، وقاموا بزعامتهم.

وأهم ديارهم سفالة ابرا، وبلدة المضيرب (بضم الميم، وفتح الضاد المعجمة، وسكون المثناة من تحت، وكسر الراء المهملة، بعدها موحدة) والقابل وهي عاصمة آل الحارث، وإليها تساق مهماتهم، ومنها تصدر حركاتهم، ومنها تنزل نوازلهم. وهي مركز شرقية عُمان، منذ ظهور صالح بن علي، ذلك الزعيم المعروف. ومن ديارهم الدريز - على وزن عزيز - أيضاً، بالقرب من المضيرب، على الجهة الغربية منها، لا تبعد منها أكثر من ربع ساعة. ولهم بلدان أخرى تتبع دعوتهم، وتجيب نداءهم، وتخضع لرئاستهم.

ولآل الحارث رئاسة على كثير من قبائل الشرقية بصفة خاصة. ولهم في عُمان ذكر حافل بحسن الشمايل، وفضل الجمايل. وهم محترمون بين القبائل الشرقية، لأن صوت صالح بن علي، رفع منازلهم، وحفظ ذمارهم.

والمقدم فيهم الآن الشيخ محمد بن عيسى، بعد وفاة والده العالم الجليل. ثم لم تطل أيام رئاسته حتى توفي، فقام بإمارتهم المشار إليها الشيخ الهمام، الأمير أحمد بن محمد، على صغر سنه، لكنه كان وليد العلى ورضيع لبانها. وفي حال انقلاب عُمان من إِمام إلى سلطان، كان نقطة تلك الدايرة، وجبهتها الغرا، وكان عموداً قوياً في تلك الظروف، وعينا باصرة لما عليه تلك الصفوف، وعمدة صالحة على النهج المعروف. أثبت رجل في وجهته. وأصدق أمير في معاملته، وأوفى زعيم لحكومته، وأمثل مسؤول في قومه وعشيرته. لا يداهن ولا ينافق ولا يخون، ولا يغدر ولا يمكر، بل يصارح بما عنده والصراحة من الأخلاق الفاضلة، في الأنفس الكاملة. لم يدخل مداخل السوء كغيره، ولا يطرق أبواب الذل. في عزة وشرف، وصدق وأمانة، لأن منبته كان كريماً، ومرماه ومقصده كان عظيماً.

كان عند السلطان سعيد بن تيمور في المقدمة، وعند قومه في المحل الأرفع. كان زعيماً كيِّساً، وأميراً بالحوادث متمرساً. لا يرضى الهزل واللعب والخلاعة أن تنسب إليه. وعلى صغر سنه كبير في شأنه وأخلاقه، كبير في مساعيه. رفع من شان أصدقائه وأهل خاصته. لو اجتمعت عليه الأعيان في مهمة، أتاهم فيها برأي يدرك الصخر، ويفرق الجمع. لو عاش جده لوقته لسره مرآه، وعظم بين يديه مثواه.

فهو الأمير الذي يحجه قصّاد العرب من كل صوب، ويلبون دعوته بلا ريب. وكذلك كان آباؤه الكرام، وعلى وتيرتهم القعود منه والقيام، فلله دره من همام.

قبيلة الحجريين
في بدية

من القبائل المهمة قبيلة آل الحجر في عُمان وهم قوم من الحجر بن عمرو بن عامر ماء السماء. ولهم أرض بدية من شرقية عُمان. وهي مقاطعة طيبة، تحيط بها جبال من الرمل، من الجهة الغربية. والسهيلية إلى الشرق غير بعيدة منها. أما من الناحية الشمالية فجبال حجرية، تبعد عنها قليلاً.

وأهم بلدان الحجريين المنترب، وهي مركز زعامتهم، ومقر حكومتهم وفيها حصنهم، وإليها منتهى أمرهم، وفيها مقر ندوتهم.

وهم قوم فيهم أخيار مشهورون، ومطاوعة معروفون. وهم في الشرقية مضرب المثل، كما في الغربية العبريون على وتيرتهم.

وللحجريين اعتناء بديانتهم. ولهم تاريخ يحدث عن أحوال من

خصالهم، ويعرب عن مكارم من أفعالهم. وهم حجة في الجانب الشرقي. وفيهم طاعة لرؤسائهم. ولهم أخلاق جعلانية، لقرب البلاد من البلاد.

وهم الذين قتلوا المطيري في بلدهم الواصل، إذ كان يأتي عُمان بصفته جباراً عنيداً، تسوقه الكبرياء إلى ما لا يرضاه الشرع. واتخذ ذلك عادة وديدنا، بعدما كان مناصراً للجبري في تلك الظروف، فكان يأتي عُمان على رأس الحَوْل، يأخذ الجزية من أهلها، كأنه حالٌ على أهل الكتاب من المشركين، فلعل عقيدة حملته على استحلال أموال عباد الله. وكان نصيره على أهل عُمان الجبري الجبار، الذي لا يخاف درك الآخرة ولا يخشى.

ومن أحسن بلدان الحجريين، الغبي، (بفتح الغين المعجمة، وتشديد الموحدة، بعدها ياء مثناة من تحت ساكنة).

ورئاسة الحجريين الآن، إلى سالم بن ناصر بن بدر. وأبناء عمه من أعياص هذه القبيلة. ومن أعيانهم حمدان بن سالم، صديقنا الخاص.

وبصفة عامة نرى الحجريين سور آل الحارث، من الجانب الشرقي. وبنو الحجر ليوث من ليوث العرب، وميامين مغاوير، شأن العرب.

قبيلة الهشم
في جعلان

من القبايل ذات الأهمية والشأن، قبيلة الهشم. وهم رهط من أرهاط الشرقية بعُمان. وإليهم رئاسة وادي بني خالد، كما أشرنا إلى ذلك عند الكلام على هذا الوادي.

والهشم من القبايل العريقة بعُمان القديمة. الوصول إليها أيام الفتح العربي لها. وهم فيما أحسب نزاريون. أما بقية قبايل شرقية عُمان، فأغلبهم يمانيون، وقل أن يوجد بها نزاري، إلا أفراد قليلة.

والهشم، وبنو راسب. وبنو بو علي، والجنيبيون، وبنو بحسن والحجريون، والحرث، كلهم يمانيون، والمساكرة أيضاً.

وللهشم بسالة، وفيهم نجابة لا بأس بها، سيأتي إيضاحها في تاريخ عُمان إن شاء الله. وهم الذين يقال لهم: أولاد الذيب.

وأهم بطونهم بنو راشد، وهم فرقة الشيوخ أولاد خادم بن محمد ومنهم الآن وهو رئيسهم حليس بن خادم بن خلفان بن حليس بن خادم بن محمد. ومنهم بنو عمر، ويشتملون على المدهوشي، والطاعوني، والمرهوبي، والسيفي، والهشامي، والسرحاني، والزهيمي ومنهم النصيريون، وهم بطن واسع أيضاً.

ولهم بلدة الكامل، وقد مضى الكلام فيها. وإليهم مهمات وادي بني خالد، في هذه الأيام الأخيرة. وقد سبق ذكر الهشم في رعاية الأحساب وحماية الأنساب.

قبيلة الرحبيين
من آل همدان

اعلم أن الرحبيين قبيلة ذات أهمية وصبر ووفا. والرحبيون قوم من همدان. نزلوا عُمان رحَّلا من أرض اليمن، كغيرهم من العرب الذين نجعوا لريف عُمان. وهم يحتلون قسماً من وادي الطائيين، وبعضهم في حطاط.

وأكثرهم شواوي، أهل أغنام، وعرف أهل عُمان في الشواوي، أنهم نوع من العرب، بين البداوة والحضارة. وأغلب أهل عُمان بدو في لغاتهم، صراح في لهجاتهم.

ويتولى رئاستهم آل سالم بن حسن بن محمد. والرئيس الحالي فيهم الآن، سعيد بن سلطان.

وهم قوم يحافظون على حقوهم مهما كانت، وينافسون فيما لهم وعليهم. وليسوا بالجانب الأقصى عن خصال أهل عُمان دون غيرهم من القبايل، التي أشرنا إليها، بل هم من طراز العرب المغاوير. وكل أهل عُمان مغاوير، بغير مدافع.

ومحل رئاسة الرحبيين في هذا العهد، بلدة تسمى جردمانة (بجيم معجمة، وراء مهملة، ودال مهملة، وميم بعدها ألف، فنون، فهاء، على وزن خنزوانة)، بلدة صغيرة حلت بين العق ومنصح، في جبال تحيط بها، في ضيِّق من الأفق، لا يهتدى إليها إلا بدليل. ولهذه القبيلة في وادي الطائيين أصوات، وفي حطاط كذلك.

ومن أعيانهم في هذه الآونة، الأديب النجيب، الشاعر الخطيب، خالد بن هلال بن سالم بن مانع، من أهالي سرور. له ديوان شعر حماسي وتاريخي، من نوع الشعر المنشود بين أهل الأدب.

ولقد نشط الرحبيون الآن، إِلى التمكن من بلدة سرور، يبذلون في التملك منها ما عز وهان، ويتهافتون عليها من كل مكان.

قبيلة بني بطاش

الباسلة*

من القبايل المهمة، المرفوعة الأعلام، بنو بطاش. قبيلة من مغاوير العرب بعُمان، وإن لم تكن كثيرة العدد، فكبيرة الشأن. ولسان حالهم يقول:

وما ضرنا أنا قليل وجارنـــا عزيز وجار الأكثرين ذليل

وبنو بطاش أهل حماس، وذوو بأس، لهم في القبائل الحطاطية والطائينية مقام. وقد مرت أيام ببني بطاش وهم عين باصرة، وجبهة شاهرة، ويد باطشة، في أحوال هي من صفات الكرام.

ولهم بلدان أهمها المزارع، وهي عاصمة القوم. ثم المسفاة، وبعدهما بليدات صغيرة، بعضها بوادي الطائيين، وبعضها خارجة عنه.

وهم في هذه الآونة يحتلون مدينة حيل الغاف، ذات المنظر الرايق، والفضاء الفايق، والهواء السجسج، لا تعادلها بلدة في ذلك الجانب، لأنها من العمران الجديد، إذ خطها أكابر من آل بو سعيد، على نظام مبهج، ووضع مستحسن.

وبنو بطاش قوم من اليمن. من صميم طي، على الشهير المتداول بين أهل عُمان. وكل هذه البلاد من حطاط إلى وادي بني خالد، أغلب أهلها طي من العهد القديم، أي أول نزول العرب عُمان. ونزلت طي بهذا الجانب، وتفرعت منها قبايل عديدة، لكنها غير كبيرة الشأن، ولا كثيرة العدد في نفسها.

وبنو بطاش عمود القوم في هذه القرون الأخيرة، التي بعد الألف. ولهم

رئاسة منيعة، وزعامة حرة، ولهم في جانبهم يد قاهرة على من حولهم. وسلطتهم على حيل الغاف غير منكورة. والبلد أكثرها لأهل مسقط.

ويتولى رئاستهم الآن محمد بن حارث بن محمد بن شامس، من فخيذة أولاد فارس، ومحمد بن شامس بن عدي، من أولاد ورد. ومحمد بن شامس بن عدي المذكور، زعيم فخيذة أولاد ورد. أما القاضي فهو محمد بن شامس بن خنجر، من فخذ أولاد فارس، يلتقي بأولاد شامس في الجد السابع، كي لا يخفى. وهو الآن أحد القضاة بعُمان. والثاني ابن عمه خالد بن مهنا.

ولا يزال بنو بطاش يخرج فيهم أفاضل نجبا، وأعيان فضلا، منذ عهد ملوك بني نبهان. ومنهم الشيخ العالم سعيد بن محمد، المعاصر للشيخ العلامة الرباني، من أهالي الجيلة من أعمال سمايل.

ويذهب الآن محمد بن شامس بن عدي المذكور، بنسب بني بطاش عن طي إلى الأزد كما سوف تقف عليه إِن شاء الله في أنساب أهل عُمان. ولعله عن خبرة واطلاع، ولا يقول المشار إليه عن غير علم، خصوصاً في نسب قومه. ولكن قوله يخالف نسابة أهل عُمان في بني بطاش. فإِنهم مشهورو النسب من طي. عادات طي تخضيب السيوف، وإِرواء المثقف، وهو اليوم عطشان. وقد أخذنا ذلك عنه، ووضعناه في «الإسعاف» وكذلك في «رعاية الأحساب». وخير من نأخذ عنه ذلك أمثال هذا الشيخ الفقيه. وغير مستغرب أن يشيع بين الناس قوم وهم ليسوا من ذلك النسب، لأسباب هناك.

المساكرة

أو أولاد الأسود

من قبائل الشرقية المهمة، الحرة في أوطانها، ذات الحماس الحار، والسنان الأحمر، المساكرة. وهم والحجريون نسب واحد.

وفي المساكرة نجدة معروفة، وصولة عالية، لا يتزعزون لتألب الخصوم عليهم، ولا يدينون لخصم بغير ما يعز كرامتهم. وقد عاشوا أكفاء لمن يناويهم، وسهماً نافذاً في هيولا معاديهم.

ولهم بلدان أعزها علاية إِبرا، عاصمة المساكرة، وجامعة أمرهم وإليها ينتهبي أمرهم المهم، ومنها يصدر. ولهم أيضاً بلدة اليحمدى، وبلدان أخرى غير مهمة.

وفي المساكرة أعيان ورجال أعزا. ويتولى رئاستهم الآن أعيان معدودون، منهم محمد بن سالم الربيعي، وهاشل بن راشد الربيعي أيضاً، وعلي بن سليمان الإسماعيلي، من فرقة أولاد ابن إسماعيل، وليس هو من نسب المساكرة، لأن المساكرة قوم من الأزد، وأولاد ابن إسماعيل ليسوا منهم لكنهم يمن أيضاً. وناصر بن عبد الله بن راشد، وخليفة بن علي بن جمعة المغيري، كل واحد من هؤلاء الزعماء في فخيذته، ورشيد مسؤول فيهم. وهم بطون متعددة. ولهم شوكة معتبرة.

قبيلة عامر صعصعة

اعلم أن عامر صعصعة المراد بن ابن صعصعة. وإضافته إلى صعصعة إضافة تخصيص وإيضاح، أي لا عامر ربيعة، ولا عامر قريش، ولا عامر الأزد، وهذا المراد بهذه العبارة إذا كان هناك قبائل متسامية.

ومنه قولهم: قيس عيلان، وقيس غطفان قحطان، وقيس الأزد، وهكذا. ومنه أيضاً، روائد حمير، وروائد ريام، وروائد رواحة، وروائد عامر صعصعة.

وعامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور، قوم بعُمان كثيرون، بدواً وحضراً. وقيل: البدو عامر ربيعة، لا عامر صعصعة. إلا أنهم ليست لهم بلدان مهمة تجمع أرهاطهم، ولا أودية يختصون بها دون غيرهم من أهل عُمان، إلا الذين هم بالباطنة، فهم في بلدة السيب بالحيل منها، وبالمعيبلة أيضاً، فهم في شرق السيب وغربها. وهم عديدون هنا. وهم في كثير من بلدان عُمان، شرقاً وغرباً، وساحلاً وداخلاً.

وشرف عامر صعصعة معروف في التاريخ، قديماً وحديثاً. وهم بعُمان كما هم بغيرها. وإذا كانت العرب ترهب الموت، فعامر صعصعة تستلذه شراباً، ولا تراه عذاباً. وهم أهل صبر وحزم وعزم، وفيهم نجدة وشجاعة، ولهم شدة مراس. وقد خصت الشهرة منهم رجالاً لم تزل تعرف بأفعالها، لا مجال الآن لذكرها. وقد جربتهم الحروب في مواقف لم ير مثلها. وهم عمود في العرب في أغلب خصالها.

ولهم رئاسة في الداخل، كما هي في الساحل. ويتولى رئاستهم بالباطنة الآن، آل منصور بن غالب، وآل حمد بن شامس. وهم عمال حكومة مسقط.

وأمنا بعُمان الداخلية فأولاد محمد بن سيف. والآن المسؤول فيهم سرحان بن مراش بن علي بن سليمان بن محمد بن سيف، وأولاد مضر بن خميس في القلعة. وأحوال عامر صعصعة حسنة جميلة، في عُمان وغيرها. ورجالهم باسلة نبيلة.

ومن أشهر بلدانهم في الداخل القريتين. وهي أهم بلدانهم المشار إليها. وهي على صيغة تثنية قرية. وهي بلدة طيبة لا بأس بها، حافلة بالنسبة إلى بقية البلاد العامرية.

ومن أشهر بلدانهم الخرما، (بالخاء المعجمة المفتوحة، والراء المهملة الساكنة، بعدها ميم مفتوحة، فألف) وشهرتها بصبرها في وجه خصمها، فهي لا زالت ثابتة الدعائم بين خصومها. وإن كانت صغيرة الوضع، فهي كبيرة بآل عامر.

ولهم بلد القلعة، من أعمال ازكي. ولهم بليدات هناك أخرى متعددة غير مهمة. والكل يشملها اسم أرض الجوف بل أغلب بلدان أرض الجوف من منح تشريقاً هي لهم.

قبيلة آل حبس

اعلم أن قبيلة آل حبس - بالجانب الشرقي - من القبايل المهمة، التي لا يغطيها الغبار، ولا تهمها هيشات الأشرار. فهي قبيلة باسلة مهمة، لها زعامة معروفة. ومقام هذه القبيلة بين مقامات القبايل الشرقية جوهرها الفرد، وسهمها الحاد. ولآل حبس شنشنة عربية معروفة، في طليعة أهل المجد والشرف.

ولهم البلدان الزاهية الزهرا، ذات الأوضاع الحسنة، وأهمها المضيبي، فهي الحمى الحبسي، وهي كرسي هذه القبيلة الذي تقعد عليه. وبها سوقهم الحسنة الرابحة - تقدم لنا عنها - المعتمدة في تلك النواحي. ولهم بلدة الروضة من البلاد المهمة الواسعة. وكانت قديماً بينهم وإِخوتهم آل المسيب، حتى اشتدوا بها. ولهم بلدان أخرى جميلة حسنة فاخرة. ولهم رئاسة ذلك الطرف، من سناو إلى ديار المساكرة وآل الحارث شرقاً، وإلى الأخشبة والسديرة غرباً.

وآل حبس بطون عديدة، وأفخاذ مجيدة. ويتولى رئاستهم الآن أولاد رشيد (بضم الراء المهملة، وفتح الشين المعجمة، بعدها ياء مثناة من تحت، فدال مهملة أيضاً). والمسؤول فيهم الآن، الشيخ محمد بن سعود بن علي بن أحمد بن رشيد بن سعيد بن محمد، من فرقة.

وهم كما عرفت قوم من وائل. وهم وآل المسيب ينتسبون من شهاب بن النويرة، أحد حماة الحرقة أيام ثورة كسرى على قومها بسببها، حتى رد كسرى عن الحرقة مبدد الأفكار، مكسور الأظفار، منكوس الأعلام، بحرب اتّقدمت بينه وبطون وايل عهداً. والقضية معروفة في تأريخهم، يتداولها الجيل بعد الجيل.

ومن أشهر بطون حبس الغساسنة. والمشهور عنهم أنهم يمانيون من الأزد. ومنهم أولاد ثاني، كما هم في إخوتهم آل المسيب، وفيهم جوابر، كما هم في قبائل الرستاق، وفي حطاط، وبنو سعيد، وسوالم، ومناجية، وغنانمة، وآخرون غيرهم.

قبيلة بني بحسن

أهل جعلان في شمس الأزد

اعلم أن بني بحسن، أي بني أبي الحسن، قبيلة ذات أهمية. وسهم بني بحسن حاد النصل، مصقول الفرند، ماضي الحد. عشيرة حرة واعية، لها في جعلان أطيب المراعي، وعندها الحمى المصون، الذي لا ترعاه البسوس، ولا تستمرئه النفوس.

وقد تكلمنا عنهم عند الكلام على جعلان. ومن حيث هم من القبائل المهمة وجب ذكرهم في مصاف القبائل ذات الشأن، ليعلم عن عُمان من لا علم له بها.

وبنو بحسن في جعلان من النجوم الطوالع، والسيوف القواطع. وأهمهم الصواعي والمطاعني. وبقية القبيلة محمولة على هذين العمودين. وبقية البطون كل بطن فيه مسؤول كرشيد ورئيس.

قبيلة آل المسيب

في وادي سمائل

اعلم أن من القبابل ذات الأهمية بعُمان، قبيلة آل المسيب. وهم قوم من تغلب. لهم ذكر في التاريخ لا يستهان به، وفيهم عدة، ولهم سطوة ونجدة. وهم رهط من جملة أرهاط عُمان المهمة.

ولهم بلدان بوادي سمايل، إذ قد اشتركوا في أغلب بلدان الوادي المذكور، واحتلوا قسماً مهماً منها، وتبسَّطوا في هذه الحوزة، من عهد لا يزال يمدهم بالسعة، مالاً ورجالاً.

ومن أطيب بلدانهم «نفعا». وقد اختصوا بها، ولم يشاركهم فيها أجنبي. و«نفعا» عاصمتهم في هذه العهود القريبة، وبها رئاستهم. وليست نفعا قديمة العمارة، بل هي من استعمار أيام النباهنة، في القرون الوسطى.

وكان آل المسيب شرارة متقدة، وضربة قاسية، لا يرضون بغير السيف حكماً، ولا ينقادون بسهولة، ولا تزعزهم الهوينا.

ولا ندري إِماماً غير سيف　　　يفلــق للأذلـة كل هام

وما في دارنا حكم علينــا　　　فيلزمنا انقيــاد للإمـام

كانوا لا يدينون لغير رغبة أنفسهم، ويستميتون في تقرير عزتهم وإثبات مطالبهم. وقد اتصلت منازلهم من الجرد إلى الساحل من الباطنة. ولهم في الحوزة اسم معروف، وشأن موصوف.

ورئاستهم الآن في آلف محسن بن سعيد بن عبد الله، وإليه يرجع أمر هذه العشيرة، حتى الذين هم قطان بالجانب الغربي من أعمال نخل وأعمال الرستاق، والذين هم بالمهاليل من أعمال العوابي، يرجع أمرهم الرئيسي إلى الزعيم بنفعا.

وآل المسيب بطون عدة، أهمها آل علي بن الصباح، وآل غيث بقسميهم، السباعي والمطالسي. وآخر رئيس كان من فرقة آل العظم، وهو سيف بن المسيب، المتوفى ببلدة نخل. ثم تولى رئاستهم نجيم بن عبد الله، من فرقة أولاد إبراهيم، أيام السلطان سعيد بن سلطان. ثم بعده ابن أخيه محسن بن سعيد. ثم استمرت في أولاد محسن المذكور إلى اليوم. ومن بطونهم أيضاً المرازيق، وهم عدد لا يستهان به. وبقية هذه القبيلة دون من ذكرنا، في العدد والعدة.

وكانت رئاسة آل المسيب في وادي سمايل كبيرة، لها صوت عال بين قبائله. وهم جمرة لا تأكلها النعام، ولا يطفئها الرهام. فكانوا زعماء على زعماء الوادي، وإن لم يرض بهذا الكلام الآن بعض الرجال، فقد رضوا به سالفاً.

ومنهم أولاد خميس بن مالك. فرقة تحتل بلدة صيا، (بفتح الصاد المهملة، والياء المثناة من تحت مشددة، بعدها ألف) بلدة صغيرة، داخلة في جبال سمايل الشرقية الجنوبية. ومنهم فرقة البراطمين. والكل بادية. ومنهم النهد أيضاً، من بدوهم. ومنهم أولاد ثاني، الذين في غبرة بوشر. ومنهم عدد في وادي الطائيين، في أمكنة بذلك الوادي، برئاسة خصيصة هناك، يقوم بها زعيمهم كبقية القبايل. ومنهم أهل بلدة البستان، بالساحل الشرقي من مسقط، الذين ينتمون الآن ببني وهيب، فهم بيت واحد من آل المسيب. ومنهم بطون وفرق أخرى بالسيب وبركا في خصوص حي عاصم. ورئاستهم الآن إلى عبدالله بن سعيد بن محسن بن سعيد بن عبد الله، وإليه يرجع أمر هذه العشيرة. ومنهم آل العظم، وكانت فيهم الرئاسة إلى أن انتهت بسيف ابن مسيب، المتوفى ببلدة نخل. ثم تولى رئاستهم كما قدمنا نجيم بن عبد الله.

قبيلة بني جابر آل ذبيان

اعلم أن قبيلة بني جابر في عُمان من القبايل الشهيرة، في كل معنى من معاني قبايل هذا الوادي. وهم رهط من ذبيان، أو بطن من فزارة. فزارة بيت العز، والعز فيهم.

نزلوا بوادي سمايل، وأخذوا الشق الغربي منه، وتقلدوا عروة الجبل

الأخضر من جانبه الشرقي، وأحاطوا بسمايل من ذلك الجانب، كسور منيع.

وهم أهل نجدة وشرف، وعز ومنعة، لا ينال منهم عدوهم أكثر مما ينالونه منه. وهم كما يقول القائل فيهم:

إذا مـدحت بنـي ذبيــان إِخوتنــا   أظهرت شمساً لها في العين برهان

وقد عرف لهم كرم حاتمي.

ولهم بلدان أهمها اللجيلة (بضم اللام، وفتح الجيم، وسكون المثناة التحتية، وفتح اللام الثانية، بعدها هاء تأنيث، على صيغة التصغير). وهي مقر زعامتهم، ومحل رئاستهم.

وهي أي رئاسة آل ذبيان، تتوزع بالاشتراك إلى كل أعضاء بيت الرئاسة، لا يختص بها أفراد منهم، بل كل واحد منهم رئيس رغم أخيه وابن عمه، لكبر النفوس، وعتو الإرادات. وهم أهل عز في نفوسهم، وأهل صولة تثيرها شنشنة أخزمية عند بدو، أي حركة تثير حفاظهم العربي.

ومن بلدانهم المنيعة الطو، (وهي بطاء مهملة، بعدها واو ساكنة) بلدة تحيط بها الجبال المنيعة من جميع جهاتها، وتقع تحت خرطوم الأخضر، من الجانب الشرقي الشمالي. وهي غاب أسد، وعرين ليوث.

ولهم بلدان أخرى تجيبُ لدعوتهم، وتخضع لطاعتهم، من سرور إلى هيل، (وهي بكسر الهاء، وسكون المثناة من تحت، بعدها لام) ثم سيجا (بسين مهملة مفتوحة، ثم مثناة تحتية ساكنة، بعدها جيم، فألف). وبلدان بني جابر كبلدان جيرانهم، لا تقل عنها. ولبني جابر في وادي سمايل، شرف مذكور، ومجد مشهور، وناهيك بذبيان في العرب.

وهم بطون عدة، ويرأسهم في وادي سمايل آل حارث بن محمد بن حارث بن محمد بن راشد بن سالم بن ثاني. وآل حمد بن مسعود بن سالم بن ثاني بن سالم بن ثاني في اللجيلة. وآل سرحان بن سليمان في سيجا. وبنو جابر في بلدة فلج القبائل، المعروفة بهذا الإسم، من أعمال صحار، وهي بلدة طيبة، ذات نهر جميل، ولهم فيها رؤساء أيضاً.

والجوابر المتبعثرون في عُمان، من الرستاق وحطاط والذين في الحبوس، كلهم طائفة واحدة، هكذا في نفسي. أما الذين في جعلان بني بحسن خصوصاً أولاد سعيد بن عبد الله، فهم من بني جابر أهل الهوب. دخلوا في بني بحسن من عهد غير بعيد. والذين في فلج القبايل فرئيسهم الحالي، سالم بن علي بن أحمد بن عبد الله بن ربيع بن سالم، وبنو عمه. وهم في الفلج عدة بطون.

قبيلة آل معولة

اعلم أن من القبايل المعدودة بعُمان، العريقة في المجد والشأن بخصال العروبة، آل معولة بن شمس. في حوزة نخل، وهم في الثغر منها، ببلدانهم ذات الوضع المستحسن، والشكل البهج.

وهم أهل حضارة بالنسبة إلى جيرانهم، وأهل عزة وأدب وفضل وشرف وحسن أخلاق وكرم، في تلك الأطراف، وهم أهل دهاء، أدهى من غيرهم من أهل عُمان، شأن كل قبيلة ذات حضارة.

ولهم بلدان رائقة حسنة طيبة، في فضاء صالح، وفيها البساتين الزاهرة الخضراء بأشجارها النضرة.

ومن أعجب بلدانهم «أفي» (بفتح الهمزة، وكسر الفاء، بعدها ياء)، كأنها تعد بالوفاء أو تعترف به. وهي بلدة واسعة طيبة، ذات مزارع للحنطة. وهي عاصمة الزعامة المعولية.

ورئاستهم الحالية في أولاد ناصر بن محمد بن بلعرب بن عمر بن بلعرب بن سيف بن عمر. وبيتهم هذا معروف بأولاد عمر.

وهم عدد له أهمية قيمة. والمقدم الآن فيهم سعود بن خلف بن ناصر بعد أبيه. وهو المسؤول فيهم. وقد تنازع رئاستهم في السابق كثيرون، وتشعبت في رجالات المعاول، وصارت مسلَّمات إلى أناس فيها. ورئاسة «أفي» في هؤلاء، وفي غيرهم ممن يقول: أنا. ولا ينكر آل ناصر بن محمد ذلك. وصارت رئاسة حبرى إلى فريق فيها.

وتلاعبوا بأنفسهم كتلاعب كثير من أهل عُمان، فاقتتلوا فيما بنيهم في أول هذا القرن، لكبر نفوسهم، وزيادة عتوهم على بعضهم بعضاً.

وهم من أعرق القبايل في الشرف، ومن أكثرهم ذكرى لسالف الآباء والأجداد. إذ كان منهم بنو الجلندى، ملوك عُمان جاهلية وإسلاماً.

وأين معولة قبل الرسول لهم   على مزون إتاوات وتيجان

وآل معولة بطون عديدة، أهمها العريقيون، والمحيدثيون، وأولاد عمر. ومنهم أولاد ناصر كما قدمنا، ومنهم أولاد ابن زامل، وأولاد غسان، والصوالح، وأولاد عدي، ومنهم سيف بن راشد بن نبهان، أي من أولاد عدي.

وفي المعاول أخيار وأشرار، شأن كل قبيلة واسعة. والتي سبق أن تولت

الملك. لا تزال النفوس تدعي وتتعالى، وترى لها اختصاصاً عن سواها.

وآل معولة جبهة عالية في القبايل العُمانية، وحضيرة زاهية في الهيئة القبائلية.

قبيلة بني خروص
ديوان الإمامة

اعلم أن قبيلة بني خروص في عُمان، غير كثيرة العدد. ونحن التزمنا في هذا العنوان، ذكر القبائل ذات العدد، التي لها الحول والقوة بالنسبة إلى ما حولها من القبائل.

فهذه القبيلة إِن لم تعد من القبايل المنضمة تحت القبايل الأخرى، فهي من القبايل غير الكثيرة العدد، ولا الشديدة عتواً. فإن أهم هذه القبيلة في وادي بني خروص، أي الوادي المعروف بهم، فهم إِما تحت الجناح النبهاني أو العربي غالباً. أما هم استقلالاً في بيئتهم فلا، لاسيما في بقية البلاد الأخرى، من باب أولى.

وهم حيثما يكونون عيون باصرة، وأنجم زاهرة، لأنهم من أشرف العرب العُمانية، إِذ هم من صميم الأزد. والأزد هم كما يقول صاحب المؤتمن: أنف اليمن وعينها. وبنو خروص كما نقول نحن: هم أنف الأزد وعينها.

وحالهم غير خفي، فإن شرف بني خروص هيولاه الإِمامة، وأركانه الثقات الذين مازالوا أعمدة العدالة، وما فتئوا دوحة التقوى، وخيرة الناس إِيماناً، وأكملهم في معاني الفضل، لأن شرف التقوى هو الشرف الحقيقي، الذي له الشأن عند الله.

قبيلة بني غافر

من القبائل ذات الشأن في عُمان

اعلم أن بني غافر قوم تسلسلوا من سامة بن لوي بن غالب القرشي. نزلوا عُمان كغيرهم من العرب، بعد حادثة سيل العرم، وارتيادهم للبلاد، كما علم ذلك. ولبني غافر الوادي المعروف بوادي بني غافر.

والبلد التي بها علم رئاستهم خفدي، (بفتح الخاء المعجمة، وسكون الفاء، وكسر الدال المهملة، بعدها ياء).

وبنو غافر رهط عديد، له شأن في عُمان، ولهم عدة بلدان. وهم أهل شدة وصلابة في شؤونهم. ولهم نجدة، وصبر على مضض الدهر، وهم من أصبر القبائل على بلوى الحروب، وأجسرهم عليها إذا اشتد الطعن والضرب. ولهم في ذلك شارات معلومة، وأخبار مرسومة.

ومنهم خرجت زعماء بعُمان، كآل راشد بن حميد، المعروف بالعطابي، (بالعين المهملة المفتوحة، والطاء المهملة المفتوحة المشددة، بعدها ألف، فباء موحدة، فياء) وكان تولى من ملك عُمان حصون الظاهرة زماناً. وله الشأن المسجل في صحائف التاريخ.

ومنهم خرج محمد بن ناصر، الذي أخذ هو وخلف بن مبارك مأخذهما من عُمان، وتبادلا شقي عُمان، عصبية ورئاسة وولاية وسياسة. فكان من خف معه سمي غافرياً، بإضافته إليه. ومن لف عند خلف بن مبارك الهنائي العنبوري، الزعيم الثاني والجمرة الحمراء يسمى هنائياً نسباً جرى على غير أصول النسب. وعصبية لا تقتضيها الديانة، وإنما هي فقط حب الزعامة، والترؤس على الناس بالقهر والغلبة، وحب الاستبداد. وسوء الرأي في ذلك

غير مجهول. فكان لهذه العصبية ما لا يحتاج إلى بيان.

وبالجملة فبنو غافر قوم معدودون في الذروة العليا من هامة العروبة العُمانية، وبالمحل المعتبر من المجد. ورئاستهم في وادي بني غافر، ترجع إلى أولاد ناصر بن راشد، وهو أعقل القوم وأوفاهم. وينازعه في الرئاسة، فريق من هذه العشيرة، يقال لهم: أولاد محمد بن علي. وهم بطن منهم.

وبلادهم يقا (بفتح الياء المثناة من تحت، وفتح القاف أيضاً، بعدها ألف)، وهي من جملة بلاد بني غافر، في هذا الوادي.

ولهم رئاسة الدريز والعينين من الظاهرة، كما سبقت الإِشارة إلى ذلك. وزعيمهم بهما علي بن سعيد بن محمد بن سليمان، وإِليه منتهى أمر هذين البلدين، منذ عهد جده المذكور، الذي قضى على فلج الغبي، (بفتح الغين المعجمة، وكسر الباء الموحدة مشددة) بقضاء الظلم والعدوان، حيث دمر قرية من أبهج القرى، وخرب مدينة من أطيب المدن، بغير موجب شرعي، إِلا الغطرسة بقهره على حصن العينين، وكون فلج الغبي تحت يده، فذلك الغبي على حاله هذا، منذ ذلك العهد إلى الآن، هلكت فيه أموال العباد، وذهبت بها يد التلاشي والفساد. وذلك يدل على خلل في السلطة العُمانية كبير، وعدم اهتمام حكومتها. ولكن تبعثر الملك العُماني، وانحيازه مجزءاً في أيدي الرؤساء، معروف، وبه صارت الإِمارة العُمانية إمارات، وحكومتها حكومات، ولذلك أسباب يعرفها المعنيون بهذا المقام.

فلا يعرف الآن مال قوم من مال آخرين، ونريد بالمال نحن العُمانيين البساتين خاصة بذلك، عرفاً عُمانياً عاماً، فإذا أردنا غير ذلك، ميزناه بشيء من صفاته. فها هي الغبي تدعو وتنادي، ولا مجيب لها طيلة هذه المدة. والله

المستعان. فقد تهدمت المنازل، وتخربت الدور، وانهدمت القصور، واندثرت المساجد. والله يملي لعباده، وليس بغافل عما يعملون. وقد أشرنا إلى هذا في كتابنا الإسعاف، ولما انتشر وبلغ إلى هؤلاء القوم مزقوه. ولا ريب فقد مزق الوليد كتاب الله عز وجل، وقال له قولته، وليس ذلك بضائر. وإن كانوا بالحقائق التي ذكرها المؤلف، فذلك ينافي العقل، وإن كانوا أرادوا بذلك إهانة للمؤلف وإغاضة، فلا يؤمنون من عقوبة الله عز وجل، فإن الله أعطاه دعوة سعد.

قبيلة بني حراص
في الناحية الرستاقية

اعلم أن بني حراص وهم قوم من وايل من القبايل المهمة، التي لها عدد جم، وهي من الأرهاط المهمة في قلب عُمان. وعاصمتها جما من أعمال الرستاق.

وتمتد هذه القبيلة إلى نخل وإلى سمايل في خوبارها، وإلى الرستاق وتوابعها، وإلى الباطنة. وتشتمل على بطون متعددة كثيرة، لها السيطرة عليها، والنفوذ فيها.

وأرهاط حراص وفية عديدة ملية مجيدة. تتبعها الآن رجال من أمجاد الرجال. وآل حراص لهم الحول والطول في أرجائها الواسعة.

ويرأسهم سابقاً آل محمد بن فاضل بن محمد بن سليمان بن ذياب بن ناصر بن سليمان بن ناصر بن محمد الحراصي. والآن آل محمد بن طالب. والموجود الآن قائماً بزعامتهم زهران بن محمد من[1].

قبيلة العبريين

لا يخفى عليك وأنت الحر اليقظ أن قبيلة العبريين من قبائل عُمان الشهيرة. والعبريون هم قوم من الأزد. منحدرون من سلالة عبرة بن زهران، وبقية النسب معروفة، فهم أزديون لا منازع لهم في ذلك.

ولهم بلدان عديدة، وأودية شهيرة. ولهم صولة وطولة، وشدة ومنعة. وهم كما قيل: أهل سيف وأهل ضيف. عرفوا بذلك. وليس من حاجة إلى أن نعرف بهم، وهم مثال في الفضل والشرف، والعلم والأدب. وخصال المجد كادت أن لا تزايلهم طرفة العين.

وقد علم في عُمان أن طائفتين اختصتا بأشياء دون أهل عُمان، فإن الحجريين في الشرقية، مثال في الدين والإيمان، والعبريين في الغربية كذلك. كما أن المساكرة في الشرقية، مثال للبأس والشدة والصبر. وبني علي في الغربية كذلك.

ومن أشهر بلاد العبريين في هذه القرون الأخيرة الحمرا، وهي من أفخر بلاد عُمان، وأبهجها عمراناً، وهي من نشء الدولة اليعربية، إذ نشأت في شبابها، فهي وليدتها. وبتلك الدولة قامت الحمرا مقامها الحالي بين بلدان عُمان. وبها محط رحالهم، وعليها علم رئاستهم، وبها عرش زعامتهم.

---

(١) هكذا الأصل وواضح أن فيه كلاماً لم يتمه المؤلف.

ورئاسة العبريين في أولاد محسن بن زهران. وهم بيت عريق الشرف في آل عبرة. ويتولى رئاستهم الحالية، عبد الله بن مهنا بن حمد، من هذا البيت.

وفي العبريين شرف لا يجارى، بأخيار معروفين، وأبطال مشهورين ومنهم الشيخ العالم العامل، ختام السلف الصالح، ماجد بن خميس العبري، ومنهم أبوه الشيخ الفقيه، المعروف بذي الغبرا خميس بن راشد. وغيرهما في سالف العبريين كثيرون. وهم بطون. ومنهم الشيخ العلامة أبو عبد العزيز إبراهيم بن سعيد بن محسن، القاضي بمسقط، من أنجب الرجال في التحصيل العلمي، واسع الثروة فيه، غزير المادة في العلوم الفقهية، ذكي الذهن الجامع للأدب من جميع نواحيه، واعي الذهن، نيِّر الفكرة العلمية، متضلع بعلوم جمة، أديب لبيب أريب، له اليد في قواعد الأحكام الشرعية، أحد المتخرجين على الشيخ ماجد بن خميس. بحق أقول هو زينة العبريين، وكوكبهم المشرق.

قبيلة الدروع
في بدو عُمان

اعلم أن الدروع من القبائل المهمة، في البادية العُمانية. كثيرة العدد واسعة، لها أهميتها البدوية، وصولتها العربية.

تقع في الجنوب العُماني إلى الفهود. ولها قرية تنعم، وهي ظهير عبري في هذه الآونة التي نحن فيها. وزعيمها الأكبر محمد بن سعيد بن حامد، وابن عمه علي بن هلال. وعلي بن هلال هو من الرجال المعدودين في الزعامة الدرعية، مقدام حر.

ومن أهم بطون الدروع المحاميد. وهم عدد وفير، وفيهم رئاسة الدروع. والدروع عدد معروف، لا يقلون عن القبايل البدوية في عُمان.

والدروع قوم من نزار، لا مرية في نسبهم. وهم أهل إِبل كثيرة وأكثر أعمال البترول الآن في أحوازهم العُمانية، خصوصاً الذي في نتية، وفي الجبال. وقد أصبحوا الآن في مقدمة أهل عُمان، في هذا الصدد الذي كان أمراً وهمياً في عُمان. وسوف يكون الدروع سادة جنوب عُمان بغير مرية. والحال يقضي بذلك. وها هم يسوقون السيارات، بدل النوق المشهورات. ولعلهم سيسوقون قريباً الطائرات. ولله الأَمر. هذا من الأدلة الجليلة على قرب عهد الدنيا بالزوال، الموعود بقوله عليه الصلاة والسلام: إذا رأيت رعاء الشاء والإبل، يتطاولون في البنيان. أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وقد جاء نسب الدروع في الإِسعاف، وفي رعاية الأحساب أيضاً. فطالعها إن شئت.

قبيلة بني هناءة بن مالك بن فهم

اعلم أن قبيلة بني هناءة، ليست قبيلة كثيرة العدد، ولكنها منيعة الحمى، محفوظة الشرف، ثابتة الحقوق، عزيزة النفوس، صعبة المراس، صلبة العود، متينة العمود، ثابتة الأعلام.

تنتمي إلى هناءة بن مالك بن فهم، الملك الأزدي الذي فتح للعرب باب عُمان، بعد حروب سجلها التاريخ على جبهته الغرا، ورسمها الإخباريون على أوراقهم الزهرا.

ولهم بلدان عديدة، لكنها غير كبيرة الشأن، ولا عظيمة العمران، بل

هي كساير بقايا بلاد عُمان. ومن أشهرها الغافات، وهي تقع شرقي جبل الكور المقدم الذكر. ومنها تسلسل بلدان تحيط بهذا الجبل من جميع جهاته. وهو حصنهم المنيع، وقصرهم الرفيع.

وشهامــة آل هنــاءة بن مالك، لا يستنكرها إِلا جاهل، وكيف لا ومالك بن فهم عنصرهم الذي ينحدرون منه، انحدار المطر من المزن. ونجدة هناءة بن مالك، وشدة صرامته، لا تختفيان طيلة الدهر. ولهم الطعنة النجلاء، والوقعة الشوهاء، والوقفة الروعاء، بين الميادين.

ورئاسة بني هناءة في أولاد الوليد. ويتولاها الآن أولاد هلال بن زاهر بن غصن بن هلال بن زاهر. ومنهم أبناء عمهم أولاد علي بن هلال بن زاهر.

وفيهم مقاديم الرجال، وأبطال النزال. وهم الحية التي لا يبرد سمها، والنار التي لا يطفأ لهبها. وفي بني هناءة من أحرار الرجال جملة، يطول استقراؤها في هذا المختصر.

ومنهم أئمة في عُمان، لا يخفى شأنهم، ولا ينكر مكانهم بين مناصب الأئمة، منهم الإِمام عمر بن محمد الزنحي، بطن من هناءة بن مالك. وقيل: هم ابن فراهيد بن مالك. ومنهم في عصرنا هذا، الإمام غالب بن علي بن هلال بن زاهر، المنصوب بولاية العهد له من الإِمام الخليلي، وهو من أولاد هلال بن زاهر الهنائي، المتصل نسبه إلى خلف بن مبارك بالقصير العنبوري. والصحيح أن أولاد هلال بن زاهر، من سليمة بن مالك بن فهم. فما في العنوان أقرب إلى الخطأ، وهذا أقرب إلى الصحة.

وبنو هناءة مقاديم في أهل عُمان. ومن أشهر بلدانهم أيضاً «بلادسيت» اسم مركب تركيب إَضافة بلاد إلى سيت (بسين مهملة مفتوحة، بعدها مثناة

تحتية ساكنة، فمثناة فوقية). وسيت كلمة هندية، ومعناها التاجر أو الزعيم، أو نحو ذلك، فهي لفظة تكريم عندهم، كالشيخ أو السيد أو الرئيس عند غيرهم. ولا أدري سبب جعلها علماً على هذه البلدة، هل كان بانيها رجلاً من رجال الهند؟ ولعله أيام الدولة اليعربية، فإنها ساقت سبايا من الهند على ما قيل: إنهم ساقوا من تبة ومن الديو (بكسر الدال المهملة، وسكون المثناة التحتية)، ستة آلاف أسير، اندمجوا في عُمان وأهلها. وتوجد هذه الكلمة علماً على دار سيت، التي هي نعشي بيت الفلج، وغربي مدينة المطرح.

وبلاد سيت أي بلدة بني هناءة المذكورة، لم تكن قديمة العمران. وهي واقعة شرقي جبل الكور، في رقعة صالحة طيبة.

ولبني هناءة علاقات بالرستاق. ولهم بلدان أخرى، كالخوض في وادي سمايل، والحوقين في الطرف الرستاقي. وهم مشتركون مع غيرهم في بعض البلدان. ولله در بني هناءة، مادينوا، وكم دانوا.

قبيلة الحواسنة

في الجانب الغربي من عُمان

اعلم أن الحواسنة من آل طي، قوم من اليمن. من أمجاد القبايل، ومن مهامها. وقد نشطوا في هذه الأيام، ونمت العشيرة واتسعت، مادة وعدداً وعدة، وتوسعوا في الريف العُماني، لاسيما زعماؤهم. فإن سلطنة مسقط أدنتهم فأغنتهم، والغنى ماء الحياة الذي ينبت به البذر البشري عادة في هذه المعمورة. والفقر والجوع يقتلان ذلك البذر، ويسقطان الزهر.

وللحواسنة شهامة لا تخفى، ونكاية لا تنكر. ولهم بين القبايل التي تجاورهم، علم غير مطوي. والله يعز من يشاء، ويذل من يشاء، لحكمة تقتضيها إِرادته العلية.

وبطون الحواسنة معروفة كالمجامعة، والحوامد، وبنو سعيد، وغيرهم. ولهم بلدان عديدة، منها وادي الحواسنة، والغيزين.

ورئيسهم الحالي سلطان بن سيف بن محمد. يقال: هو سالمي الأصل. وهو شخص بارز باسل، متجرد لطاعة السلطنة السعيدية، قائم في أوامر السلطان سعيد بن تيمور بكل رغبة، وبذلك أصبح زعيماً تنظر العيون إليه.

قبيلة بني عمر

ومن القبائل المعدودة بعُمان، قبيلة بني عمر. رهط واسع، وعددهم وافر. ولهم في الظاهرة بلدان تتصل بالساحل. ولهم نجابة، وصبر على بلوى الدهر. وفيهم رجال لها مقامات سامية، وأبطال متوالية، وحماة معروفون، أشداء في حوزتهم، يقتادون زعامة عربية.

وبلغني أنهم ينتسبون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ونعم النسب لو صح. والذي نراه نحن، أنهم من عمر بن عامر صعصعة. وعلى كلا النسبين هم نزاريون.

وفي بني عمر زعماء خصيصون في بطونهم وفصايلهم، لا يجهلون. ومنهم آل سالم بن مرهون، وخليفة بن عبيد، ومن الزعماء أيضاً، حمدان بن سليم، وأبناء عمه في الهيال (بفتح الهاء، والمثناة من تحت مشددة، بعدها ألف، فلام)، قرية من قرى بني عمر معروفة.

ولهم بلدة كهنات (بفتح الكاف والهاء، بعدها نون، فألف، فمثناة فوقية) ولهم الوادي المعروف بهم، ببلدانه وجميع شؤونه.

ومن أكثر أهل عُمان استخداماً لحكومة مسقط، في هذه العصور الأخيرة، فهم جنود وعساكر. ورؤساؤهم مطيعون للحكومة، مطاعون في العشيرة. وأصبرهم على مضض الدهر ونوائبه. وكثرتهم بين قبائل الغربية ملموسة. وأقرب من بقايا قبائل الظاهرة إلى الاستقامة في دينهم. وأقل القبائل بطشاً. وهم أمجاد أجواد. وفي باب الرجال ليوث وآساد. ومقامهم لا يخفى على أهل عُمان.

وأما بطونهم تفصيلاً فهم، أولاً: التناعم، وهم أولاد سليم بن راشد، في الهيال. وأما في كهنات، فأولاد حمد بن حمدان، من بني سعد. وأما في وادي بني عمر، فعلاقمة، ثم أولاد سيف، ثم أولاد سنين (بسين مهملة، فنون، فمثناة تحتية مشددة، فنون). فأولاد بني خيل، فأولاد حميد، فالحوامد، فالمخالدة، فالمزايدة. فالمزاينة، وفي حيي (بكسر الحاء المهملة، بعدها مثناة تحتية، فموحدة، فباء) وأنا أظن بعد المثناة التحتية جيماً، فقلبت موحدة على لغة البادية، لأن أهل هذه النواحي أغلبهم بادية.

وأخبرني من له اطلاع بهم، أن عددهم يفوق عدد المقابيل. وعليه فهم كثيرون. ومن أشهر بلدانهم بعد الهيّال وكهنات دقال أيضاً، ثم الفرفار، ثم الاثلات، ثم حيي، التي تكلمنا عنها آنفاً.

قبيلة بني كلبان

من أهم القبائل الغربية، قبيلة بني كلبان. وهم قوم من وايل على الشهير. وهم أرهاط تعددت بطونها، وانتشرت في نواحي الظاهرة.

ولهم الآن إِمارة مقنيات، تلك البلدة الطيبة، ذات البهجة الكريمة، أنتجتها الزعامة النبهانية.

وجلبت إِليها فلاح بن محسن غراساً منوعاً، كما شاع ذلك، ومنه شجرة المانغا، المعروفة في عُمان بالامبا، أول ما غرست بعُمان في مقنيات.

وزعماء بني كلبان، آل غصن بن ناصر، وحمد بن سيف. وكل واحد من فرقة.

قبيلة المقابيل

اعلم أن المقابيل في الطرف الغربي من عُمان، حول الظاهرة، داخلياً وساحلياً. ولهم كثرة ملموسة، ونجابة محسوسة.

ولم أقف على صحة لنسبهم، وكنت أعتقد أنهم من قبائل الحدان بن شمس، نظراً إلى أوضاع المجاورة والاختلاط، أحوازاً ومداخلة وغيرها. وهكذا كان اعتقادي، ولكن بغير دليل، حتى إِذا اجتمعت بالشيخ مبارك بن سالم بن حميد، قاضي الرستاق في هذه الأيام، وتذاكرنا المقابيل ونسبهم، هذا ما أفادني فيهم، والأولى أن نأخذه عنه، والعهدة عليه في ذلك.

قال: أما المقابيل ونسبهم، فالشهير عند الناس أنهم من مخزوم. وهكذا المستقر عند الناس. كما أنني أيام الشبيبة بوطني الوادي، هكذا أسمع من

الآباء. وهم إذا تليت بعض السير بمحافلهم، وجرى الذكر على شيء من الوقائع، كسيرة فتوح الشام وغيرها، التي جرت على يد السيد خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فإن الجماعة بذكره يسرون. أما أنني بنفسي فلا وقفت على تاريخ لذلك، والغيب عند الله.

قال: مع أن بعض الناقلين، زعموا أن أصل تسمية المقابيل حادثة. وزعموا أن مقبل هو السيد سليمان بن السيد خالد بن الوليد المقدم ذكره. قال: وسليمان هذا قتل بمعركة فتوح الشام البهنسا الغرا من أعمال مصر، أيام فتحها السيد خالد والده رحمه الله.

قال: أما بلدانهم فهم بداخلية عُمان، أقل منهم بصحار وأوديتها ومتعلقاتها. يقربون من خمسة عشر ألفاً. لكنهم كلهم خلافيون، لم يكن بهم إباضي. أما من بداخلية عُمان، كأهالي بات، (بباء موحدة مفتوحة، بعدها ألف، فمثناة فوقية) من الظاهرة، وأهالي بلد مري (بميم مضمومة، وراء مهملة مكسورة، بعدها مثناة تحتية، كالأمر للمؤنثة بالمرور). قال: والذين بوادي بني غافر، ووادي بني هني، فهم إباضيون، ليس فيهم خلافي. قال: هذا ما بلغني من أخبارهم.

قلت: أما المذهب أو المذاهب الطارئة على عُمان، في العهود الآخيرة، لا شك أنها تطرأ على الأبواب والمداخل، والساحل أحق بذلك، لأن أبواب عُمان سواحلها وأطرافها، وقد دبت إليها المذاهب الأخرى، فتعددت فيها، كالشيعة في مسقط، والوهابية في جعلان، والشافعية في صور، والأحناف في الباطنة، وهكذا. وبقي المذهب الإباضي بالقلب من عُمان. وما كانت هذه المذاهب موجودة فيما خلا، لكن اختلاط العُمانيين

بغيرهم، وتعصبهم بهم أيام حروبهم، جلب هذه المذاهب، ونشرها بينهم، وأخذ بها عوامهم وجهلتهم. وأما أهل العلم والإيمان منهم، باقون على مذهبهم المحمدي، لا الإباضي، لأن ابن إباض لا يوجد له مذهب خاص في هذا العالم، ولا مسألة واحدة، ولا قولاً واحداً أبداً، يقلده فيه متبعوه في أصل أو فرع. وهذا العالم العديد، المسمى بالإباضة، الذي ظل بصنعا وسائر اليمن وحضرموت طيلة سبعة قرون منتشراً، وفي المغرب كذلك، إلى الآن، وفي إفريقيا الشرقية أيضاً، وفي عُمان أيضاً، مذهباً قائماً بدوله وزعاماته ورؤسائه، ولم يتقيد بابن إباض في أي شيء، مما يدلك أن هذا المذهب، لا يتقيد إلا بالكتاب والسنة، وآثار السلف الصالح من الأمة، تبعاً لقوله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ ثم أردف ذلك بقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، فقد أخذ الإباضيون بمقتضى هذه الآية ونحوها، ولا زالوا ولن يزالوا على ذلك، حتى يرث الأرض وارثها ومن عليها. والحمد لله.

ورئيس المقابيل علي بن محمد، ببلدة اللثبات خاصة. وحمدان بن علي بالحلة. ومحمد بن سليمان بن حمد بن حميد بن سالم، وأولاد حمدان بن علي بن هلال، في الحلة أيضاً. وسالم بن محمد بن حميد، في بلدة بات.

وتعدد الرؤساء في هذه القبيلة، مشعر بكثرتها، ودال على اتساعها. وكما ترى القاضي يقول: هم في أحواز صحار وما حواليها، يبلغ عددهم خمسة عشر ألف رجل. أي غير الذين بداخلية عُمان، ونعني بالداخلية ما عدا السواحل العُمانية.

قال الشيخ خالد بن محمد بن سليمان بن أحمد بن المر بن محمد بن

راشد بن علي بن خلف بن سعيد بن سليمان النقبي الصحاري: أما المقابيل فبحثت عند أكابرهم، فاتفق الكل أنهم من مالك بن فهم. قال: ولقب المقابيل، لم يفهم أحد منهم معناه.

قلت: وأنا أرجح هذا، لأن ذلك الطرف الشمالي، غلبت عليه قبايل الأزد، وخصوصاً آل مالك بن فهم.

قبيلة النعيم وآل بوشامس

اعلم أن النعيم وآل بوشامس قبيلة واحدة الآن. آل بوشامس أو آل شامس أو الشوامس، من القبائل المعدودة نجابة وشهامة وسطوة في أطراف البريمي.

قبيلة النعيم والشوامس - وهم قوم من الأنصار - جاؤوا عُمان في من جاء من العرب أيام فتحها، ونزلوا بأرض الجو منها. ولهم صقع البريمي، العامر ببلدانه، ورياضه وغياضه. واحتلوا مدينة ضنك، الشهيرة بهوائها وطيبها، وبساتينها النضرة الوارفة الخضراء، الفيحاء الجميلة.

وأين ضنك وأقيال النعيم بها

ولهم زعامة أرض الجو. ومن زعمائهم الآن بأرض الجو، محمد بن سالمين بن رحمة، وصقر بن سلطان بن صقر، المنجلي عن البريمي الآن لاجئاً بالدمام، لما حملت القوات الجديدة باسم سلطان مسقط وبأمره، على واحة البريمي واحتلتها، انجلى صقر المذكور. فبعدما كان صقراً صار غراباً، احترق ريشه، وانكسرت أجنحته، وطار إلى وكر تحيط به سلطة غير عُمانية،

فارتفع عن سلطانه وإمارته ودولة زعامته المزعومة على واحة البريمي، عقوبة ساقها الله إليه جزاء أعمال تقدمت منه.

ولا شك أن الظلم يصرع راكبه، ويترك منازله خراباً. وإن الله يمهل ولا يهمل، حتى إِذا أخذ الله أحداً بظلمه لم يفلته. والسلطان الحقيقي لله.

وآل بوشامس زملاء النعيم في كل شيء بأرض الجو. ولهم من زعامتها نصيب. وفيهم رجال معدودون. ولهم بلدان تتبع دعوتهم وتجيب نداءهم، وتسمع لقولهم.

وقد حل بآل بوشامس ما حل بأخوانهم النعيم، فانجلوا عن البلاد راغمين وتركوا ما اقترفوه في أيدي من لم يحتسبوا له، فكان الجزاء من جنس العمل. فسبحان من يقضي ولا يقضى عليه. ولا يغير الله ما بقوم، حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وقد جعل النعيم وآل بوشامس وبنو قتب وأضرابهم، نهب أموال الناس في عُمان سنة من سننهم. وتسلطوا على عباد الله آمنين العقوبة من الناس فجاءتهم من الناس يسوقها رب الناس.

وكم تلطف مسقط لسلطان البريمي صقر بن سلطان، وكم ساق إليه التحف والهدايا استعطافاً، وهو يزيد عتواً واستكباراً، وكم زفت إِليه رغبات السلطان، فلا ترى منه إِلا تعاظماً في نفسه، وصرامة في معاملته، حتى إِذا حان الحين، وطافت على الأفق قطعة غيم، أصبح بها سلطان البريمي خاضعاً لسلطان مسقط، وأصبح السيل يحمل الغثاء، ويبقي في الأرض ما ينفع الناس.

وليس راشد بن حمد الشامسي بأقل من صقر النعيمي، وقد انتهب

الحيان ومعهما بنو قتب السعاة في عُمان، وأهل الأسفار في الطرقات، واحتطبوا على كواهلهم أيام الإمام سالم بن راشد الخروصي، والإمام الثاني محمد بن عبد الله الخليلي، وكم أخافوا المرار، وقطعوا الطرق، وكم قتلوا الأبرياء بغية حطام ضئيل، فلم يزالوا غزاةً نهابةً، تسرق عُمان والباطنة التابعة لسلطان مسقط وعُمان، حتى في غبرة بوشر ثغر المطرح هاجموا الضعفاء عصراً، فقتلوا ونهبوا وحملوا الأحرار. وهذه آخر مرة كانت لهم فعلة أحمت الوطيس عليهم، وأوقدت وميض الانتقام، فأصلت الله إصليت النقمة عليهم. وأصبحت البريمي عُمانية كما كانت قديماً، رغم إرادتهم. وإذا أراد الله أمراً كان، وإن جدت الأعمال في رده فلن يرد. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾. والأمر لله.

قبيلة الشحوح

في شمال عُمان

اعلم أن الشحوح في الجانب الشمالي من عُمان عدد وفير. ولهم سطوة عربية فعالة، ولهم بأس لا ترده إلا الأيدي القوية. ولهم بلدان متواصلة كسلسلة مرتبطة الحلقات. وهم في شمال عُمان من أمرِّ قبائلها.

وهم قوم يمانيّون، يتصل نسبهم إلى مالك بن فهم، فاتح عُمان، ووضاع حجر أساس العروبة بها في أول العهد الأزدي.

وقد تكلم عن الشحوح كتاب السَّاحل المتصالح، ودرسوا الحالة درساً تحقيقياً. وخصب أهمل بلاد الساحل عند هؤلاء بغير مدافع، وهي من بلاد الأفق الشمالي بعُمان. وأهميتها غير منكورة لا تزال يرف عليها علم سلطنة مسقط.

والشحوح رجال من أبسل رجال الشمال. وهم من ذراري لقيط بن الحارث بن مالك بن فهم خاصة. والشحوح شرارة في ذلك الصقع. لقبوا بالشحوح لأنهم شحوا بالصدقة في أيام أبي بكر الصديق ﷺ. وأفاضوا هم وجابي الزكاة، فظنهم قد ارتدوا كمن ارتد من سائر العرب إِذ ذاك، فأطلقوا عليهم حكم الارتداد، ونسبوا ذلك إِلى أهل عُمان كما في السير الأجنبية من الناس.

قبيلة القواسم

اعلم أن قبيلة القواسم في عُمان من القبائل المهمة، التي لها الشأن في عُمان. وهي كثيرة كبيرة، متعددة الصبغة، مختلفة الأحوال، منتشرة في عُمان، ومعظمها في الساحل والأُفق الشمالي من الشارقة إلى رأس الخيمة وأعمال خورفكان، وجوداً ظاهراً، مرفوع الأعلام مرتب الأقلام، مرسوم الأوضاع في عُمان.

والقواسم في الساحل العُماني إلى مسقط، ولهم وجود بها في الجصة قديماً تجاراً معتبرين، وأهل أعمال معروفين، وهكذا إِلى صور وجعلان، وفي الداخلية من عُمان. وأهمهم بالجهة الشمالية لا يزالون لهم بين القباب العربية قبة زهراء.

واسم القواسم لا يزال نزاري المحتد، عدناني المرجع. ويكفي «العنوان» هذا الذكر الموجز عنهم، فإِنهم معروفون، والمعروف لا يعرَّف.

وقبائل عُمان كثيرة، ولسنا نتكلم على الكل بل على المهم منها، أو على الأهم، لداعٍ اقتضاه الحال.

قبيلة الجنبة
في عُمان الشرقية

اعلم أن من أعظم قبائل عُمان الجنبة. وقد نوهنا بهم عند الكلام على صور. وهم من أوفى القبائل كيلا للصاع بالصاع، ومن أعز القبائل نفساً إذا كشف عن عُمان القناع، ومن أكثر القبائل أرهاطاً وأتباعاً.

لهم صور المعروفة بهم. وهم جبلها الراسي، وحجرها القاسي. أهل شدة وعدة. وهم أربعة بطون معروفة.

ورئاسة الجنبة في عُمان الداخلية إلى المجاعلة، ورئيسهم الحالي ياسر ابن حمود بن سلطان بن خميس بن علي بن خلفان، وابن عمه خميس بن سعيد بن سلطان.

أما في صور ففي كل بطن مسؤول، كزعيم ورشيد. ففي المخانة حمد بن خلفان. وفي العراملي، محمد بن ناصر بن علي الحشار. وفي الفوارس سالم بن ناصر. وفي الغيالين عبد الله بن سالم ولدفنة.

قبيلة آل بو سعيد
ملوك عُمان

اعلم أن قبيلة آل بو سعيد في عُمان الآن، من القبائل المعدودة، كثرة ونجابة وعدة، بالنسبة إلى القبائل العُمانية في هذا العهد. فإنها نمت بعدما تولت الملك. فبعد ما كانت فصيلة أو دونها، أصبحت بطناً، بل عمارة، بل قبيلة من أهم القبائل. تعددت في عُمان شرقها وغربها، وقل أن تخلو منها بلد

من أمهات البلاد، كنزوى والرستاق وسمايل والباطنة.

أما السلطنة ففي أولاد أحمد بن سعيد، وبالأخص منهم أولاد سعيد بن سلطان. وقد ضرب الملك فيهم بجرانه، منذ مائتين وثلاثين أو أربعين سنة تقريباً. والملك لله يؤتيه من يشاء.

وآل بو سعيد في بلد الشريعة، من أعمال سمد الشان وتوابعها، أفاضل أمجاد، وأكارم أجواد، يعدون في طليعة رجال هذه القبيلة.

وكنا قد بلغنا أن رئاسة آل بو سعيد، التي يتحاكم إليها رجال العشيرة قديماً، في آل ناصر بن محمد بن سعيد البوسعيدي، أهل سمايل خاصة. أما الملك ففي آل أحمد بن سعيد. وأما برآن الدماء فيما بينهم، وبقية قبائل عُمان فإلى المذكورين. ولعل آل بوسعيد أنفسهم لا ينكرون ذلك.

وقد انتشر آل بو سعيد في عُمان، انتشار سلطانهم فيها، كما يعلم ذلك أهل عُمان.

وهم بطون عديدة، تجمعهم الجامعة السلطانية. وهي التي عليها المعول الآن.

وآل بو سعيد قوم من الأزد، من أحفاد مالك بن فهم، الملك المعروف، الفاتح لعُمان.

وفي آل بوسعيد أخيار وأعيان، ومنهم الإمام الرضي، عزان بن قيس بن عزان بن قيس ابن الإمام أحمد بن سعيد، وولده السيد الفاضل الزاهد العابد، سعود بن عزان، ومنهم السيد مهنا بن خلفان، صاحب لباب الآثار، ومنهم السيد المحسن الفاضل، هلال بن أحمد، المعروف بمعروفه وإحسانه عند الكل من أهل عُمان.

وفيهم من الأخيار والعلماء وأفاضل الرجال عدد. وناهيك بالسيد الفاضل الزاهد، سيف بن محمد، من أهل الشريعة من أعمال سمد الشان. ومن القضاة في هذا العصر الذي قل فيه العلم، منهم المشايخ أحمد بن ناصر بن منصور بن ناصر بن خلفان، وحمد بن عبد الله بن حمد بن سيف بن سعيد بن راشد، وحمد بن سيف بن محمد بن سلطان، وهؤلاء من أهالي الشريعة، من أعمال سمد الشان، وسالم بن سيف بن سليمان من أهالي نزوى، من أهل العلم، وأهل الفضل، والورع في الدين. وهم بالنسبة إلى غيرهم من أهل عُمان أكفاء في جميع الأحوال. ويقال: دخل فيهم ناس ليسوا منهم.

تتمة

هذه هي أمهات القبائل بعُمان، والمنظور إِليها كثرة وثروة مادية ومعنوية، والتي لها رئاسة لها مفعولها، حسب المعروف من الزعامات العربية، حلاً وعقداً، ونقضاً وإِبراماً، وإِن كان بعض هذه القبائل، أمكن من بعض في بعض الأحوال «وكلكم راع...» الحديث.

عُمان

في نظر الرسول (صلى الله عليه وسلم)

نظر رسول الله ﷺ إلى عُمان نظر ولاء واصطفاء، فقال عليه الصلاة والسلام: «من تعذر عليه الرزق فعليه بعُمان»، وقال ﷺ: «من أعيته المكاسب فعليه بعُمان»، وهو معنى الحديث الأول، والمعنى فليأت عُمان يجد فيها الخير ميسوراً، فلا تكلفه الحياة تعبا في عُمان، لسهولة مؤنتها.

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِني لأعلم أرضاً يقال لها عُمان، ينضح البحر بناحيتها، لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم. الحجة منها أفضل من حجتين من غيرها». وذلك لشقة السفر منها، بالنظر إلى بقية بلاد الجزيرة العربية.

وفي تفسير الفج العميق عُمان.

وفي حديثٍ «من أعيته المكاسب فليأت عُمان بلاد الأمان، لا ظلم فيها ولا جور، يوشك في آخر الزمان أن ينتقل إليها الناس، لأمان أهلها فيها» وعنه ﷺ «من أحب أن يسكن عُمان فليسكن، فإن فيها القنوع والرضى باليسير».

وعن عبد الله بن سلمة، أنه سمع رجلا يودع رجلاً فقال: أين يريد؟ قال: عُمان. قال له: فالحق بها يا ابن أخي، فإن بها أمان الليل، وأمان النهار. ويوشك أن ينتقل الناس إليها في آخر الزمان، فراراً من جور السلطان، وأعوان الظلمة، وحطاط النبط.

وعنه ﷺ قال: «يوشك أن تكفر أمتي، ويلي عليهم أعوان الظلمة في البلدان. نعم وإن عما نعند اقتراب الساعة يعمر خرابها، ويكثر سكانها، وتضيق بها أمتي، حتى يباع بها مربض الشاة، ومقعد الرجل، بعشرة دنانير وعشرين ديناراً، فلا تقدر على ذلك، لما يكثر فيها من الناس، وكذا فيها الأرزاق. ويأمن الناس فيها بأوسع الأمان، تصبح إِباحتهم تأتينهم أرزاقهم من فجرهم، آمن ليلهم، طيب نهارهم».

هذه روايات وجدتها أكثرها صحيح، وبعضها لا يخلو من تخليط، بتلاعب النساخ العوام فيه، بتغيير بعض الألفاظ. فعلى من أدرك تصحيحها، أن يصححها ويصلحها. وكأني بما دلت عليه هذه الأَحاديث واقع لا محالة، وثابت نصب العين.

وروى القطب بن يوسف في جامع الشمل، قوله ﷺ: «من تعذرت عليه التجارة فعليه بعُمان» رواه الطبراني.

ملـــوك عُمان وأئمتها

لا يخفى أن أول قدم رسخت بعُمان للعرب، بعد الأمم البايدة، قدم مالك بن فهم، ومن خف معه. وكان أول نزوله بقلهات، العاصمة الوحيدة لعُمان إذ ذاك. ومنها تغلغل في عُمان، فهاجت العجم الذين بعُمان وماجوا لنزوله، وأخيراً أداروا رحى الحرب بينهم وإياه، وكان معسكرهم بصحار، فانكشفت الحرب عن انتصارات أحرزها مالك بن فهم، في تلك الحروب التي كان يباشرها بنفسه، ويتلقى سهامها بصدره، وهو بين هناءة بن مالك عن ميمنته، وبين فراهيد أخيه عن ميسرته.

وكان مالك هماماً مقداماً، عظيم النفس، خوّاضاً لزواخر الحرب، ذا عزم وحزم، وصبر على مضض الكوارث، لا يرى لكثرة الجنود في عدوه شانا، ولا ينزعج لحملات الأبطال. وهو في قومه محبوب مطاع.

وما زالت المعارك بينه والعجم مشتعلة في حماس شديد. وكان من يمن الطالع لمالك، انهزام العجم بعد روعات باهرة، حتى أحسوا بالضعف. وتوالت أنجم نحسهم، حتى أذنوا بالجلاء من عُمان، لولا شنشنة ملكهم، واتقاد قلبه غيظاً وحنقاً على تلك الحوادث التي بلغته فأقلقته، فجهز الجيوش لمناصرة أرهاطه، فقضى عليهم سوء الحظ، ولحقوا بأصحابهم. وظهر في الأفق السعد العربي الأزدي بعُمان، وانحل نظام العجم منها، وانمحت رسوم زعامتهم من جميع البلاد الداخلية، وبقيت بقية بالساحل منهم، مصالحة ومهادنة: حتى جاء الإسلام فمحاها تماماً.

ولما أفل نجم العجم من الأُفق العُماني، لبزوغ طالع العرب فيها، وفدت العرب إلى مالك بن فهم، الذي أعلن الدهر له بملكية عُمان، وخضوعها له، وانسابت العرب إليه، ووفدت القبايل عليه من جميع الأرجاء، وفي مقدمتهم اليمانية، حيث هم الفاتحون، وهم السادة لذلك الفتح، وعلى كواهلهم قامت أركانه. ثم لحقت بهم النزارية، مؤيدة لهم وناصرة لسلطانهم، وملتفة حولهم. فقرت الأرجاء العُمانية بهم، وتوطدت الزعامة العربية لهم، فملؤوا بسيطتها، واتسعوا بريفها، وابتهجوا بخيرها. وتوالى الزوار العرب لعُمان، ملوكاً وغيرهم، ولبثوا في حمى الأزد. وبذلك سُقط في يد المملكة الكسروية، وتحققت ذهاب عُمان من سلطانها. حتى انتهت حياة مالك بن فهم بها، على يد أحب الناس إليه، كما هو معروف.

وبقي أمر عُمان يتداوله وارثوه، من أبنائه الأجلاء، وامتد لهم سلطان عظيم في فارس، كان سليمة بن مالك، مُشيد أركانه، ورافع بنيانه، في حديث مستغرب، وبناء مستعذب. وظل ملك عُمان في يد أولاد مالك بن فهم عهداً معروفاً. وقد امتلأت عُمان برجالات العرب، وخصوصاً الأزد.

وفي سقوط دولة وقيام أخرى مقامها معتبر للعاقل، كما أشار القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

وبذلك انتقل الملك من آل مالك بن فهم، إلى آل معولة بن شمس، فاستقل به بنو الجلندى، وتوالى به ملوكهم، وعظم به سلطانهم. وجاء الإِسلام وهم ملوك عُمان. وبعهدهم انتهى جلاء الفرس من عُمان.

ومن ملوكهم في الجاهلية عبد عز، ملك عُمان واليمامة والبحرين وأطراف نجد، ومنهم الجلندى بن المستكبر، ومنهم جيفر وعبد أبناء الجلندى، اللذان أسلم على أيديهما أهل عُمان، وأنقذهم الله بهما من شقاوة الشرك، إلى سعادة الإِيمان، ومنهم الإِمام الجلندى بن مسعود، أول إِمام بعُمان.

فإذا عرفت أن عُمان منذ نزول العرب فيها، لم تزل راية الملك والسلطنة منشورة عليها، ففي العهد الجاهلي، كان الملك لعُمان مالك بن فهم، المشهور بحروبه الهائلة، وصولاته الطايلة، وهمته العلية. فقد خرج من مأرب إبان حادثة سيل العرم، ونزل عُمان كما قدمنا.

وأول بلد نزله قلهات (بفتح القاف، وسكون اللام، وهاء بعدها ألف، فمثناة فوقية)، وكانت إذ ذاك العاصمة الوحيدة لعُمان، والكورة الفريدة لهذا القطر، الذي هو رأس شبه الجزيرة العربية، من الجهة الشرقية. ثم دخل عُمان كما قدمنا، فتغلغل في القلب منها، بعد حروب أشرنا إليها إجمالاً. ثم كان حتفه على يد ولده سليمة. ثم مشى الملك في آله مدة.

ثم انتقل منهم إلى آل الجلندى. فكان منهم ملوك عظماء، بزغت شمس الإسلام على رؤوسهم، فأنارتهم وأرشدتهم إلى نهج الهدى، وبصرتهم مسالك الردى. فكان من حسن الحظ إسلامهم، ليسلم أهل عُمان معهم.

وإليهم كتب رسول الله ﷺ. وكان القائم بالأمر منهم جيفر وعبد، ابنا الجلندى بن المستكبر بن الحرار بن عبد عز بن معولة بن شمس، وهما المقيمان بعرش صحار، ولا تسل عن صحار إذ ذاك، أكبر عاصمة لعُمان. ولما أسلما واعتنقا الإسلام بإيمان وإخلاص وثبات، دعوا الناس إليه، ورغباهم فيه، وقاما بحقوقه، وأدخلا الناس راغبين وراهبين في طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي نشر الإسلام من غير أن يعوقه عائق، أو يرده راد. والقضية مشهورة.

ورسولُ رسول الله ﷺ إلى عُمان، عمرو بن العاص القرشي السهمي. وكتابه ﷺ مشهور في كتبه إلى ملوك العرب، ومن إليهم. فكان كما قيل: صحيفة أقل من الشبر. أسنده إلى جيفر وعبد، ملكي عُمان، كما اعتبر بقية الزعماء والملوك، من القياصرة والأكاسرة. وقد ذكر هذا الكتاب في التاريخ النبوي، وحسبك السيرة الحلبية، وتاريخ الخميس، وسيرة عمرو بن العاص إلى المدينة.

وأهل عُمان كلهم مسلمون. وراية رسول الله ﷺ ترف على رؤوسهم، وأوامره مقبولة لديهم، وزعامته الإسلامية واقعة على هاماتهم، وأمر الله نافذ فيهم. والحق يعرفه أهله. ومن عرف الحق فانقاد له فقد حاز الشرف، ومن ركن إلى الباطل فحسبه وبال.

ثم بعد رسول الله ﷺ، لم تزل الإمارة الإسلامية ضاربة أطنابها بعُمان، قائمة بواجب الإيمان، داعية إلى الملك الديان، عامرة بإرشادات القرآن، ومتبعة لمراشد الرسول عليه الصلاة والسلام، والأئمة الراشدين من بعده. حتى إذا تبدلت السيرة، واختلفت الكلمة، وانبثت الدعايات بحكم الهوى، وفاض الناس في الإفك والضلال، وخاضوا بحر الباطل بغير حجة، وقام السلطان على غير الخطة الإسلامية، وصارت الأئمة ملوكاً، وصارت الملوك طوع هواها، وحدث بالإسلام ما حدث، قام أهل عُمان في عُمانهم، فنصبوا الإمام الجلندى بن مسعود رحمه الله، في سنة ١٣٢. وكذلك نصبوا إمام اليمن، عبد الله بن يحيى الكندي، طالب الحق، في هذه السنة بعينها. وكذلك نصبوا إمام المغرب في هذا التاريخ أيضاً، وهو أبو الخطاب المعافري، وأصله من اليمن. وكذلك نصبوا حمد بن سلمان إماماً لحضرموت، في هذا التاريخ. فقام هؤلاء الأئمة ضد أعداء الحق، الذين غلبت عليهم شهواتهم، وطغت عليهم أنفسهم، فصارعوا جنود الباطل، وكافحوا أقوام الفساد، وكدروا صفو أهل الأهواء، تبعاً لأوامر القرآن، وإحياء لسيرة سيد ولد عدنان، ﷺ. فكان لأهل عُمان فضل على غيرهم، وكيف لا يكون فضل لقوم لا يزالون آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، قائمين بحقوق الدين، مؤيدين منهج سيد المرسلين، لا يرضون الهوى إلا راغمين، ولا يخضعون للباطل إلا مكرهين. أليس هذا من الحق في دين الله عز وجل؟.

بيان عن أهل عُمان من هم؟

اعلم أن أهل عُمان هم أبناء قحطان وعدنان، وأحفاد إِبراهيم الخليل وهود عليهما السلام، شعباً متضامناً ملتفاً، سداته الأزد، ولحمته اليمن، وقوته النزار، وحفظته العزايم وسورة الوعي، وعُمان غابه المنيع، وحرمه الوسيع، وعرينه المحروس.

هؤلاء أهل عُمان الذين عرفت عُمان بهم، وعرفوا بها، لاسيما في الإِسلام إِلى يومنا هذا، وإن كان جاء إِليها أناس آخرون من أمم الهند غالباً، مسلمون وغير مسلمين.

أما أهلها القدماء الذين استعمروا عُمان في القرون الأولى، فقد جاء في التاريخ أن الأمم الأولى، الذين هم البابليون والآشوريون والكنعانيون والفينيقيون والآراميون وغيرهم، كلهم قطنوا عُمان، ومضت لهم فيها عهود طويلة.

وتولى عُمان من الملوك قبل العرب كثيرون، ولعل الأكاسرة تولوا عُمان قبل أولئك. والذي يظهر من استقراء أحوال التاريخ، أن العرب اليمانيين تولوا عُمان مرتين، أما المرة الأولى، فبتولية عُمان بن قحطان. وأما الثانية، فقبض مالك بن فهم لها.

وقد جاءت كتب القدماء من الأجانب، تخبر عن عُمان بأنباء حارة، وذكروا لها في عالم التجارة أذكاراً مهمة، وحدثوا عنها الأحاديث الكاملة، وخصوصاً في الأرزاق الدارة، والفضائل القارة، والنعم الكثيرة. منهم من يشبهها بسورية، ومنهم من يشبه سورية بها، وكذلك القطر الإِيراني.

شأن أهل عُمان بين أمم الإسلام

شأن أهل عُمان بين الأمم، كما يقول القائل فيهم، وإِن كان منهم فهو عين واقعهم:

لا يثقلـــون وإِن خفت عيابهم   عن الندى ولهم بالحلم رجحان

لا شك أن فضلهم شامل، وشأنهم كامل، وعزهم طائل، ومجدهم عريق، ذلك لأن لهم في سماء الحق أنجماً نيرة، وفي طالع الإيمان أبرجه العلية. فيهم الخطباء البلغاء، والأدباء النبغاء، والزعماء الكرماء، والقواد العظماء، والأئمة العلماء، والأتقياء الفضلاء، والصلحاء النبلاء.

منهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، وشهرته تكفي عن ذكره.

ومنهم أبو بكر بن دريد، من أهل قدفع (بقاف، بعدها دال مهملة، فعين مهملة)، من ناحية شمال عُمان. أكبر عالم في الأدب بجميع معانيه. وقد عرفه العالم العربي كله.

وحسبنا في الفقه، وعلم السنة النبوية وأحكامها، بأبي الشعثاء جابر بن زيد، أحد الأئمة الأجلاء، وأفضل العلماء الموقرين. أجمعت الأمة على عدالته، واتفقت الأئمة على فضله.

ومنهم الربيع بن حبيب، صاحب المسند الصحيح المعروف. فهو ربيع الحديث، ربيع العلم، ربيع الفضل، علم من الأعلام المعدودين، وسيد من السادة الموقرين.

ومنهم الإمام في الأدب أيضاً أبو العباس محمد بن يزيد، صاحب الكامل، المعروف بالمبرد.

ومنهم ضمام بن السائب، أحد رواة الربيع بن حبيب، وهو من بني الندب من الأزد.

ومنهم حاجب بن مودود.

ومنهم الفضل بن جندب، المعروف في مصاف العلماء الأجلاء. وكان من الأغنياء المحسنين ديناً ودنيا. وهم من أهالي صحار.

ومنهم المختار بن عوف، المعروف بأبي حمزة الشاري، من بني سليمة، كان المختار أحد الرجال الذين يحبهم الله ويحبونه. خرج على أهل الضلال آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، زعيماً دينياً، إذ كان أحد قواد الإمام عبد الله بن يحيى طالب الحق باليمن. وافتتح الحرمين. وأقام منار الدين في تلك الفترة التي تمكن فيها. وخطب الخطب المأثورة التي تناقلها الرواة والعلماء.

ومنهم بلج بن عقبة، الذي يعد عن ألف رجل. وناهيك به هماماً فيصلاً، خوّاض غمرات. قتل بوادي القرى.

وهما من مجز من أعمال صحار.

ومنهم المهلب بن أبي صفرة، وهو أكبر القادة المعروفين في الدولة الأموية. وآل المهلب عائلة عرف شأنها في الدولة العباسية. ولهم المقام الموقر بين رجالات العرب، لا يحتاج أن نذكرهم، وهم أشهر من نار على علم.

ومنهم مرة بن البليد، المعروف ببديهياته، اللسن الذي لا يقف موقفه أحد.

ومنهم الخطيب المعروف، صعصعة بن صوحان، الذي روت الرّواة خطبه المأثورة، وكلماته المزبورة، وأخوه كذلك.

ومنهم أبو صفرة، عبد الملك بن صفرة.

ومنهم أبو نوح، صالح بن نوح، المعروف بالدهان. أحد الرجال الأجلاء، الذين هم عمدة في الإسلام.

ومنهم شبيب بن عطية، المعروف عند أهل العراق بعلاميته الجليلة. أحد الرجال الكُمَّل.

والمشاهير في عُمان، الذين لهم الشأن في الصدر الأول كثيرون. وعُمان بحر يقذف جواهر الرجال، وفحول الأعمال، الذين تخضع لهم الرؤوس العالية، ويخلد الذكر لعُمان بهم. فهم كثيرون تجدهم في مقام خاص بهم.

افتراق أهل عُمان

اعلم أن أهل عُمان افترقوا فيما بينهم ثلاث مرات.

المرة الأولى

افترقوا إلى قحطانية وعدنانية، واقتتلوا على ذلك. وهو الذي مزق عزتهم، وفرق شملهم، وذلك أيام أمراء بني سامة. حتى جروا محمد بن نور، الذي يسميه أهل عُمان محمد بن بور (بموحدة) فجاء بالجيوش إلى عُمان، وفعل الأفاعيل المنكرة، فصلم الآذان، وقطع الأيدي، وجدع الأنوف، وفعل في أهل عُمان أفعالاً تقشعر منها الجلود، ومشوا بذلك في عُمان مشية الباغي، فكان الحال سيئاً، وبذلك وقعت وقعة الروضة من تنوف، وفيها هلكت من عُمان أبطال، وذهبت أموال، وفيها أنهار فلج الملكي من إزكي وأخترب. وكان في عُمان أمر من أسوأ الأمور، وظل عهداً والشحناء تتقد، وأهل عُمان كل فريق يحرض على الآخر، ويدعو إلى حربه، ويستجيش له، حتى عادت الإِمامة إلى مجاريها، فأماتت الضغائن، وجمعت الشامل، وألَّفت بين المسلمين.

الافتراق الثاني

بعدما طالب عهد الرخاء والأمن، واستتب الحال في عُمان، وكان الدهر من طبعه التقلُّب، فنزغ الشيطان بينهم، ليفرق جمعهم، ويشتت شملهم، فافترقوا نزوانية ورستاقية.

فأصبحت عُمان بين فرقتين تتجاذبانها، كل يدعو إلى من أحب، وإلى من يهوى. ومشت الأمة تحت رايتين إماميّتين، كل راية تنسحب بجيشها إلى الأخرى. وظل التلاعب بينهما يسير عهداً، وعُمان تتقاتل وحدها، وكل فرقة تضلل الأخرى، وتبرأ منها، وتدعو إلى قتالها، وترى أنها مبغي عليها، وضدها الباغية في حربها.

فاحتار العاقل، ونشط الجاهل. وذهب كل فريق وراء إمام يرى أنه المحق، وأن الطاعة له واجبة، فتفرقوا في الأرض أعداء لبعضهم بعضاً.

وفيهم ألف الإمام أبو سعيد رحمه الله ورضي عنه كتاب الاستقامة. وما اختلفوا فيه شيء يطول ذكره. حتى إذا اهتدى للحق من شاء الله من عباده، فحارب البغي بيده ولسانه وقلمه وسنانه، حتى أمات الله بدعتهم، واضمحلت شوكتهم، وذهبت شرتهم، ولم يبق لهم من يؤيد دعوتهم، فتناسوا ضغائن ذلك الافتراق، وذهبت أحقاده.

الافتراق الثالث

وهو الباقي إلى اليوم

لما بلغت عُمان أعلى سماء الشرف، واهتزت أعطافها إِعجاباً بما لها من المجد، أضرم الشيطان ناره في أبواق سوء، ومعامل شر، وأثار ثائرة الظلم بين أهل عُمان.

فقام محمد بن ناصر الغافري، وخلف بن مبارك بالقصير الهنائي، وكل واحد من هذين الزعيمين، ملْقٍ مسامعه إلى نجوى أهل السوء في عقر دار الإِيمان، دار العدل، دار الشرع، دار الإِمارة الحرة السايدة براً وبحراً، دار الإِمامة الشرعية، والسيرة المرضية في عُمان.

فكان خطب هذا الافتراق كبيراً، إِذ ظل عشرة أعوام، وعُمان كل يوم قتال واقتتال، وطعان ونزال، وكل حين وهم بين صريخ وعويل، وتهارش وتنازع، حتى آل الأمر إلى ما لا تحمد عقباه، ولا يرضى بشيء منه الله عز وجل.

فاقتتلوا في كل بقعة، وعلى كل مرصد، وفي كل عاصمة. ولم تزل الحرب تغلي مراجلها، وتوقد نيرانها، ويرتفع لهبها، ويعلو صوتها، حتى انصهر أهل عُمان في قوالبها. ولم يبق فيها إلا هذان الرجلان، خلف بن مبارك، ومحمد بن ناصر. ولم يعرف في عهدهما اسم لغيرهما، فكان القيل والقال غافري أم هنائي. لا ثالث لهذين الرجلين، ولا راية لغيرهما.

وبقي أهل عُمان أتباعهما، يدينون بطاعتهما، ويخضعون لسلطتهما. وهما شهابا شر، ونجما نحس. تبعهما ذلك الجيل على ما هما عليه من الحال. ولله أمر هو بالغه، وقدر هو نافذه.

فأثر ذلك الافتراق في عُمان أثراً سيئاً، لا يزال يسري في الجسم العربي إلى حد بعيد، حتى عم العرب بعُمان، وما حواليها من البلاد من ظفار إلى البحرين إلى أرض نجد.

فأصبح الكل يتساءلون عن هناوي وغافري، ويتباغضون ويتحابون عليهما. فيا ويل للغافري من الهنائي، ويا شر الهنائي من الغافري. وجعلوا ذلك عنصراً ينتسبون إليه، ومحتداً يرجعون إليه، وهم أبناء قحطان وعدنان. فصاروا عبيد خلف بن مبارك، ومحمد بن ناصر. لم يعولوا على شيء ما كتعويلهم على هذين الزعيمين، اللذين فرقا الدين، ومزقا شمل المسلمين.

ورجع عز عُمان القهقرى بسرعة. والدم يورث الأحقاد، ويثير الضغائن، ويمزق الأواصر، ويغرس السوء في القلوب.

فانظروا في هذه الافتراقات، التي يثيرها الشيطان بين إخوان مسلمين. وأعوان مؤمنين، أهل بلد واحد، ودين واحد، يغرس بينهم الشر العظيم، والخطر الجسيم. فيهلك من هلك لا عن بينة، ويحيى من يحيى لا عن بينة. إنا لله وإنا إليه راجعون.

عُمان بالنظر إلى الوجهة الإسلامية

عُمان بالنظر إلى الوجهة الإسلامية، قد بُعِث رسول الله ﷺ، فخالفته الأمم، وباينته بالعِداء والشقاق، وقابلته بالخصام على الإطلاق. ولم يُصغ إلى دعوته إلا أفراد من الناس، والبعض ممن نوَّر الله قلبه بنور الإيمان.

ولما فتح مكة، واندق عصا قريش، وانكسرت أعمدة الضلال، وعظم أمر محمد ﷺ في أعين العرب، وكانت مكة كاشتراكية للعرب جمعاً، وللمسلمين بعد ذلك مسعى، وبفتحها انفتح ما أغلقه الكفر، واهتدى للحق أهله، هنا كتب رسول الله ﷺ للملوك.

وكان جيفر وعبد، يدعوهما بدعاية الإسلام، ويأمرهما بالدخول فيه، والاعتناق له. كما دعا سائر الملوك. فمنهم من أجاب، ومنهم من عتا وأصر واستكبر.

ولما وصل رسولُ رسولِ الله ﷺ إلى عُمان، وعرض مهمته على جيفر، رأى تنازله عن العرش لدعوة أَجنبية بالنسبة إليه وهو في عُمان، أي في شاسع من الأَرض، يظن ان الدعوة لا أثر لها معه، لبعد المسافة. وحزم المليك، وعزم الأمير. وإن عدواً يأتينا من شقة بعيدة، لا ينال منا أكثر مما ننال منه. وكان عبد أحلم الرجلين، وألينهما عريكة، فأدخل عمرو بن العاص على

أخيه، وعمرو هو من عرفت من الرجال، ولما تمكن من مقابلة جيفر، ألقى إليه مهمته خالصة كما هي، ثم ناقشه، فقابله بجواب هو الفيصل الفاصل، إِذ قال: وما فعلت قريش؟ فقال: إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف. فأسلم جيفر بعد تمحيص الحقيقة، واستكشاف السر الذي جاءت به النبوة الجديدة. فأسلمت معه عُمان، راغبة غير راهبة، وأذعنت للحق، ونادت بنداء الرسالة الروحية الجديدة. ورفرفت أعلام هذا النبأ الديني العربي على ربوع عُمان، فأضاء حوالك الجهل، واستبشر العرب به. كما ساء من بها من العجم، الباقين بها بعد الحرب المتقدمين المقيّدين بشروط المهادنة.

وما زالت عُمان بعد إِسلامها خاضعة لرسول الله ﷺ، ممتثلة لأَمره عليه الصلاة والسلام.

وكان وَالِيهِ عليها، عمرو بن العاص السهمي القرشي، الذي أسلمت عُمان على يديه. فكان بها بقية حياة رسول الله ﷺ، حتى بلغته وفاته عليه الصلاة والسلام. فخرج عمرو من عُمان، وأهلها له سامعون مطيعون. وصحبه سبعون راكباً منها إلى المدينة، للانضمام في الركب العربي الإسلامي، والالتفاف حول رايته السامية. مؤدين للازم الدين والمروة، وواجب الحق والأخوة فوجدوا الخليفة في المسلمين أبا بكر الصدِّيق رحمه الله ورضي عنه، فتبرأوا إليه من الأَمر، وأظهروا له الطاعة والانقياد، وحسن إسلامهم، معلنين له عن ثباتهم على الحق واستقامتهم على الدين. فشكرهم أبو بكر ﷺ، وشكرهم المسلمون جميعاً. وحمدت سيرتهم، وحسنت أحدوثتهم. وأبو بكر خليفة رسول الله ﷺ، وهو إمام المسلمين، القائم بأمور الدين، وإليه المرجع بعد الرسول عليه الصلاة والسلام.

عُمان وأبو بكر (رضي الله عنه)

ولما تولى أبو بكر، وعلم من أحوال عُمان وأهل عُمان ما علم، ولى عليهم عكرمة بن أبي جهل القرشي، ثم عزله عنهم، حيث رآه لا يحسن إدارة شؤونهم. ثم ولى عليهم حذيفة بن الحصين، الذي سماه ابن الأثير، القلعاني. (بقاف مفتوحة، بعدها لام، فعين مهملة، فألف، فنون، فياء) وقال الطبري: الغلفاني (بالغين المعجمة، بعدها لام، ففاء، فألف، فنون، فياء).

قلت: لعله الغطفاني. (بالغين المعجمة، فطاء مهملة، ففاء، فما بعدها) وهو الأشبه، فلعلهم صحّفوا الطاء.

قال ابن الأثير: لم يزل الغلفاني، أي حذيفة بن الحصين، والياً لأبي بكر على عُمان، حتى مات أبو بكر رضي الله عنه. قال: وله في حروب الفرس آثار كثيرة. قال: واستعمله عمر على اليمامة. أي في خلافته، بعد أبي بكر، فلعله عزله عن عُمان، وهو الواضح. وما زالت عُمان قارة تحت علم الحق.

ولما وصل العُمانيون حضرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بصحبة أميرهم عمرو بن العاص، سيّرهم أبو بكر لحرب آل جفنة، عرب الشام. فتوجهوا والنصر حليفهم. والقضية مشهورة في التاريخ. وأشار إليها بعضهم.

عُمان وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

لما مات أبو بكر رحمه الله ورضي عنه، واستخلف عمر بن الخطاب إماماً وخليفة للمسلمين، يقوم بمقام أبي بكر، نظر عمر إلى عُمان كسائر ممالك الإسلام، فعزل عنها حذيفة بن الحصين، وولى عليها عثمان بن أبي العاصي الثقفي، سنة خمس عشرة.

قال: فسار إلى عُمان، ووجه أخاه الحكم إِلى البحرين، أي الحسا. وإن عُمان والبحرين بمثابة بلد واحد.

قال العوتبي في الأنساب: إن عمر بن الخطاب استعمل على عُمان عمرو بن العاصي الثقفي سنة خمس عشرة. فسار إلى عُمان، فكان بها، أي بصفته والياً عليها، حتى كتب إليه عمر بعد وقعة جلولا، أن يقطع البحر إلى ابن كسرى بفارس. قال: فلما أتاه كتاب عمر يأمره بذلك، قال: أبغوني رجلاً أشاوره. أي في هذا الأمر، والمراد برجل، عاقل مجرب للأمور. قالوا: أبو صفرة. أي هو الذي نراه يصلح للمشورة في هذا الشأن. ولله أبو صفرة من بطل. قال: فدعاه فقال له: ما اسمك؟ قال: ظالم بن سارف، أو ابن سراق. قال أي عثمان: اسمان من أسماء الجاهلية. فكره الاسمين فلم يشاوره. قال: فندب عثمان الناس، فانتدبت إليه ثلاثة آلاف فارس، وقيل: بل ألفان وستمائة، من الأزد وراسب وناجية وعبد القيس. قلت: وهذا يدل أن راسباً فرقتان، فرقة من الأزد، وفرقة لم تكن منهم، بل من حمير، كما سوفر تراها في الأنساب. قال: وأكثرهم من الأزد. أي أكثر المنتدبين مع عثمان بن العاص. قال: وكان صبرة بن سليمان الحداني راس شنوة، وكان يزيد بن جعفر الجهضمي راس بني مالك بن فهم، وكان أبو صفرة الذي لم يرغب

عثمان في مشاورته يومئذ، راس بني عمران بن عمرو بن عامر. قال: ومعهم جماعة. قال: فعبر بهم عثمان بن أبي العاص، من جلفار أي راس الخيمة، إلى جزيرة بني كاوان. قال: وفيها قائد العجم. إلى آخر ما جاء في السر العُمانية، وتواريخ العرب، عن هذه الحملة الغازية أرضَ فارس، المتغلغلة في قلبها، وهي فئة غير كثيرة العدد، حتى نفذت هذه الحملة بعد صراع عنيف، وقتال حار، إلى أرض توج، شمال العراق. فطن لها دوي في مسامع الزعماء، وتشوفت الأعين إلى أهل عُمان بالإجلال والإكبار، حتى حسدهم على ذلك كثير من أبطال العرب، وخصوصاً أهل البصرة. وقد أشار إلى القضية الإمام السالمي رحمه الله. وذكرها العوتبي في الأنساب.

عُمان وعثمان بن عفان (رضي الله عنه)

لما توفي عمر بن الخطاب رحمه الله ورضي عنه، وأنزله مستقر رحمته، استخلف أهل الشورى عثمان بن عفان إماماً للمسلمين، كصاحبيه أبي بكر وعمر بن الخطاب. فلما تولى الأمر، وفتح عينيه ناظراً إلى الأمة الإسلامية، وبعد مداها في العالم، وعلم الساكن من التحرك، وعلم عن عُمان من حسن السيرة، وصفاء السريرة، أخذاً بما هم عليه من أول إسلامهم لم يزالوا على حال استقامتهم، عهد النبوة، وعهد الخلافة الأولى، وعهد الخلافة الثانية، فلم يكن له داع إلى شيء بعُمان يخشاه عليها، أو على المسلمين بها، فسكت عنها سكوت المطمئن بالثقة، العالم بالحقيقة.

وكان ولى عبد الله بن عامر على البصرة، وإذا بالعُمانيين يفيضون عليها، قافلين من توج، بعد فتح المدائن الكسروية والكوفة، بالثناء الجميل،

والذكر الحسن، قام إليهم والي البصرة المذكورة فضمهم إليه متجنداً بهم، ومتعززاً بسطوتهم، ليوطد أقدامه على أعماله بهم. وكان أمر عُمان منوطاً بعباد بن عبد بن الجلندى، وهو الوالي العام لعُمان في هذا العهد العثماني، حتى انتهى أمر عثمان.

واستخلف المسلمون علي بن أبي طالب إماماً للناس عاماً للمسلمين. وكان له شاغل من نفسه مهم، فإن معاوية بن أبي سفيان، غيّر السيرة، وكدّر الصفو، وشق العصا، وصدّع بناء الخلافة الراشدة، وأحدث أحداثاً كانت الداعية إلى ثوران الدم الطاغي وحركة القصد الباغي. فأبدع فيما صنع، وأغرب في نظر أهل الحق. إذ كان من الرجال العباقرة الأفذاذ، وأهل العقول الداهية في رجال الإسلام. فسرعان ما قلب ظهر المجن. واختدع كل شامي مسلم، واقتاد كل سوري يعلم، فتهافتوا تحت رايته، وخضوعا لمكره وسياسته. ناظراً في أهل العراق صلابة العود، وقساوة الجلمود، ورقة قلب علي في كل موقف مشهود. لا يأمل معاوية مع علي نيل ما في نفسه، ولا يرجوا أن يصعد إلى نيل ما يقصد، إلاّ بهذه الوجهة التي سلكها.

عُمان وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

تولى الأمر علي بن أبي طالب بإجماع المسلمين. وإذا بانشقاق العصا، وإنصداع ركن الإمارة، بشغب معاوية بن أبي سفيان، واختلاف الأمة عليه. وتلاشي الأمر بين يديه. وعُمان بيد واليها، عباد بن عبد بن الجلندى، قائم بأمورها، حامل رايتها، ناظر إلى الأمير العام للمسلمين نظر وفاء، عامل على النهج الذي سبق أولاً بعُمان، عهد ولاتها الماضين.

فلم يكن لعلي بعُمان عقد ولا حل، ولا تبديل ولا تغيير. فمضت عُمان على ذلك يدفعها الإخلاص، ويقودها اليقين، وتؤيدها العدالة، حتى توفى علي بن أبي طالب، الخليفة الرابع.

وانحل نظام الخلافة، وصارت ملكاً عضوضاً، من حيث التلاعب الذي وقع من معاوية بن أبي سفيان، وخضوع الحسن له، والتخلي للأكابر من الأمر، وتركه في يد طالبه المتكالب عليه. وفي هذا الأثناء توفي عباد بن عبد إلى رحمة الله. وتولى الأمر بعده ولده سعيد بن عباد، وعضده أخوه سليمان.

وبترك الأمر إلى معاوية، وتخلي الحسن، انقطع أمر عُمان من زعامة الخليفة العام. وبقي أمر عُمان بيد أهلها، حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان.

واستعمل عبد الملك المذكور على أرض العراق الحجاج بن يوسف. وكان إذ ذاك القائم بأمر عُمان بصفته والياً ورئيساً، سعيد بن عباد، كما بيّناه آنفاً. وكان موآزراً له أعني سعيداً أخوه سليمان بن عباد. فألقى الحجاج نظرته العراقية إلى عُمان، لقرب العراق من عُمان

إنما تربط العراق بنزوى من قديم روابط من إخاء

إن الحجاج كان أميراً مسلطاً، وكان نزارياً. وكانت عُمان أزدية. فليس بين الحجاج وأهل عُمان علاقات نسبية. وإنما كانت عُمان تحت زعامة الأزد إذ ذاك. وفيها من النزار فريق عريق أيضاً، كان السبب في قيادة الحجاج إلى عُمان، حين وقع الافتراق، كما سوف تراه.

غزو الحجاج لعُمان

لما تولى الحجاج أمر العراق، وكان رجلاً عاتياً، يروم الاستيلاء على أمة الإسلام بالعنف والجبروت، وبالخصوص عُمان، قصداً لإدخالها تحت الدائرة الأموية، فيتقدم بها عند السلطان، عبد الملك بن مروان.

ولقربها من العراق، واختلاط القطرين بتبادل المساهمات، والتآزر الإسلامي والعربي، جمع الحجاج الجيش من أهالي العراق، ووجهه إلى عُمان.

وكان أهل عُمان ممن لا يرى الانقياد للسلطة الجبروتية. والاتباع لها لا يصح. وقد علم مذهب أهل عُمان في رفض مثل هؤلاء الجبابرة الظلمة، تبعاً لقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ...﴾ الآية. لأن سيرة الحق بعد الخلفاء الراشدين لم تبق كما هي، بل صار الملك عضوضاً، وصار الحق مرفوضاً، والداعي إلى الحق مبغوضاً. فالتقت رجال عُمان بجيش الحجاج، واصطدمت بالجند العراقي، وحمي وطيسهما، فكان النصر حليف أهل عُمان في الحملة الأولى، ثم الثانية، ثم الثالثة. ولم تزل غارات الحجاج تتوالى على عُمان، لقصد إخضاعها لزعامته الأموية، وولايته العراقية. فكان في تلك الصدمات القاسية، نصيب الحجاج الفشل، وتمزيق القوات المتوالية. وأكلت الحرب رجال العراق. ولم يكن الحجاج ليهدأ روعه، إلا أن يشفي غيظه من عُمان. وكان إذ ذاك المطاع الوحيد. وهو الجائر العنيد.

ولما رأى الحجاج توالي الانهزامات على جيوشه، وأن التأخر عن هذا الصدد يورثه سوء الأحدوثة، ويجرئ الناس عليه في نظره، وأصبحت عُمان الشغل الشاغل له، ولا يرى التأخر عنها حتى يرفع رأسه على الأكابر

بإخضاعها، فكر عليها بتوالي الغارات، وأوقع فيها تلك الوقعات، التي سيأتي تحقيقها في تاريخ عُمان.

ولا يبالي الحجاج بمن قتل، ولا بمن قُتِل. إذ كان أجور رجل في الإِسلام، وأكبر سفاك لدماء الأنام. ولا يحتاج إلى شرح حاله، وقد علمه كل أحد.

آخر وقعة تقضي على عُمان

أخــرج الحجاج لعُمان في هذه المرة الأخيرة جيشاً كثيفاً، يقوده القاسم بن شعوة المزني، أحد الرجالات المعدودة في العراق. فجاء يؤم به عُمان، فاهتزت عُمان للقياه، وتأهبت لمصادمته، كما هي عادتها. والمنتصر تهزه سورة الانتصار، وتغمره نشوته. فجاء القاسم بجيشه هذا، حتى أرسى مراكبه في الساحل الحطاطي من مسقط وما حواليها، مشرقاً ومغرباً. حتى التقى الجيشان، وتعاطيا كؤوس الحتف. وأكرم العُمانيون نزول القاسم، بإسالة الدماء، وكسر الرؤوس، وفلق الهامات، حتى اضمحل ذلك الجيش العراقي، منهزماً شر هزيمة. وقد قتل القائد لهذا الجيش، وهو القاسم.

فلما بلغ الحجاج خبر هذه الهزيمة، هاله الأمر، واندهش لهذا الحادث المتوالي بضرباته القاسية، الواحدة تلو الأخرى، حتى استدعى المجاعة بن شعوة، أخ القائد المقتول، وأعرب له عن هذا الصدد، وأهاجه بثار أخيه، وأن سلطان العراق يمده بقواته، ويؤيده برغباته. فأمره أن ينتدب الناس ويستصرخهم، كنذير عام لحرب عامة. فخرج ينادي في قبائل النزار، مستصرخاً لهم حيث كانوا، ومستعيناً بهم كيف كانوا، ومستنجداً بهم على

عدوه الذي قضى على جيوشه، في تلك المعارك الدامية.

وأظهر الحجاج من نفسه غضباً عظيماً، على ما يراه من أمر العُمانيين، وتظاهر بأنفة وحمية، وكتب بذلك إلى عبد الملك بن مروان، وشرح له القضايا، وما يرومه الآن في عُمان.

وماذا يضر عبد الملك بن مروان؟ إن انتصر الحجاج، كان النصر لعبد الملك. وإن انهزم، فسوء الأحدوثة له بالهزيمة. فيقال: انهزم الحجاج. ويكون وبال الانهزام عليه، وشره كذلك.

وبذلك جمع جيشاً كثيفاً، أقعد عنه وجوه الأزد، لأن عُمان إذ ذاك أزدية، وأخّر أعيانهم عن الحركة، معتقداً عدم صدقهم، وأن الهزيمة لا بد لهم فيها من سبب، وأن إخلاصهم في حرب عُمان غير موثوق به، وأن حميتهم على قومهم غير بعيدة، لتوالي الانهزامات، وفض الجموع بعُمان.

فيقال: إن الجيش الذي اجتمع لهذه الغزوة الكبرى، العراقية العُمانية، كان عدده أربعين ألفاً، كلهم من نزار، إلا من شاء الله من اليمانية وهم قليل. وكل ذلك وأهل عُمان غافلون، وربما أنهم استهانوا بالأمر، حين رأوا النصر حليفهم في تلك المعارك.

ولا يخفى عليك أن جيشاً عدده أربعون ألفاً، عظيم يملأ السهل والجبل وترتاع منه العباد، لاسيما وأهل عُمان على حالة ضيق من جميع النواحي. وقد جاء هذا الجيش وقلوبه تغلي غلي المراجل، حنقاً على أهل عُمان.

فقسم الحجاج الجيش جيشين، جيشاً سلك طريق البر حتى وافى البلقعة، قريباً من الموضع الذي وقعت فيه المعركة السابقة، من وادي بوشر، وهناك التقاهم سليمان بن عباد بن عبد بن الجلندى، بالنيابة عن أخيه سعيد

بسائر فرسان الأزد وصناديدهم، الذين جرّبتهم الحرب وجربوها، فكانوا سور عُمان وجنتها، وكانوا ثلاثة آلاف فارس، وثلاثة آلاف من أهل النجائب، وخمسمائة راجل. وكانوا رجالاً تدافع عن عرينها، وأبطالاً تقاتل عن وطنها.

وكان من قدر الله أن دارت رحى الحرب بين الفريقين، واشتد الأمر على الطرفين، فصبرت الأزد صبر الكرام، وقاتلت قتال المستميت، فانهزم الجيش العراقي شر هزيمة، وَفُتَّ في عضده، وانحلت قوته، فركبهم الرهط العُماني قتلاً وسلباً ونهباً، وهو لا يرى أن وراءه قوة أخرى تناصره، بل كان يخمن في الانهزام أن سينتهي إلى العراق كأوله. ولكن شاءت الأقدار كما أراد الله عز وجل، حتى إذا وصل الجيش الثاني جلفار، لقيه رجل لا أدري هو من أهل عُمان أو من غيرهم، فأخبرهم الخبر الصحيح، لأن ذلك الوقت لم تكن أعمال هذا العصر موجودة فيه، وصرح لهم عن الواقع، وأن سليمان بن عباد خارج في أثرهم، متتبعاً لهم، وأن عنده شرذمة قليلة فقط. فاغتاظ مجاعة وحنق حنقاً شديداً، تأهب أهبة واعية، لمصادمة سليمان ومن معه من أهل عُمان، فسار بجيشه حتى وصل بركا. فعلم بهم سعيد فقاتلهم بها اعتماداً على أن النصر ليس بكثرة الجنود، ولا بزيادة القوة، وإنما هو أمر من الله. ولعل الله أراد أن يقضي على العُمانيين في هذه المرة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة. فكانت الحرب بينهم من ضحى النهار، حتى حجز بينهم الليل. وإذا بجيش سعيد بن عباد، بالنسبة إلى جيش عدوه، كالشعرة البيضاء في الثور الأسود. وقد قتل أبطالهم وهلكت رجالهم، وتوالت الغارات عليهم. ولذلك استشعر العجز، ورأى أن لا سبيل إلى قتال القوم، ولا دافع لهم عما أراد الله، لاسيما وأن الجيوش لا زالت تتوالى، ولعلها لا نهاية لها.

وقد طار الخوف والرعب بعُمان، لتوالي الجيوش. فإنهم بالأمس يقاتلون جيشاً، حتى لم تهدأ الأرواح ولم يمتد الظل، حتى فاجأهم الجيش الآخر، وظنوا أن وراءه أيضاً جيشاً آخر. فعند ذلك تسلل سعيد من ليلته، وعمد إلى ذراريه وذراري أخيه، فاعتزل بهم إلى الجبل الأخضر، ولحق به القوم.

ودخل الجيش العراقي داخلية عُمان متغلباً على أهلها، متشفياً منهم، وحصر سعيد وسليمان ومن معهما من أهل عُمان في جبلهم.

وكان سليمان لما اجتمع بأخيه في الجبل، وقد علموا أن سفن ابن شعوة في مرسى مسقط، وهي كثيرة؛ وأن القوم تخلوا منها إلى داخلية عُمان، فاتحين ومستنصرين، وهي كثيرة، قيل: هي ثلثمائة سفينة، أرساها بذلك المرسى الحصين. فخرج إليها ذلك الأسد الباسل سليمان بن عباد، فأشعل فيها النار، وتركها في قلق. فاحترق منها خمسون سفينة، وانفلت الباقون هرباً في لجج البحر.

ثم مضى يريد عسكر مجاعة، فوقع الخوف في قلب مجاعة، وحدثته نفسه بانهزام، حين رأى الهجوم على من في المرسى، ولا يدري ماذا يكون بعده، وتصور له أن لا طاقة له بمصادمة سليمان، إذ كان ليثاً ضارياً، يباشر الحرب بنفسه. فخرج يريد البحر هارباً. فكان من قدر الله أن التقى هذان الزعيمان في قرية سمايل، فنشبت الحرب بينهما، وسالت الدماء. وقضت الأقدار بانهزام مريد الهرب، وهو مجاعة ابن شعوة. فلحق بسفنه فركبها إلى جلفار. ولما نزلها ورأى بعض القوة له بها، وتراجع بعض أعضاء جيشه المنهزم، كتب للحجاج يخبره الخبر، فاستشاط العنيد غضباً، وحالاً أخرج له

في طريق البر، عبد الرحمن بن سليمان، في خمسة آلاف عنان، من بادية الشام. وكلهم على الظاهر من نزار وكان فيهم رجل أزدي مختفياً غير معروف، لا يعلمون به أنه من الأزد، جاء إلى سليمان وسعيد يسرهما خبر القوم في خفية، قد دعته لذلك الحمية العنصرية، فأعلمهما بحال القوم. وحينئذ استشعرا العجز، وعلماً أن لا قبل لهما على هذه الشدائد المتتابعة، والغارات المتوالية، فحملا ذراريهما وسوادهما، ومن خف معهما من قومهما، ولحقا ببلاد الزنج في إِفريقيا، حتى ماتا هناك.

وبهما دخل الإِسلام إِفريقيا الشرقية، أي زنجبار. وبهما اهتدى من شاء الله من عباده هنالك. قلت: ليته صبر لهذه الأزمة، التي ترى الحجاج وأعوانه ذود الأحرار عن الأوطان. فقد صارع أهل عُمان تلك الجيوش العديدة، في تلك الوقعات الشديدة. ولكن إذا أردا الله أمراً كان.

ولما ظهر لمجاعة وعبد الرحمن بن سليمان، ارتحال سليمان وسعيد، وهما سيدا عُمان إذ ذاك، وقائدا جيشها، وهيولا انتصارها، وزعيما دولتها، دخلا عُمان، أي عبد الرحمن ومجاعة، بالعسكر، وسقط في يد العُمانيين، وخارت العزايم. ففعل الجيش في عُمان غير الجميل، ونهباها واحتلا عرشها العالي وتشفيا من أهلها القاتلين للجيوش العراقية، في تلك الوقايع السالفة. وكيف لا يتشفيان ويفعلان ما يقضي به هواهما، ووراءهما الحجاج، الظالم السفاك الطاغي على عباد الله بحكم هواه؟ ذلك شأن كل فاتح جاهل متغطرس.

وكم حل على عُمان مثل هذا. كما سوف يقف عليه قارئ هذه الصحائف. والأمر لله عز وجل.

عُمان وعمال الحجاج

لما خضعت عُمان لسلطة الحجاج، وخرج منها أميراها سعيد وسليمان ابنا عباد، واحتل الجيش عروة عُمان، وداسها بأقدامه فاتحاً، ولى عليها الحجاجُ بن سبرة، أحد رجال عبد الملك بن مروان، حتى مات عبد الملك والمجاشعي المذكور بعُمان، وإِمارة الحجاج على عُمان ضاربة أطنابها.

وقد علم الناس أمر الحجاج، فلا يحتاج أن يتكلم عنه أحد. وعُمان ترزح تحت ذلك النير الثقيل، الذي قبض على ناصيتها، ابتلاءً من الله. ولله في خلقه أسرار،

وفي طـــي القضاء بديع ســـر   تبوح به عوادي الدهر جهرا

وأوقات تدعو إلى إِقبال الرخاء. ولكل أزمة فرج، ولكل محنة زوال. ولكل شيء غاية ينتهي إليها.

عُمان والوليد بن عبد الملك

لما مات عبد الملك، وكان والي عُمان هو المجاشعي المقدم الذكر، وقضى الله على ذلك الشقي، الحجاج بن يوسف الثقفي فمات، وولي الخلافة الوليد بن عبد الملك، ولى الوليد على العراق يزيد بن أبي مسلم، فبعث يزيد سيف بن هاني الهمذاني على عُمان، والياً من قبله، لأن عُمان أصبحت من أعمال العراق، ووالي العراق من قبل الخليفة هو الذي يولي على عُمان، فبقي سيف بن هاني بها عاملاً عليها، حتى مات الوليد بن عبد الملك، وولي الخلافة أخوه سليمان بن عبد الملك، وتراجعت الأمور،

ألفت نظره إلى العراق وما حولها، من الأعمال التابعة لها ومنها عُمان.

وإلى هذه الحقايق يشير القائل:

إنما تربط العــراق بنــزوى　　من قديــم روابط من إِخــاء

عُمان وسليمان بن عبد الملك

لما تولى سليمان بن عبد الملك الأمر، وكان الوالي على عُمان من قبل يزيد، سيف بن هاني الهمذاني، عزله سليمان بن عبد الملك، وولى على عُمان، صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي، ومشى بها برهة.

ثم بدا لسليمان بن عبد الملك عزله، وإرجاع أمر الولاية بعُمان، إلى الولاة المتقدمين بها، لأنهم أعلم بسياسة البلاد.

وجعل صالح بن عبد الرحمن الليثي مشرفاً عليهم، ومتطلعاً لأمورهم، ومراعياً للأحوال.

وبعد ذلك ولى سليمان بن عبد الملك يزيد بن الملهب العراق، وأضاف له إليها خراسان. وبذلك اضطر يزيد بن المهلب، أن يولي على عُمان أخاه زياداً. فجاءها زياد والياً من قبل أخيه، يزيد بن المهلب. فأجرى زياد الأمور بعُمان في مجاريها، ورتب الأعمال على أحسن الأحوال. نظراً منه أنها دار قومه، ووطن بني جلدته الأزد. فإن المهلب أزدي عُماني. فأحسن السيرة وشكره الناس. ولا ريب أن الناس بطبيعة الحال تحسن عواطفها نحو أهلها وذويها، في كل جيل.

ثم مات سليمان بن عبد الملك. وتولى الأمر ذلك السيد المجيد، عمر ابن عبد العزيز رحمه الله، فنظر إِلى عُمان نظر احترام، وراعى من حق أهلها كل لزام، ومشى فيهم بما هو أهله. كما سوف ترى.

عُمان وعمر بن عبد العزيز

ولما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز، وكان معروفاً بحسن السيرة وصفاء السريرة في أحواله، وكانت عُمان من أعمال الخلافة العامة إذ ذاك، وبالخصوص خُضُوعها لسلطان العراق ذلك العهد، ولى عمر بن عبد العزيز على العراق، عدي بن أرطاة الفزاري. وولى عدي المذكور على عُمان عمالاً أساؤوا السيرة في أهلها، لاسيما بالنظر إلى إمامة عمر بن عبد العزيز، أفضل رجل في بني أمية، وأهداهم للحق، وأتبعهم له، وأمثلهم في العدالة العامة بين الأمة.

فكتب أهل عُمان إِلى هذا الخليفة الموقر، وشكو إليه أمر العمال. فعزلهم. وولى عليهم عمر بن عبد الله الأنصاري، فأحسن السيرة فيهم، لكونهم قومه الأخصاء بالروح الأزدية. فلم يزل عمر هذا والياً على عُمان، محسناً في أهلها، مراعياً لحقوقهم، فأكرمه أهل عُمان ووازروه في أعماله. فاستوفى الصدقات منهم بطيبة أنفسهم.

قلت: ولمَ لا تطيب أنفسهم، وخليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز، وواليه عليهم عمر بن عبد الله الأنصاري؟

وكان عمر حكيماً في توليته للمذكور على عُمان. فبقي والياً عليها حتى مات الخليفة ابن عبد العزيز رحمه الله. فقال عمر بن عبد الله الأنصاري،

لزياد بن المهلب: هذه بلاد قومك. يعني عُمان فشأنك بها.

قلت: ولهذا أراده عمر بن عبد العزيز أيضاً والياً على عُمان. وخرج عمر بن عبد الله الأنصاري من عُمان. وقام زياد بن المهلب في عُمان، بصفته نائب واليها المذكور. فقام بأمرها مدة، حتى انتقل الملك من بني أمية، إلى بني العباس بن عبد المطلب، وأمر عُمان بيد زياد بن المهلب.

ولما تولى السفاح أبو العباس أول ملك من بني العباس، ولى السفاح أبا جعفر المنصور على العراق. ومن حيث إن عُمان إذا ذاك تضاف إلى ولاية العراق كما عرفت، استعمل أبو جعفر المنصور على عُمان، جناح بن عباد بن قيس الهنائي، من هناءة بن مالك بن فهم، وهو أخو عقبة بن أسلم الهنائي لأمه، والياً على عُمان. وهو الباني للمسجد المعروف إلى الآن بمسجد جناح بصحار. وكان مقر ولاة الأمر غالباً بها. وأخذ عهداً فيها.

ثم عزله المنصور لأحوال اقتضت العزل. وولى بدله ابنه محمد ابن جناح بن عباد بن قيس الهنائي، الآنف الذكر. فسار هذا في أهل عُمان بسيرة هي خير من سيرة أبيه، فالآن لهم جناح أبيه، ووضع جناح الرأفة بهم.

وقد قرب تناسي الأحوال الأموية. ولم يكن لأهل عُمان حقد على آل العباس. وإنما كان حقدهم على ذلك الزعيم الأموي، المتوالي عليهم بشروره وغطرسته، التي مزقت عُمان، وشردت بأهلها إلى أرض الزنج، وما فعلوه بعُمان بعد احتلالها، وما فعلوه بأهلها. والملك لله يؤتيه من يشاء.

ولما اتفق محمد بن جناح والعُمانيون، اجتمع المسلمون مغتنمين الفرصة عند ذلك، فعقدوا الإمامة للجلندى بن مسعود رحمه الله. فكان ذلك سبباً لظهور الإسلام بعُمان، وبه عادت القوة لأهل عُمان، واشتدت شوكتهم.

فكان الإِمام الجلندى مثالاً للعدالة والنزاهة وحسن السيرة، بل كان المثال الذي أتعب الأيمة بعده في عُمان.

وكان الجلندى المذكور ممن حضر بيعة الإمام طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي، في أرض اليمن، وذلك في سنة ١٣٢. وفي هذه السنة أيضاً، بويع للإمام أبي الخطاب المعافري في المغرب. وفيها أيضاً بويع للإمام أحمد بن سليمان الحضرمي في نواحي حضرموت واليمن. فظهر للإباضية في هذه السنة ثلاثة أيمة، في ثلاثة أقطار مهمة. فكانت هذه السنة حقيقة بأن تدعى سنة الإِمامة في التاريخ الإباضي.

ومن حيث إننا في هذا العهد، نحب إلغاء التسميات والألقاب المذهبية. وإن الناس كلهم إِما مسلمون وإما مشركون، ولكن حاسد الحق لا ينظر إلى ما ننظر إليه، فليمت بغيظه، فإن الحق بالأصالة مبغوض عند أهل السوء. وما العجب من أهل الجهل، ومن لا يهتدي لسبل الحق، إذا طاش به النزق. بل العجب ممن يقول: هو من العلماء، إذا مر عليه اسم الإباضية وصمهم وانتقصهم، ونال من دينهم وأعراضهم، من غير أن يجنوا عليه جناية ما. مع أن الإباضية لا ينتقصون أحداً مهما كان، ما كان يؤدي واجب الدين، صلاة وزكاة وصياماً وحجاً، وأمراً بمعروف، ونهياً عن منكر، وما داموا يستقبلون القبلة، ويقرؤن القرآن، ويُحلون حلاله، ويحرمون حرامه. وهذا هو واجب المسلم. نعم إِذا خالف أحد الحق في شيء ما، فالإباضيون لا يرضون لمخالفة الحق. ومن سب الإباضية أو انتقص منهم، فقد سب الحق. فإن دين الإباضية دين الرسول عليه الصلاة والسلام، لأنهم لا يعتمدون على إمام خاص غير رسول الله عليه الصلاة والسلام. ولا كتاب لهم إِلا القرآن. أما

مؤلفات علماء الإِسلام، فما كان منها حقاً في نفسه أخذوه من أي كان، وما كان باطلاً ردوه على قائله ولا يبالون. فالحق هو المتبع، والباطل مردود. وإذا زالت هذه العصابة من هذا الكون، زال الدين الإسلامي، وفقدت الشريعة الحقة، وعلى الدين السلام بعد الإباضية. ولا نريد بذلك مفهوم هذه الكلمة، بل نريد الحق وحده. فقد قرأنا عقائد أهل الإسلام ورأينا ما قرر فيها، ونظرنا قواعد الأحكام، فلم نرَ لغير الإباضية ما للإباضية، من تمحيص الحق، وتحقيق العدل والإِنصاف، حتى في أقل شعاير الدين. فلو تتبع عاقل منهج الإباضية، وقابله بما عند غيرهم في مقامه، رأى الفرق واضحاً جلياً، ورأى الحق يلوح على أوجه الإباضية. ونريد بهم المستقيمين على قواعد المذهب، لا الذين يخوضون في لجج الباطل والعياذ بالله.

جملة ملوك عُمان وأئمتها

اعلم أن جملة ملوك عُمان، وأيمتها في الإِسلام، منِ عهد الإِمام الجلندي بن مسعود رحمه الله إلى الآن، خمسة وثمانون ملكاً وإماماً، هذا على أغلب الأحوال التي وصل إلينا علمها، من استقراء التاريخ، وإِن كان كثير من ملوك عُمان لم تحفظ أسماؤهم، لأن أهل عُمان بطبيعة الحال، ينفرون من الملكية إن خالفت منهج العدل والتقوى، وسلكت مسالك البطل والأهواء.

ولهذا ترى في تاريخ عُمان الصراع بين الإِمامة والسلطنة، كما في عهود بني نبهان وأضرابهم، من الملوك الظلمة. والله لا يرضى في عباده الظلم، وقد توعد الظلمة وهدد الجبابرة بما لا يخفى على أحد.

وعدد ملوك وأيمة عُمان هذا، على ما تحريناه من غير تفصيل إلى هذا الوقت، عدا الزعماء والأُمراء الذين يعدون أنفسهم ملوكاً وسلاطين.

ولقد مشت دولة عُمان شوطاً عظيماً في مطاردة الدولة البرتغالية، حتى انتهى جيش عُمان براس الرجاء الصالح، ولا ينكر ذلك أحد من أهل الاطلاع كما في حياة الشرق.

وما زالت ملوك عُمان وأيمتهم بين الملوك الشرقيين نجماً ثاقباً، وبدراً زاهراً. والملك لله يؤتيه من يشاء، وهو الواحد المنفرد بالبقاء.

وها نحن الآن في عهد السلطان الحالي، سعيد بن تيمور بن فيصل. وقد تولى الملك وانفرد بالأمر، بعد أن اعصو صب الدهر، واشتد في العالم الأمر. فكان من حسن حظه أن تمكن من تأييد دعايم الملك، وتقويم أعمدة السلطنة، فكان الأمر بحيث لا يخفى على أحد. فسبحان من له الملك كله، وهو الفعال لما يشاء.

أول إمام بعُمان

لا يخفى أن العُمانيين كإخوتهم اليمانيين، استقلوا بأمور بلدانهم في الصدر الأول من أول القرن الثاني، فنصبوا الأيمة، وأرشدوا الأمة، وأقاموا منار الدين، ورفعوا أعلام الحق، وأعادوا مجاري العدالة على المنهج القويم.

فكان الجلندى بن مسعود أول إمام قام بعُمان، فكاد أن يكون نبياً مرسلاً، كما قال الإمام السالمي، لولا أن النبوة قد انتهت بمحمد ﷺ، وكان نصبه في سنة ١٣٢، وهو الصحيح، وهي سنة الإمامة.

فقام الجلندي رحمه الله ورضي عنه بأمر المسلمين خير قيام، فأحيا سنة رسول الله ﷺ، وسيرة الخلفاء الراشدين بعده، باتباع نهج الحق، والقيام بالواجب، ورعاية العدالة، والاحتفاظ على الأوامر الإسلامية، وإعادة مجد الشعب العُماني، بعدما تبعثر ببغي بني أمية، وجور ولاتهم، وطغيان أمرائهم، وتركهم لأوامر الشرع. فقام العُمانيون بإعادة السنة السماوية كما كانت عهد رسول الله ﷺ، وخلفائه بعده، وأيام الزعماء من آل الجلندي، الذي أضاء سماء قلوبهم نور رسول الله ﷺ، وأشرق على أفق بلادهم فجر الإسلام النيِّر. وذلك هو الواجب على المسلم من كان، ومهما كان، إذا رأى الإمكان لذلك. والحق احق أن يتبع، وما بعد الحق إلا الضلال.

وظل هذا الإمام مدة غير طويلة قائماً بالقسط في الحقوق الإسلامية، محيياً للسيرة المحمدية، عاملاً بالأوامر القرآنية، داعياً إلى الله أهل طاعته، تابعاً لكتاب الله عز وجل، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ولياً رضياً، وصفياً وفياً.

قتل رحمه الله في واقعة جلفار، على يد خازم بن خزيمة التميمي، في قضية تداولها المؤرخون، وسجلها الكاتبون. وتلك هي إحدى الحسنيين التي ينشدها المؤمنون، ويجتهد لها الموفقون، وما ذلك وأيم الله إِلا فضل من الله، لمن ارتضاه من عباده المخلصين. وهل فوق منزلة الشهادة على الطاعة منزلة؟ والحمد لله،

ثم تتابع الأئمة والملوك على عرش المملكة العُمانية، منذ ذلك العهد، إلى اليوم الذي نكتب نحن فيه هذا العنوان.

تعاقبـــت خلفاء الله منصبهـــــا منذ الجلندى وختم الكل عزان

وما زال تبادلهم المنصب العلي حيناً من الدهر بالعلماء، ومن انقاد لهم من الرؤساء، ومن أطاعهم. وما كان للعلماء قصد إلا إِقامة شعائر الدين، حين يميل الملوك عن الواجبات الشرعية، فيتحرك العلماء، ويقومون بمناصحة الملوك، عملاً بحديث «الدين النصيحة» إلى آخره، فإذا وجدوا من الملوك الاستقامة أخذوا بها، وإِلا باينوهم ونفروا منهم، وتركوهم وأخذوا جانباً عنهم. وهنالك يتكلفون ركوب المصاعب، ويساعدهم على ذلك تأثر القلوب من الوطأة الجائرة، العادلة عن الطريق السوي، والسيرة غير المطابقة للواقع.

والناس وإن ناموا تحت ظل السلطان، يتأثرون إذا نفحتم سموم الظلم، ولفحهم وجه الحر من الوجهة السيئة، فتراهم عند ذلك يتولولون، وهذا هو العامل الأكبر في كون الوقت طوراً للإمامة، وطوراً للسلطنة. فإن قضية الإمامة قضية اشتراكية، محورها المساواة للأمة، واتصال العلاقات العامة بها، والتفافها مع الخاصة. وهي قضية انتخابية في حد ذاتها اختيارية صادقة، بخلاف السلطنة، فإنها دولة قهرية غالبية، اللهم إلا إذا كان السلطان حكيماً، فإنه في وسعه حسم جميع محركات النفوس، بالاهتمام بالمصالح، والالتفات إلى العواطف الحرة، وجمع شمل العلماء الذين يهمهم أمر الدين، ومن هم الحجة في المسلمين، فإنهم هم أعمدة الإمامة، والدعاة إليها، والقوام بها في كل جيل.

هذا هو منهج الإباضية من قديم، فهل هذا هو المنهج المحق، أم هو المبطل. والله يعلم المفسد من المصلح. نعم وإذا كان القائم بالأمر صالحاً مصلحاً في الأمة، سكنت الأمة تحت ظل عدله، ورتعت آمنة مطمئنة، سواء كان إماماً أو سلطاناً أو زعيماً. فإن العدل هو المطلوب من الإمارة كيف كانت، وبه تعيش الأمة في حياتها، وعليه تعول في مهماتها. وإذا فارقها العدل وقع التلاشي، واختل النظام، وظلت الأمور تسير على النهج الممقوت. والله لا يرضى من عباده إلا الحق، ولا يحب إلا العدل. والله يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم.

وعلى كل حال إن السلطان العادل ظل الله في أرضه، يأوي إليه كل مظلوم. وإذا كان السلطان قادراً على العدل في الأمة، متمكناً من تنفيذ

الأحكام، فهل يليق به إِلا القيام بالواجب؟ وقد أشار القائل:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادريـــن على التمام

ولا شك أن العدل أساس الملك، وحلية الملوك. وهل أبقى ذكر كسرى إلا عدله. وإِليه الإشارة بقوله ﷺ: «بعثت في زمن الملك العادل».

القسم الثاني
من العنوان في تاريخ عُمان على نهج الإجمال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يجب الحمد لجلاله، والصلاة والسلام على صفوته، ذي الأثر الطيب في جميع أعماله، وعلى خاصته الأتقياء من صحابته وآله.

أما بعد فهذا القسم الثاني من عنوان التاريخ العُماني، ألحقناه بشقيقه الأول، واضعين فيه عنواناً من أخبار الملوك والأئمة ما عليه في فن التاريخ والسير المعول، إجمالاً يتكفل التاريخ بتفصيله، فإن العنوان - كما هو معروف - كالرمز والإشارة إلى الشيء الذي يأتي بعده، ويتضمن الاستهلال به. والله حسبنا ونعم الوكيل.

دول عُمان

إمامة وسلطنة

اعلم أن وجود العرب الثانية بعُمان، يرجع فضله إلى مالك بن فهم الملك الجليل، فاتح عُمان، وموطد أركان الأُمة العربية بها. ولذلك فأول دول عُمان دولة مالك بن فهم وبنيه.

لما تملك مالك بن فهم زمام السلطنة في عُمان، وصار الملك إليه، أخذ ينظم دولة عربية مستقلة، ويمشي على ضوئها بنوه بعده، وكان قد جعل ولده هناءة ولي عهده على بنيه، بتقديمه إِياه عليهم، ليأخذوا على ذلك السنن في حياتهم بعده، لأنه كان تفرس فيه مخائل النجابة، ولم يكن أكبر أولاده، فمشوا على ذلك القانون الذي فهموه من أحوال الشيخ زعيم الأُسرة وأصلها.

وقد أخذت دولتهم ردحاً من الزمن، واستولت على جانب من القطر العربي مع عُمان، فكان لها في عالم التاريخ الذكر الخالد.

ومن حيث إِن دولة أولئك، نشأت ثم شبت ثم شابت تحت راية الشرك، لم يُطِل أهل العلم الحديث عنها، ولا وضعوا في صحائف التاريخ طويل عهد لها، وإنما ذكروا لمحة مما تخللها من حروب الفرس ووقائعهم،

وما دار بينهم وبين مالك المذكور، في ذلك العهد المغمور بالغيوم الكفرية، والمحاط بالحروب الفارسية، وما كان لأولاده من بعده من الأحوال، وما دار بينهم وسليمة في أرض فارس، وكان أحسن إليهم فأساؤوا إِليه، وما وقفت قناته بينهم إِلا يسيرا، حتى تنكروا عليه، وظلوا يرتادون له الغوائل، حتى جاءته الجنود من عُمان، تقدمها هيبة مالك السارية في الجمع الفارسي، يسوقها عزم هناءة بن مالك، مناصراً لأخيه، فما إن وصلت القوات العربية فارس حتى قامت سطوته تشتد، وملكه يمتد، حتى قهر منافسيه، وَسُقِط في يد من يعاديه، وزالت نعرة القوم، ورأوا أن اليد العُمانية قوية، والحركة الفارسية لا عروة لها تؤيد وقوفها، فبدل أن يكون للفرس ملك عُمان، كان للعُمانيين ملك الفرس.

ولله في خلقه حكم وأسرار، لا يجهلها إلا أهل العقول الجامدة. وإِذا أراد الله إِذلالاً لقوم، وإِعزاز آخرين هيّأ لذلك أسبابا، ورتب عليها أعمالاً، لينفذ حكمه بحكمته، ويُرِي الناس عظيم قدرته، فهو الفعال لما يشاء.

الدولة الثانية

دولة بني الجلندى

لما انتهى دور بني مالك بن فهم، وكان في سنة الله عز وجل انتقال الأمر من دولة إلى أخرى، ومن أمة إلى أمة، انتقلت دولة بني مالك بن فهم، إِلى بني الجلندي، من بني معولة بن شمس. وتولوا الأمر وتبادلوا الملك واحداً بعد آخر، حتى جاء الإِسلام وهذه الدولة في وسط عمرها، وفي غضارة شبابها.

وكان جيفر وعبد ابنا الجلندى ملكي عُمان، وسيدي أهلها، وزعيمي أمتها، القائمين بأمرها كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق. وإليهما كتب النبي ﷺ في إِسلام أهل عُمان.

وكان من ملوك هذه الدولة في الجاهلية عبد عز بن معولة بن شمس، وامتد له سلطان عظيم، ضم إلى عُمان البحرين واليمامة وما والاهما. وكان عامله على تلك النواحي، باقل بن شاري بن اليحمد. ثم ملك بعده ولده المستكبر بن عبد عز، ثم ولده الجلندى بن المستكبر، ثم ولده جيفر بن الجلندى، ثم أخوه عبد بن الجلندى، ثم سليمان بن جيفر، ثم أخوه سعيد بن جيفر بن الجلندى. وإلى عبد عز فمن بعده يشير شاعر العرب في قوله:

وأين معولة قبل الرســـول ... على مزون إِتاوات وتيجان

ويتخلل دولة بني الجلندى حروب الحجاج لعُمان، وهي الحروب التي مر عليك ذكرها، من قبل عبد الملك بن مروان، إلى غير ذلك من الأحوال. إلى أن نصب أهل عُمان الإِمام الجلندى بن مسعود، إماماً على عُمان، من تلك العايلة الجلندانية في عُمان. وذلك في عهد السفاح العباسي.

وقتل الإِمام الجلندى جعفر الجلنداني وابنيه النظر وزايدة، وكانا ابني عم الإمام. ومقتل شيبان الخارجي إمام الصفرية، وما إلى ذلك من الحروب العُمانية، والأحوال التي تبادلت على عُمان عهداً من الزمن.

وخرج آل الجلندى على دولة المسلمين، وفيهم عبد العزيز الجلنداني من تلك العايلة، وتلاعبوا بعُمان تلاعباً سئم التاريخ منه حمية وعصبية، إلى أن أذن الله عز وجل بانتقال الدولة من أيديهم إلى أيدي قوم من اليحمد. والله يوتي ملكه من يشاء.

ولكل دولة أسباب في السقوط، كما في المصعود. «وتلك الأيام نداولها بين الناس». وتلك سنة الله في عباده.

الدولة الثالثة

دولة اليحمد

لما طال العهد ببني الجلندى وهم ملوك عُمان، قضت سنة الله في عباده بانتقال الملك منهم إلى غيرهم، وتحول الأمر عنهم إلى أيدي من يقوم به بعدهم. وهم آل اليحمد بن حمى. وبقية النسب معروفة.

وأول زعيم بعُمان من هذه العائلة قام بدولة عُمان، محمد بن أبي عفان. ثم بعده الوارث بن كعب، ثم الإِمام غسان بن عبد الله.

وتتخلل هذه الدولة أحوال، منها إِمامة الإِمام عبد الملك بن حميد بن علي، من قبيلة بني علي أهل ينقل. ومن هذه الدولة أيضاً الإمام المهنا بن جيفر، من أعظم أئمة عُمان، ومن زعمائها الذين لا يزال التاريخ يحدث عنهم طيلة الدهر، وفي عهده أيضاً كانت لبني الجلندى حركات ذكرها المؤرخون. وذلك شأن الدول إِذا انتقلت دولة إِلى أمة، وبقيت بقية في رجال تلك الدولة طمحت إلى الملك، كما يشير إلى ذلك حديث هرقل مع أبي سفيان، بل قضت بذلك العادة في الأمم.

ثم الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب، وأيامه معروفة وفضائله وبلاياه بعُمان محفوظة. ثم راشد بن النظر، من هذه الدولة اليحمدية.

ويتخلل دولة هذين، أحوال افتراق أهل عُمان فيهما، وتلاشي الإِمامة،

والقيل والقال فيهما محقاً ومبطلاً كما يعرف ذلك أهل عُمان. وكاد أن تنشق بهما عصا المسلمين، وتتفرق كلمتهم، ويتلاشى أمرهم، كما تلاشى أمر إخوانهم أهل المغرب. وكان الخطب بعُمان في تلك الظروف كبيراً. وكان موسى بن موسى القائد الأعظم، والركن الأكبر.

ثم عزان بن تميم من هذه العايلة المعروفة. وكان الناصب له هو الناصب لراشد بن النظر. وهو أيضاً من هذه الأُمة اليحمدية.

قال بعض مؤرخي الأَجانب: إنه رام أن يتولى الأمر قسراً، وإِنه لقب نفسه بالإِمام. فليس الأمر كما قال، بل هذا باطل لا أصل له، بل نصبه موسى بن موسى ومن معه من أهل عُمان، الذين لهم إذ ذاك إِدارة شؤون عُمان في ذلك العهد. ولكل دولة رجال.

وأظلم الجوُّبين عزان هذا ووزيره موسى، واضطرب الحبل، واغبرَّ الأفق، حتى آل الأمر إِلى تجمع أكثرية أهل عُمان مع الفضل ابن الحواري السامي بأرض السر، ومبايعة الحواري بن عبد الله الحداني إِماماً لأَهل عُمان، لعزان بن تميم الإِمام ومن معه، حين استفحل خطبهم في الوقايع التي وقعت بالروضة، وقتل فيها أعيان من أهل عُمان، وخاصة اليمانية.

ثم أردفتها وقعة إزكي التي قتل فيها موسى بن موسى. واتسع الخرق على الراقع حين ارتفع الأمر إلى ملوك بني العباس، الذين يرون أنهم الملوك للمسلمين عامة، وأن من لم يخضع لطاعتهم في شرق الأرض وغربها جهزوا إليه الجيوش، وأعانوا عليه.

وفي هذه الظروف خرج محمد بن نور - بضم النون - الذي يسميه أهل عُمان محمد بن بور - بفتح الموحدة - عرفاً عاماً شايعاً، خرج بجيوشه

الجرارة من مرتدفة مضر، ومن التف بهم من أهل عُمان من دعاة الثورة، حتى قتل عزان الإِمام بسمد الشان. وتوالت أيادي بني العباس على عُمان، عهداً من الزمن. وتلك الأيام نداولها بين الناس.

وفي هذه الظروف وقع أمر عظيم بعُمان، شرحه التاريخ لطالبيه، وردده الكاتبون عن عُمان بروعة باهرة، لم يعرف في تاريخ عُمان مثلها، وجال بنو سامة بعُمان جولة واسعة، حتى كادت دولة اليحمد أن لا تعود على عُمان، إذ نصب في هذه الفترة أيمة، ووقعت أحوال.

ومن تلك الأيمة، محمد بن الحسن الخروصي. وقد عرفت العنصر اليحمدي لهذه الدولة. والمراد بهؤلاء أيمة بني خروص، فإنهم من خروص بن شاري بن اليحمد، رهط الإِمام جابر بن زيد، المعروف بأبي الشعثاء، من بني عمرو بن اليحمد. ثم عبد الله بن محمد الحداني، ثم الحسن بن سعيد السحتني، ولم يطل عهده، قيل: مكث في الإِمامة شهراً فقط ثم مات. ثم الحواري بن مطرف الحداني، ثم عمر بن محمد بن مطرف، ثم محمد بن يزيد الكندي، ثم الحكم بن الملا البحري، وكان أصله غير عُماني، ثم سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب الرحيلي القرشي، ثم راشد بن الوليد المختلف فيه، قيل: كندي.

ثم اشتد ساعد السلاطين الساميين في هذه الظروف، وعظم خطبهم، واستفحل سلطانهم، وضايقوا الإِمام حفص بن راشد، وتولوا أمر عُمان بالجور والعسف، ابتلاء من الله عزوجل لعباده، واستدراجاً لأهل الظلم والعدوان.

ثم قام بالأمر الإِمام الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك بن بلعرب،

من تلك الأمة اليحمدية، ويتخلل عهد هذا الإمام حروب الترك لعُمان، إلى أن أسروا الإِمام المذكور، فقضوا على إِمامته. ثم نصب أهل عُمان بعده محمد بن علي. ورجع الإِمام الخليل بعد أسر الترك له. ورجع إليه أهل عُمان اختياراً له من الإمام محمد بن علي، بعد أن دارت الأنظار في خلع الإمام المنصوب بعده. وما قيل هناك مما خلّده التاريخ والأثر، لأهل العلم والبصر. وبقي الإِمام الخليل في إمامته الأخرى، إلى أن مات حتف أنفه.

ثم نصبوا بعد وفاة الخليل، الإمام راشد بن سعيد، من هذا العنصر اليحمدي. وكان إِماماً شارياً، ويبايعه الخاصة والعامة على الشرى. وكانت قوته العسكرية سامية، وهيبته عظيمة، وغزواته تتغلغل في أرض اليمن، فتأتي نهداً وعقيلاً في ديارهم بأرض اليمن، كَبْحاً لشرهم، ودفعاً لفسادهم. وكذلك جنوده لا تزال تغشى البحرين لردع المتمردين النهابة، من أهل الأحسا.

فكانت له عظمة تاريخية، فإن الله خوَّله قوة، وأعطاه الدهر زمامها. فكانت عُمان في أيامه سحابها ممطر، وبرقها مغيث، وكان سلطانها يغشى هذه النواحي في عظمة، وكانت راية عُمان تجمع معها بلاد الحسا.

ثم نصب بعد راشد بن سعيد المذكور، ولده حفص بن راشد، إِماماً عاماً لعُمان ومتعلقاتها من البلاد، التي كان راشد بن سعيد يسيطر عليها. ومشى هذا الإمام الحفص في إِمامته إلى أن مات.

وبعد وفاته بايع أهل عُمان راشد بن علي إماماً، وهو الذي قتل القاضي نجاد بن موسى بن إبراهيم، من أعيان الخارجين عليه من الفرقة الرستاقية، وفيهم أبو بكر محمد بن عمر بن أبي جابر المنحي. وتوفي الإمام بعد ذلك بقليل. وقد توغرت القلوب.

ثم بايع العُمانيون بعده عامر بن راشد بن الوليد، من أعياص هذه الدولة اليحمدية، وأخذ المذكور في الإِمامة وقتاً. ثم بايع العُمانيون بعده الإمام محمد بن غسان بن عبد الله الخروصي.

ثم توالت الأيمة على هذا النسق، رهيني الانتخاب والاختيار، تبعاً لخطة الإسلام الأولى، عهد الخلفاء الراشدين. فبويع بعد محمد بن غسان الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك بن بلعرب، وتتخلل دولة هذا الإمام أحوال من فتن بني نبهان، الذين سيأتي ذكرهم في تاريخ عُمان.

ثم بايع العُمانيون بعد الخليل بن عبد الله، ابن أبي غسان الخروصي. وأبو غسان هو الإِمام راشد بن سعيد الخروصي، كناه بذلك الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن قيس بن سليمان الحضرمي.

وبعد ابن أبي غسان، نصب العُمانيون موسى بن أبي المعالي بن موسى بن نجاد. وتخلخل دولة هذا الإمام، حروب الملك العادل محمد بن مالك. وكان هذا الملك فيما يظهر من اليحمد، إِذ خرج وغالب جيشه رجال اليحمد، وهم أشبه أن يكونوا رهطه، لأن غالب أحوال الملوك - كما هو المعروف في بني أمية، وبني العباس، وغيرهم من سائر الملوك - الاعتماد على أهل نسبهم، وأهل القرابة منهم. بخلاف الأيمة، فإنهم يعتمدون على أهل الحق من المسلمين، كانوا من أقاربهم نسباً، أو لم يكونوا، فإن عمدة المسلمين التقوى. والله يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ لا أقربكم نسباً، ولا أدناكم رحماً.

وكان هذا الملك معروفاً بعدله، متبعاً في فضله. وكان قد تقدم إلى

المسلمين، وأعيان الملة والدين، بسيرة كتبها إليهم، أبدى فيها ما عنده. والمراد بـ «سيرة» أي مقالة حررها، بيَّن فيها ما عنده من الحق، وما يدعو إليه، وما يأمر به، وما ينهى عنه، وما يحبه في المسلمين. وهذا هو المراد بالسيرة، في مثل هذا التعبير، خاصاً بعُمان، فتراهم يقولون: هذا في سيرة فلان، وفي سيرة كتبها فلان إلى بني فلان. أي مقالة حررها لهم، يبين لهم فيها ما عنده. وفي سيرة فلان كذا وكذا، ومن سيرة فلان هكذا. بخلاف ما يفهمه الباقون من العرب، من أن السيرة مثلاً تاريخ مستقل، خاص أو عام، أو سيرة فلان بمعنى أخلاقه. وكانت سيرة هذا الملك المذكور، بعدله في قومه. ولكن القضاء والقدر يعميان البصر، ويصمان السمع، ويذهبان بالفكر. والأمر لله عز وجل. فقد وقع ما وقع بين الإمام والملك، والله سائل كلاً عما صنع. ولقد أعذر الملك الإمام، وبين منهجه في مقصده. ولقد انتصر الملك انتصاراً كبيراً. والله يعلم المفسد من المصلح.

وأقول: إذا قام الملك بحقوق الملك، وأدّى واجب الشرع الشريف، وأجرى الأمور في مجاريها، فلا نرى للمسلمين قتاله والقيام عليه، لأن أنشودة المسلمين القيام بحقوق الشريعة، واتباع خطة العدل. وهذا هو محور إِمام العدل في الإسلام. وإن لاحظوا أن هذا الملك قد تغلب على منصب الإمامة في الأصل بغير قاعدة المسلمين التي يمشون عليها في انتخاب الإمام، وأنه تولى الأمر قسراً، قلنا: إذا كان تولى الأمر فأحسن فيه فلا نلوم محسناً على إِحسانه، ما على المحسنين من سبيل. وأفعال الناس دليل على طواياهم، ومن ثمارهم تعرفونهم. والله ولي كل شيء. ألا ترى لو أن إِماماً قام بإجماع الأُمة على إِمامته، وباجتماعها عليه، ثم لم يسلك السبيل التي سلكها أيمة العدل، لم يكن الاجتماع على إمامته مسوغاً له ذلك. والحق أحق أن يتبع، وما بعد الحق إِلا الضلال.

فالملك إذا تولى الأمر في الأصل على غير مشورة، وقام بواجب الملك، وأدار دايرة العدالة كما أراد الشرع، وحكم واحتكم بشريعة الله عز وجل، وقام بأوامر الله، فهذا هو معنى الإمامة، واغتفر له توليه المنصب. ولعل له نية صالحة، ولعله تاب في نفسه. وإن قيل: إن توبته تتعلق باطلاع المسلمين. فلنا عدله وعليه وزره. والسلطان العادل ظل الله في أرضه، يأوي إليه كل مظلوم، وذلك شامل للإمامة والسلطنة. وفي بعض التأويلات أن أولي الأمر الملوك ومن في معناهم. والمقصود بالذات الصلاح.

الدولة الرابعة

دولة بني نبهان في عُمان

بنو نبهان قوم من العتيك، تولوا ملك عُمان عهداً من الزمان، فمن قائل: إن ذلك أكثر من مائتي سنة. وهذا في كلام الأجانب من مؤرخي الإفرنج، المعنيين بتاريخ دول الشرق، والمعتنين بالكتابة عنها. ومن قائل: إن ذلك قدر خمسماية سنة. قضاها الله على عباده بعُمان بلاء عظيماً، إذ كانوا أهل جور وظلم وهوى وفساد.

وكان لهم في عُمان دولتان، قامت الأولى في أواخر القرن السادس الهجري، ثم انحلت في أول القرن الثامن. فكانت مدتها قدر مائتي سنة. وقامت الثانية سنة ٩٦٤ أربع وستين وتسعماية، وانتهت عند ظهور الدولة اليعربية، في سنة ١٠٢٤، فكانت مدتها قدر مائتي سنة. كذا صحح بعض الكاتبين الخبراء.

والذي يؤيده التاريخ أن مدة بني نبهان تبلغ خمسمائة سنة، لأن دولتهم

قامت في أول القرن السادس، حتى نهاية القرن العاشر. وقامت دولة اليعاربة في أول القرن الحادي عشر. فتكون مدة دولة بني نبهان خمسماية سنة لا أقل.

وتتخللها حروب وفتن، ونصب أيمة، وصراع عنيف وقع بينهم وبين الأئمة المنصوبين في أيامهم. وأكبر الحوادث تفريق تلك الأموال الطائلة العديدة، التي اقتنوها طيلة هذه المدة، فأصبحت كرسي دولة المسلمين بعُمان إلى الآن، ولا بيت مال بعُمان إلا أموال ملوك بني نبهان.

سبب تسلط النباهنة على أهل عُمان

تلك المدة الطويلة

لما افترق أهل عُمان إلى نزوانية ورستاقية، وضللوا بعضهم بعضاً، وسفكوا دماء بعضهم بعضاً، وأثاروا بينهم الضغائن، وأوقدوا الأحقاد، بنصب إمامتين في قطر واحد، بل في بلد واحد، وفي مذهب واحد، بحوزة واحدة، واستمروا بذلك عهداً، سلط الله عليهم عدواً من أنفسهم، في الوطن والجنسية والمذهب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾، وإذا غيروا ما بأنفسهم، غيّر الله عليهم ما بهم، في حالهم وما لهم وأعمالهم. ولله في خلقه أسرار.

فمن أين لهم نصب إمامتين في بلدة واحدة؟... فيدعو أحد الإمامين إلى قتال الآخر.

وباطـــل سيـــرة فيها الإمامة في ... اثنين لو بلغا في المجد ما كملا

فتقوم إحدى الطائفتين لقتال الأُخرى، وتلك كذلك أيضاً، فيسفكون الدماء، ويقتلون بعضهم بعضاً، على الرئاسة والتسلط، متسترين باسم الدين، والدين يأبى من ذلك. فأين علماء الآخرة الذين هم حجة الله في خلقه وأمناؤه على عباده؟ بذلك كان تسلط الملوك النباهنة عليهم.

وملوك من آل نبهان صالوا وبنوا ملكهم على الكبرياء

وفي كشف الغمة قال: ولعل ملكهم كان يزيد على خسماية سنة.

لكن في خلال هذه السنوات، كان أهل العلم يعقدون للأيمة، ويلتف معهم أهل الفضل والتقوى، فيقع بين الإِمامة والسلطنة الصراع، وتصير الحرب سجالاً، فتارة يستفحل خطب الإِمامة ويضعف أمر السلطان، فينحاز في جانب مع أهل عصبيته، وتارة ينعكس الأمر، إذ كان أهل عُمان وحدهم ذلك الوقت، أي لم تتدخل بينهم دول أجنبية. فإن أهل الفضل والإيمان هم أنصار الإِمامة، وأهل العدوان والفساد هم أنصار الباطل.

وقد قضى الله العزيز الحكيم في خلقه بين أهل الفضل وضدهم بالشقاق، منذ عهد النبيين. وهكذا العداوة بين الحق والباطل دائماً. ولا تزال سنة الله في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً، ولولا ذلك لما فرض الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شرع الله الجهاد، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيا عن بينة.

وإلا فالكل تحت سلطان الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي له ملك كل شيء، والمتصرف في الكون كله بحكمته وقدرته.

وهكذا كان الأمر بين أهل عُمان، إذ كانوا وحدهم إمامة وسلطنة، ولم يكن للأجنبي بعُمان أمر، ولم ترض الملوك إدخال أجنبي على عُمان مهما كان، ولو سلب الملك من أيديها إلا ما شاء الله، خوفاً على الملك أن يتولاه الأجنبي. ويرون الأمر ما دام في أيدي أهل عُمان فهو في أيديهم، لأنهم قومهم، وفي آمالهم استرجاعه إليهم، لكثرة من يود ذلك لهم من قومهم، وأهل الحل والعقد من رؤساء القبائل، وأهل الإرادات لهم في كل جيل.

فإن الناس دائماً، إما أهل حق يودون دوامه، وإما أهل باطل يسأمون من العدل، ويملون وطأة الحق. فيقع النزاع. وهكذا الحال في هذا الجنس البشري، من أول نشأة وجوده.

وأهل الأهواء الذين يسُوؤهم الحق، ويغيظهم العدل، ويرجون من الملوك ما لا يرجون من الأئمة، يجاهدون في زوال الإمامة جهدهم، لأن الإمامة ضدهم. وهي بطبيعة حالها ضد أهل الأهواء، والغوغاء، ورؤساء القبائل.

والسلطنة تقبل كل مبرر لها، إلا إذا كان السلطان عادلاً. فإن العدل يضع الأمور مواضعها، ويسع الأُمة على اختلاف أجناسها، وتباين أوضاعها

وهل أفسد الدين إلا الملو   ك وأحبار سوء ورهبانها

وإلا فالعدل من الملوك جمال الملك، وهيبة المالك، وزينة الدهر. وناهيك بعدل كسرى الذي شهد له النبي عليه الصلاة والسلام به.

والأيمة هم علماء الأمة، وهم ممن لا يرضى في عباد الله إلا الحق،

ولا يمشي إلا بالخطة الشرعية، ولذلك لا تقبل دخول الأجنبي على البيضة الإِسلامية في عُمان، لأن ذلك يخالف ما قامت عليه دعائمها، وما تتطلبه في قيامها، وتطلب أنشودته في معالمها، وتحقق فيه نهوضها، لأن باطل الأَجنبي لا أقل ضرراً مما قامت له، لأَن ضالة الإِمامة إعادة السيرة النبوية وإِجراء الأحكام الشرعية، ورد الباطل على أهله، والانتقام ممن يغير سيرة المسلمين في دينهم ودنياهم، كما قام الصحابة على الإِمام الخليفة الثالث، فناشدوه سيرة صاحبيه، وإِجراء الأُمور على سننها، أي على ما أجرياها عليه؛ ولما وافقهم تركوه. ولما عاد إلى خلافهم قاموا عليه، ونشادوه الاعتزال أو الاعتدال، فوعدهم ولم يف لهم وعند ذلك قتلوه. وهو من عرفت مقامه من رسول الله ﷺ. وهذه هي حال أهل عُمان، فادرسها من أول بدئها إلى آخر أمرها في العهد الإِسلامي إلى الآن، فترى التاريخ يشهد لهم بذلك في كل جيل، فإن الانتخاب في الدول الإِسلامية الشرقية، لم يبقَ بصفته في أمة من الأمم إلا في أهل عُمان، منذ العهد النبوي، وعهد الخلفاء الراشدين. والله يعلم ذلك من نوايا أهل عُمان. ومن دعى إلى الخير أجيب. وعليه فهم دعاة إلى الخير، ولا بد من إِجابتهم ولو بعد حين، يشهد بذلك عهد الأَنبياء والمرسلين.

مشاهير ملوك بني نبهان
في عُمان

اعلم أن ملوك بني نبهان كما قدمنا عنهم، أنهم أهل جور وضلال وفساد في الأرض. لم يعرف عهدهم على التوالي، ولم يذكر تأريخهم على النظام الذي ينبَغي، ولذلك لم يشهر إلا هؤلاء المذكورون.

وقد وصل إليّ أيام الصبا جدول في ذكر كل واحد، وذكر مولده، ومدة عمره وملكه، وعاصمته، ولكنه ضاع مني، ولم أعرف عنه الآن شيئاً. والمشهورون هم:

أبو عبد الله محمد بن عمر بن نبهان.

وأبو معمر وأبو القاسم علي بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان.

وأبو الحسين أحمد بن عمر بن نبهان.

وأبو الحسن ذهل بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان.

وأبو المعلا كهلان بن محمد بن عمر بن نبهان.

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن نبهان.

وأبو محمد نبهان بن ذهل بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان.

وخردلة بن سماعة بن محسن بن سليمان بن نبهان.

وسليمان بن المظفر بن نبهان

وولده سليمان بن سليمان بن المظفر بن نبهان.

وسلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان.

ثم ولده طهماس بن سلطان بن محمد بن سليمان بن نبهان.

ثم أخوه سلطان بن سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان.

ثم المظفر بن سليمان بن نبهان.

ثم فلاح بن محسن بن سليمان بن نبهان.

ثم ولده عرار بن فلاح بن محسن بن سليمان بن نبهان.

ثم أخوه نبهان بن عرار بن فلاح بن محسن بن سليمان بن نبهان.

ثم عمه مخزوم بن فلاح بن محسن بن سليمان بن نبهان.

فؤلاء كلهم آل نبهان.

ثم حمير بن حافظ.

ثم ولده حافظ بن حمير بن حافظ.

ثم أخوه سلطان بن حمير بن حافظ.

ثم أخوه كهلان بن حمير بن حافظ.

ثم أخوه هود بن حمير بن حافظ.

ثم ابن أخيه مهنا بن محمد بن حافظ.

ثم ابن عمه علي بن ذهل بن محمد بن حافظ.

هؤلاء كلهم آل حافظ.

ثم مالك بن أبي العرب بن سلطان بن يعرب بن عمر بن نبهان.

ومالك هذا جد الإِمام ناصر بن مرشد.

ويعرب بن عمر بن نبهان جد آل يعرب، الذين سيأتي ذكرهم بعد هذه الدولة. وهم من يعرب بن عمر المذكور، فهم على الصحيح نبهانيون بغير مرية، ولكن ميّز الدين والإيمان والقتوى رجالاً منهم، فرفعهم الله وأعلى شأنهم، وخلد ذكرهم العدل، وأعلى منار دولتهم الهدى، واعتمادهم على الحق. وقد عرفت أصول الشرف إذا أخذت من التقوى حظها، كان لذلك أثر فعال.

هذا ولما تبدل الحال في أواخرهم تمزقوا، ولم يعد إليهم أمر يذكر، منذ ذلك العهد إلى الآن، وحل محلهم آل بو سعيد.

وحسبك بذلك عبرة ومثلاً، بعد العز والشرف العظيم الذي تقلده اليعاربة في عُمان، بل وفي الشرق الأوسط، أصبحوا ولا يذكر أحد منهم بخير، لا في دين ولا في دنيا، وإِنما بقيت في ضمائرهم الدعايات النفسية، والكبر، والخيالات الوهمية،

فآل بو سعيد منذ تولوا الملك عن اليعاربة، لا يزال فيهم إلى الآن.

والله يؤتي ملكه من يشاء. وسوف نقف على ذلك إن شاء الله تفصيلاً في تأريخنا لعُمان، إن وفق الله وأعان.

ويتخلل هذه الدولة النبهانية، أحوال واضطراب وحروب، قام بها أئمة من أهل الفضل في عُمان. فإن عُمان بطبيعة حال أهلها، لا ترضى الخنوع والخضوع للسيطرة الجبارة، والزعامة الفاجرة. ومازال أهل التقوى في ذلك

الزمان، يصارعون أهل الباطل. وما برحت أيام بني نبهان محط الأمور الخايرة، والآراء الخاسرة. ولم تزل الغارات الأجنبية، يرسلها عليهم الزعماء من الخارج.

ومنها ظهور الفتن الأهلية في عُمان، وانتشار الغوغاء، وتعطيل الحقوق.

ومنها خروج محمود بن أحمد الكوستي، أحد أمراء هرموز على كهلان.

ومنها خروج فخر الدين بن أحمد الداية، وأخيه شهاب الدين بن الداية، من أهل شيراز، وأصابوا أهل عُمان بوبال عظيم.

ومنها خروج أولاد الرئيس، ودخلوا نزوى ونهبوا وسبوا وعاثوا في الأرض فساداً، وفعلوا أفعالاً تشمئز منها النفوس الحرة، وتقشعر منها الجلود، وترتاع منها قلوب المؤمنين.

ومنها خروج ابن بطوطة، الرحالة المعروف، وجاء إلى عُمان، ورأى من فساد الأمور، وانحلال أركان العدل، وبث المفاسد، وانتشار الفوضى. وحكى عن أهل عُمان ما حكى. ولا ريب فإن أيام الجور لا يتحاشى الناس السفهاء فيها عن شيء، إلا ماشاء الله. والأمر لله.

ومنها أيضاً نصب الإِمام الحواري بن مالك، ونصب ابنه بعده.

ومنها أيضاً نصب الإِمام أبي الحسن بن خميس بن عامر.

ومنها أيضاً نصب الإمام الجليل المرضي، عمر بن الخطاب بن محمد ابن أحمد بن شاذان بن الصلت بن مالك بن بلعرب، من هذا البيت

الشريف، العريق في الشرف، الراسخ القدم في الفضل، الثابت الدعائم في التقوى. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. فسلطه الله على خضد شوكة النباهنة، وكسر قوتهم، ودمغ زواهقهم. وأرهف الحد فيهم إِعلاء لكلمة الدين، وقياماً بحقوق الملة والدين، على ما صارعه من الخطب في ذلك. ولما وضع البتار في أعناقهم، وشن الغارة على فلهم، حتى دوخهم، فخضعوا، وأذلهم رغم عتوهم الغاشم.

ومنها أيضاً نصب محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج البهلوي.

وكذلك نصب الإِمام عمر، المعروف بالشريف. ثم تركوه وبايعوا البهلوي مرة أخرى. وكأنه اعتزل في المرة الأولى أو عزل لأسباب اقتضت ذلك.

وكذلك أيضاً نصبوا أحمد بن عمر بن محمد الزنحي، من بني هناءة بن مالك.

وكذلك أيضاً نصبوا أبا الحسن بن عبد السلام النزوي. وأقام في الإِمامة دون السنة، في أيام سليمان بن سليمان، فخرج عليه المذكور. وكان هذا الخارج قد تغلب على الأمور، واستفحل خطبه، فتولى الأمر على الإِمام، وتسلط على المسلمين، فانتصف الله من هذا الجبار، بإمام المسلمين محمد بن إسماعيل الحاضري، فدوّخ هذا الإِمام ذلك السلطان، وقضى عليه وعلى من شايعه، بسحق الآثار، ومحق الأموال، وتخريب الديار.

وفي هذه الظروف تشعب ملك عُمان، ولم يبق لعُمان سلطان منهم. وهنا أيضاً انتشرت الفوضى، واختل النظام جداً، وتمحل الأمر، كما يعرف ذلك المطلعون. إلى أن أذن الله عز وجل بنصب الإِمام الأكمل الزاهد العابد

التقي الولي، ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك، بن يعرب بن مالك بن يعرب بن عمر بن نبهان، أصل الدولة اليعربية، المعروفة في العالم بأئمتها العظماء، وملوكها الكرماء، وزعمائها الأجلاء، وقوادها الفضلاء، وأشياخها النبلاء، ذات الجيوش الجرارة، والأساطيل العظمى، وهممها العلية.

ولا ريب فإن الإمام ناصر بن مرشد، من ذلك العنصر النبهاني، الذي امتد سلطانه في عُمان، تلك المدة الطويلة المترامية بأهواء النباهنة.

وكان من فرعهم ملك اليعاربة الصيد الكرام، وما أدراك ما الشان أخرج الله تلك السلالة الطاهرة، من تلك النفوس القاهرة، كما أخرج أجلة الصحابة، مثل الصدّيق والفاروق وأضرابهم، من أولئك الجَهَلة العتاة، من زعماء القريش. ولا بدع فإن الحظوظ مخزونة في خبايا الغيب لأهلها محفوظة في ضمائر الكون لذويها. واقتضت الحكمة الإِلهية إيراد كل شيء في وقته.

ويعرف المذكور - الذي ينتهي إليه نسب الإمام ناصر - هو جد اليعاربة، الذين ينتسبون إليه، فهم نبهانيون كما عرفت.

وكان مالك بن أبي العرب أيام اقتسام الملك بين النباهنة مَلِكَ الرستاق. وكانت حظه من ملك عُمان إِذ ذاك. فإنهم اقتسموا الملك في تلك الآونة، وعض كل واحد على ما بيده، وبقي يتوارثه بنوه. فبعضهم قبض على سمد الشان، وما كان من أعمالها من بلاد الشرقية. وبعضهم تولى بهلى وأعمالها، وإلى الظاهرة. وبعضهم نزوى وأعمالها، من منح وازكي. وبعضهم سمايل وما يتصل بها، من وادي سمايل إلى الخوض. وبعضهم ينقل وما إليها.

وبعضهم مقنيات وما يتبعها. وبعضهم صحار وتوابعها. وهكذا. وبقي كل واحد ينافس أخاه، ووارثوه يتكالبون على ما بيده، ويتهارشون عليه، رغم أهل الحق من المسلمين.

وطال العهد بذلك، واستمر بقاء الملك فيهم، فرأوا أن الملك لهم، والأمة حيوان يساق، وأملاك في يد مالك. عايلة متسلطة على الأمة، تسومها الخسف، وتقودها بالعنف. فإذا رأوا حركة ضدهم تعاونوا عليها. فهم في غالب الأحوال يؤيدون بعضهم بعضاً.

ولقد أفحشوا في الأعمال ولهم في الظلم فنون. وناهيك بخردلة بن سماعة، في سمايل، وحسبك قتله للإمام ابن النظر، وما فعله في تلك العايلة الكريمة، من الفحش وقساوة القلب. ومضوا على تلك الأحوال الفرعونية، وما زال أهل العلم معهم في النكال والوبال، وسيء الأحوال.

وكانوا ينصبون تلك الأئمة التي مر عليك ذكرها، ويقعون في المجازر والمذابح، وخصوصاً إذا نفر أحد من العايلة المالكة، فيستثير حفيظة أهل العلم للتشفي ممن أخافه، ويحرك من ساكن أهل الحق، ويغتنم العلماء الفرصة لإِظهار الحق، فيكون ذلك المحرِّك عوناً لهم على أمرهم. وربما اغتنموا الفرصة عند العداء بين الأخ وأخيه والعم وابن العم، وهكذا، في ظروف لا تزال مشحونة بالرزايا، وأيام موسومة بالبلايا.

وإذا طال العهد بقوم في أمر من الأمور، رأوا أنهم أحق به، والأخص فيه. ألا ترى سليمان بن سليمان، وقوله: أنا وأنا، ونحن ونحن. ولجهلهم بسنة الله في عباده، وقضاء الله وقدره في بريته، وقضية «كلكم لآدم وآدم من تراب»، وللغطرسة التي تعمي وتصم، يتعاظمون على إِخوانهم، ويتكبرون

على بني جلدتهم. وقل أن يقوم منهم قائم إلا على هذا الأساس ولا يبالون، ويثير الله عليهم في بعضهم بعضاً أحوالاً تكون عبرة للمعتبر.

وإن ربك بالمرصاد. وله في عباده أوامر ونواهي. والله مالك الملك، لا ملك إلا الله. وملك الإنسان لهو ولعب، فإن قام فيه بحق فله عند الله أجره الجزيل، وإن عسف فيه بهواه، وخالف أوامر مولاه، كان مسؤولاً عند الله. وكل يحصد مما يزرع. وعهد الدنيا وباب الآخرة مفتوح، والداخلون فيه في كل لحظة لا يحصون عدداً. والله المستعان.

الدولة الخامسة

دولة آل يعرب

هذه الدولة الخامسة في عُمان، التي كانت مضرب الأمثال، عظمة وهيبة واتساعاً في معاني الدول العالمية، حتى عدت الدولة الرابعة من الدول العظمى، كما قال عنها في حياة الشرق.

وأول هذه الدولة الإمام المؤيد ناصر بن مرشد، كرسيُّها الذي قعدت عليه عظمتها، وعرشها الذي عرفت به أول نشأتها. فكان اسمه فألاً لنصرتها، واسم أبيه فألا لإرشادها، واسم جده فألا لسلطانها، وكان قيامه بها في العقد الثالث من القرن الحادي عشر للهجرة، أي سنة ١٠٢٤. فسار في المسلمين بعُمان سيرة زاهرة، إلى أن ثبت ركن الحق الذي طال تزعزعه ببني نبهان في عُمان، وعاركته عُمان وعاركها، وخاصمته فخصمها، وأرته من سوئها ما لا مزيد عليه، إلى أن استقر السيف في غمده، وجرى الماء في مجاريه، وتوطد الأمن في عُمان بحجر أساسها القوي، حتى مات رحمه الله ورضي

عنه سنة ١٠٥٠. فكانت إِمامته ستاً وعشرين سنة. توطدت فيها أركان العدل، وانمحت فيها رسوم الباطل، وأزال الله به ضلالات ملوك آل نبهان، وازدهر عصر الإِسلام في أيام هذا الإمام بأخيار المسلمين، وعلماء الملة والدين، وأولياء الحق من المؤمنين، والأبرار الميامين، والأصفياء المخلصين، والأتقياء الموفين.

هذه هي بذور ذلك الإِمام في قلوب المسلمين، أنبتها الله عز وجل في ظل ذلك الإِمام الوفي المخلص، العامل لله عملاً لا شائبة فيه. وما زالت أنوار الإِسلام في أيامه ساطعة، وجلالة المسلمين رائعة.

ويتخلل دولة هذا الإِمام المرضي، ابتداءُ حروب المسلمين لدولة البرتغال، المعروفين بالبرتكيس، الذين تملكوا البحر العربي، وتسلطوا على الثغور، ومدوا أسلك نفوذهم في الشرق الأوسط، وتمكنوا من عواصم البلاد الإسلامية أيام بني نبهان، الذين أماتوا نشاط عُمان، وقضوا على عزتها، بتلاعبهم الأعمى، وتهالكهم بالأهواء بين جدران عُمان وحيطانها، في مسارح اللهو والطرب. كما سوف تقف على بسط هذه الأحوال، في محلها من تاريخ عُمان، إِن شاء الله.

ولقد أيقظ الإِمام ناصر بن مرشد همم المسلمين في أيامه، وجعل تطهير عُمان من المعرة الأجنبية نصب عينيه قبل كل شيء، ووضع خيوط طردهم محكمة الفتل، مرصونة المتن، فأخذ بها من جاء بعده من الأئمة اليعربيين، ورأوا غزل سداتها ممدوداً، وحياكة لُحمتها ميسورة. والسبب الأول هو ذلك السيد اليعربي. فليت الأمر استمر كذلك، ولكن سنته تعالى القاضية بتداول الأيام، أبت إِلا كما شاء الله عز وجل.

إمامة سلطان بن سيف

ابن مالك بن أبي العرب

بعدما دفع الله تلك النسمة الطاهرة المقدسة، المرتكزة في أعماق قلوب المؤمنين، حباً وولاءً وإِخلاصاً، أقام للمسلمين كنائبٍ وأمين على أعمال المسلمين، من علم كفاءته لهذا العمل الثمين، وهو الإمام السيد الفيصل، سلطان بن سيف بن مالك ابن عم الإِمام الناصر. فقام بالعمل على تلك الوتيرة الطيبة، والسيرة الوافية، وشن الغارات على الدولة الوحيدة إِذ ذاك دولة البرتغال، المتغلغلة في العواصم الأسيوية والإِفريقية، فواقعها برجال عُمان البواسل، وأبطال عُمان العباهل، يقودها ذلك الليث المقدام، والسيد الهمام. فأدارها بينه والبرتغال حروباً شعواء طاحنة، لا يثبت لها إِلا رضيع لبانها، ووليد أوطانها. ارتج الشرق الأوسط من زلازلها، ويا لها، كحرب ممباسة في إفريقيا وجاراتها، ووقعة كلوة، وحروب زنجبار، وغاراته على بمبي، واجتياحه لساحل المليبار. وناهيك بوقعة بتة المدهشة. واصطلم جيشه دهلي عاصمة أرض بنجالة، وساق منها غنائم عظيمة، بنيت منها قلعة نزوى، ومعها ألفان من الرجال أسارى تناسلوا في عُمان، وزاد بهم نشاط الإسلام في عُمان، ووضعوا لهم أسماءَ قبائل في عُمان معروفون، ومنهم فيما قيل الهطاطلة، كما أخبرني بذلك بعض أفاضلهم، ومنهم أولاد مِسْلم وغيرهم، وبعضهم أطلق عليهم اسم: موالي الإِمام، ثم بعد ذلك سموا: موالي اليعاربة.

ومن وقائع هذا الإمام الجليل في سواحل الخليج الفارسي وبحر العرب إلى حدود اليمن، منها وقعة مخا، ووقعة باب المندب. ووقعة مُسِبيج. وهي

معارك كبيرة مدهشة، أسالت الدماء إلى البحر. وقعات معروفة في الكتب الإفرنجية، وحروب مشهورة، دفن فيها من رؤوس أهل عُمان أبطال، وهلك فيها من الجيل العربي رجال، حتى رفع الأئمة اليعربيون بها علم الإسلام عامة، والعرب خاصة. وامتد سلطان المسلمين إلى حيث يعلم الخاص والعام. وعُمان إذ ذاك أحدوثة العالم هيبة وعظمة وروعة. وأصبحت الدول الكبرى تحسب لها الحساب الأكبر.

فحدث إن شئت عن هذا الإمام العظيم الهمة، القوي القلب، الهمام المهام، الرافع لصروح الإسلام، القائم بحقوق الإمامة العظمى بعُمان قياماً صدع قلب العالم الشرقي، وملأه أحاديث رائعة، وأنباءَ مرهبة. وما فل من عزمه شيء، حتى لاقى حمامه حتف أنفة، بعدما كان يضع حد حسامه، فيقطع بالضربة الواحدة عصفور المدفع، أي عروته، وفخذ الفارس البطل، ويقول له: قل لمن لقيت: هي ضربة سلطان بن سيف.

ويحتل بعزمه القوي الحصن الغربي من حصون مسقط بستة رجال، وبعدما نزل في القلب نادى أبطاله البواسل: أن هلموا إذ لا أحد بالحصن. حتى إذا حمي وطيس الحصن، واشتعلت نيرانه، كان الإمام قطب رحاها، وموقد صلاها، وزعيم أركانها، ولله رجال.

مات الإمام سلطان بن سيف، وخلف ذلك الملك المترامي الأطراف، وترك أساطيله تمخر عباب البحر، حاملة ألوية الإمامة العظمى رغم أعدائها.

فأعظم بهذا الإمام العظيم، وأكرم بهذا السيد الكريم، الذي رفع علم الناطقين بالضاد في الشرق كله، وأكبر من شأنه وقدّره، ملأ قلب العالم بُطُولة حرة، وإمامة صادقة، وعظمة تاريخية.

إمامة بلعرب بن سلطان

ولما توفي أقام المسلمون بعده ولده بلعرب، السيد الفاضل الكامل، في اليوم الذي مات فيه أبوه، وهو يوم الجمعة ١٦ من شهر ذي القعدة الحرام، سنة ١٠٩١. فيا لذلك اليوم من رزء على المسلمين، ولا رزء مثله إلا بمحمد ﷺ خاتم النبيين.

ولقد كان لذلك اليوم حداد عم كل أفق عربي، وأدهش قلب كل ولي أمين. ولولا تسليهم بولده الإِمام الميمون النقيبة، الطاهر النفس، الفاضل الزاهد الأواب، إِذ كان من أفاضل أئمة الدين، وأجلَّة أعمدة العلم والإيمان في المسلمين، ومن أهل الخير فيهم.

وكان لما رأى أن نطاق الملك قد اتسع، وأن دولة المسلمين راقية في شوط باهر، ولكن شوط العلم غير قوي، لاشتغال المسلمين بالفتوح، واهتمامهم بالحروب التي أشرنا إليها، وأن نور العلم هو الذي تستضيء به حوالك الأيام، ويعظم به في الكون أمر الإسلام، انصرف إليه بكليته، ورغب فيه بطبيعته، وأقبل إليه بنشاطه، وأقام له في قصر جبرين مدرسة خاصة بالطلبة من عُمان وغيرها، حتى وفد عليه المسلمون من عدة أقطار، وأقبل عليه المتعلمون من عدة بلدان، حتى أهل المغرب من أهل المذهب وغيرهم، حتى قامت لهم بجبرين كبكبة عظيمة، وفاض نور الله على تلك القلوب الحرة، وامتلأ الأفق العُماني بتلك البدور ضياءً، وأشرق القطر بتلك الوجوه الزاهرة ابتهاجاً. ولكل زمان رجال، ولكل عهد جمال. وجمال عهد هذا الإِمام العلم.

ولله تلك النظرة العالية لو تم عهدها، فإن حياة الأمة بالعلم، لا بد وأن تعيش حرة منيعة، تغار على الدين، وتقوم بحقوق الإِسلام، وتتغلب على الجهل، وتؤيد العدالة. ولا فضل في الإسلام لعمل كهذا العمل، فإنه الدعامة الثابتة، والحجر الذي يقوم عليه ركن الإسلام ثابتاً.

كان الإِمام بلعرب كريما معطاء مبذالاً فياضاً، يعطي عن ظهر غنى ولا يبالي. عاش أباً للعرب، لا بلاء العرب، كما يقول بعض الكاتبين من الأجانب.

مات رحمه الله تعالى سنة ١١٠٤ في قصره بجبرين، وخلف ولداً اسمه يعرب بن بلعرب، وهو الذي قام بإمامة سيف بن سلطان الصغير كما سوف تراه إِن شاء الله.

وتتخلل دولة هذا الإمام الرضي المرضي الولي التقي، الحروب التي دارت بينه وأخيه سيف بن سلطان، وما اكتنف تلك الأجواء العامرة بالخير، وما قيل في بناء جبرين، وحكم المسلمين فيه وفي جبرين، وآخر ما آل إليه الأمر فيه.

ومن المحال دوام الحال، والدنيا محتوم عليها الزوال. وتقلب الأحوال أمر اقتضته الحكمة في الأزل. وفي اضطراب الأحوال معتبر لأُولي الألباب.

وأكبر ظاهرة تدل على عظمة هذه الدولة اليعربية مبانيها بعُمان. فإن قصر جبرين كما مر عليه الكلام، مثال للعظمة التاريخية بعُمان.

ثم لما قبض الله بلعرب بن سلطان إليه، واختار له ما لديه، تولى الأمر بعده أخوه سيف بن سلطان. ولو تم الأمر الذي حاوله بلعرب ابن سلطان،

لكمل الشأن لعُمان، ولكن قضاء الله عز وجل نافذ لا محالة، وحكمته تعالى أبلغ حكمة، سبحانه ما أعم شأنه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

فلو قامت لعُمان كبكبة من العلماء لقوي الإِسلام بهم، ولَمَا برحوا يعقدون ألوية العدالة، ويبعثون بعوث الفتح، ولأَصبح العُمانيون أقوياء أكثر مما كانوا، فإن العلم يبعث على ذلك في كل عهد. وهل وجدت الإِمامة في عُمان في أي زمان مها كان، إلا حيث وجد العلم؟ وهل يبعثها إِلا هو؟ وهل يربيها في مهدها غيره؟ لا ورب الكعبة، ولا ناصر لها مثله.

فإن حملة العلم دعاة الله في خلقه، وحماة شريعته. أما الجهل فأسير لا يبدي ولا يعيد، نعوذ بالله من الجهل.

لقد روي عن الشافعي: تعلمنا العلم لغير الله، فأبى العلم أن يكون إلا لله. ومعناه أن العلم داع إلى الله بطبيعة الحال. فإن أصل الطالب لا يفهم مقصد العلم كما ينبغي، حتى إِذا فتح الله له أبواباً من العلم، أرشد العلم إلى الله. وإلى ذلك تشير آيات عديدة، وأحاديث مفيدة.

ولا شك أن العلم ضد الجهل، فلذلك ترى العالم يفر من صحبة الجاهل، وترى الجاهل يرهب بطبعه رجال العلم، ويراهم بأعين التوقير. فسبحان الذي له في كل مخلوقاته دليل على عظمته.

إمامة قيد الأرض سيف بن سلطان

وما أدراك ما قيد الأرض، أكبر الأئمة اليعربيين شأناً، وأعظمهم سلطاناً، كان لقبه هذا معرباً عن أعماله. وناهيك بلقبه الثاني، (صاحب الكاف) فيأوله بعضهم، بصاحب الكيمياء. لكثرة الأموال التي فاضت في أيامه، فعمت جميع أعماله. وما كان صاحب كيمياء كما يقولون، لكنه خراج الممالك التي تجبى لعُمان، من النواحي النائية، وعُمان إِذ ذاك قصبة الملك.

وانظر في معنى قولهم: قيد الأرض؟

يقول الإمام السالمي: لتقييده البلاد، وضبطه الممالك. قلت: وفيه بلاغة تطابق المقام، كما قالوا: قيد الأوابد.

وقيد الأرض عظيم من عظماء الأئمة العُمانيين. وسوف نشير إن شاء الله، على ما يدل عليه هذا اللقب الكبير، فإنه يشف من خلاله أمر لا ينكره العقل، ولا يبعد عن الفكر. وقد عرف بذلك حتى عند الإِفرنج وغيرهم، ممن يكتب عن أحوال العرب، من كتاب الشرق المؤرخين لوقائعه.

قال الإمام السالمي: ذلك لضبطه الأمر، وتقييده الملك. قلت: هو كناية عن حزمه وعزمه، وعظيم هيبته وسلطانه، وضبط الممالك بالحسام الذي يمحو الباطل، ويهد أركان الضلال.

ولا يعزب عنك ما دل عليه لقب الفاروق، لأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﷺ. فإن هيبته كانت تسقط لأحمال الحوامل، وتدهش كل ذكي عاقل. بل كادت أن تؤثر على غير المكلفين. ولا بدع فإن الحق عند أهله له هيبة مدهشة، وروعة مذهلة، لا تزال تسري في القلوب، وفي الدماء، وفي النفوس، سريان النار في الهشيم.

وكان سيف هذا سلطاناً عظيماً، له شأن يؤثر في الأرض آثار عدل. روي أن جونية سقطت في سيح الكدس، الذي بين البركة وفرق ومنح، فاحتالت الطريق عنها، ولم يستطع أحد أن يعرف ما فيها، فضلاً عن أن يحملها، حتى تلاشت بالشمس والريح. ثم جاء المطر فسقاها، فنبت منها فلفل. فأعجب لهذا الحزم والهيبة المدهشة، مع أن سيح الكدس في خلاء من الأَرض.

كان كثير الجنود، قوي السلطان. جاء بدوي يسأله شيئاً، ومن حيث إن الإمام يروم قطع النعرة البدوية، قال له: لا شيء عندي. فقال: إن أباك كان يعطينا. فقال: كان أبي سلطان، أما أنا سيف. أي ومن عادة السلاطين العطاء، ومن عادة السيوف إسألة الدماء. فلم يجسر البدوي على إعادة كلمة أخرى لما ذكر له أنه سيف.

عظم ملكه، وامتد سلطانه، وقويت شوكته. كان ضخم الملك، من أعظم أئمة المسلمين الذين ظهروا في عُمان، وكان محبوباً عند الزعماء، مطاعاً في السواد الأعظم. وعندي ذلك يرجع إلى عظيم سياسته.

كانت أذنه واعية، وعينه يقظة، ويده فعالة، ونفسه ساكنة. كان يدير الأمور بهمته الباهرة، وسيرته الزاهرة، وعزمته الوافرة. فإنه أعطى كل مقام ما يناسبه، وساس كل قوم بما يليق بسياستهم.

وأيام الإِقبال تساعد على حسن الأعمال، وعلى إِسعاد الرجال. والبذل والعطاء يعظمان الدول، ويقويان السلطان، ويمهدان الأُمور. ومن هنا دخل أهل الأهواء على الإمام بلعرب بن سلطان، فانحاز أكثرهم إلى سيف بن سلطان، وتبين للإمام ما هم عليه، فخرج من نزوى إلى أطراف الظاهرة،

ونواحي الشمال، كالمتجاهل لما عليه الناس وانتظاراً لرجوعهم، أو انكشافهم صراحاً. خوفاً من شق العصا بين المسلمين، ولما رجع الإمام المذكور إلى نزوى، منعه أهلها من الدخول، تأثراً بأحوال هناك اعتمدها سيف بن سلطان، ودخل بها الناس دائرة الاختلاف، وهنا ظهر للإمام جلياً انقلاب الناس عنه، بل انقلابهم عليه، وعند ذلك رجع الإِمام إلى جبرين، ضارباً عن ذلك صفحاً، معتمداً على الله في قضائه وقدره، مترجياً فيئة الناس، وإذا هم يجتمعون إلى سيف، ويلتفون تحت رايته، حتى صار هو. السلطان الأَعظم، والإِمام المعظم، إِلا أن البيعة لم تقع بعد له من أحد، وقد دخل تحت طاعته من لم يرضها تقية، وهم الأقلون من الناس. وعند الاختلاف فالدنيا لمن غلب في كل عهد. حتى تولى كل حصون عُمان، وصار الحاكم المطلوب فيها. وبلعرب في بيته جبرين، مغمداً سيفه عن أخيه وعن المسلمين، منتظراً فيهم حكم الله. ولعله غلب عليه الميل إلى الآخرة، والإعراض عن الدنيا أيما إعراض، وقال في نفسه، إن يكن الناس أرادوا غيري أراحني الله منهم ومن دنياهم. ولزم حصنه غير ماسٍ بأذيال الأمور، ولا متسبب لسفك دم، ولكنه لم يكف سيف بن سلطان ذلك ومن معه، ولم يرضوا فيتركوا بلعرب في حصنه وهو بيته، فيبقى كافاً عن الأمر غير منازع فيه، ولا مجاذب له، حتى زحف سيف بن سلطان على أخيه بلعرب بحصن جبرين، يروم إخراجه منه، وهو بيته الخاص به، الذي بناه من صلب ماله على ما قيل.

وهذا من أعظم الأَحوال في الإِسلام، وكيف لا وهو أولاً إمام بإجماع المسلمين، ولم يذكر له حدث يستوجب به القيام عليه، وكيف يخرج من بيته الذي هو ملكه فيستباح حماه، وكيف ينازع الأمر والحال هذا، حتى مات

بلعرب وهو محصور في قصره، وهو إِمام المسلمين، ولم يقترف سيئة تذكر، ولم يقع منه دفاع، إِلا أنه احتصن في حصنه.

ويقال: إِنه لما رأى الشماتة، وتحقق إِصرار القوم على إخراجه من حصن جبرين، وهو بيته الخاص به، تعينت عنده الشماتة التي ما بعدها إلا الموت. فقد قيل: صلى ركعتين في مصلاه الذي اتخذه معبداً في حصنه، ودعا الله أن يميته، فأماته الله في مصلاه.

ولما استنكره قومه هبطوا إلى المصلى المذكور، وهو في قاع الحصن على الفلج، في موضع خال من الناس، حيث لا يفضي إليه إلا الخاصة في ذلك المكان. ودفن في نفس المصلى. وقد زرناه هناك مرات، أيام ترددنا على ذلك الطرف.

ولما فشا خبر موته إلى سيف بن سلطان، وهو مقيم في ضواحي جبرين بجيشه الضخم، قال لعبيده: أنتم قتلتموه، وإنه عندي لأشبه بعثمان بن عفان، إذ حُصِر في بيته. إلا أن الأفعال اختلفت، وإلا فالدفاع للباغي واجب، والله يقول: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾. ومن جاءك يطلب منك مالك، وجب عليك أن تقاتله عليه، ما كنت قادراً. فكيف بأمر المسلمين؟

ولعلهم نظروا إلى أن القائمين بالأمر شركاء، ولهم النظر في أمر المسلمين، ولا بد لهم من أصل يستندون عليه، وإلا فالإمامة ليست أمراً يسوغ فيه مثل هذا، وعهد الله يحملونه في أعناقهم يلزمهم الوفاء به، وهو البيعة، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه.

فإن المسلمين لم يظهر أنهم عابوا بلعرب بن سلطان بشيء ما، ولا

عدوا عليه أمراً، ولا شكوا منه مظلمة. وما كان منه في الأمر قصور ولا تقصير، على ما يظهر من الأحوال، اللهم إلا إذا كان هناك أمر لم يظهر لسائر الناس. فالمبتلون بالأمر هم المسؤولون أمام الله عز وجل، إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر.

وقول شكيب أرسلان: كانوا يسمونه أبا العرب، فصاروا يسمونه بلاء العرب. لا أدري وجهه ولا سببه، وهذا لم نعلمه عن أحد من أهل عُمان. فالله أعلم به. والظاهر لا يرتكبون مثل هذه الدهياء إلا لوجه. ولكن مثل هذا الحال، ليس مما يخفى على الناس، بل مما يشيع في السواد الأعظم، ويدرسه الكل، لأنه أمر جامع. وأي أمر أجمع من إمامة عامة، وإمارة للناس عظمى؟ سبحان من له في خلقه أمر مبرم. وإلا فكيف يخلع إِمام عدل من إِمامته بغير موجب.

ولعلهم رأوا أن أمر الملك عظيم، وأن الدولة مدت باعها إلى النواحي النائية، وأن العهد قريب، والجراح جديد، وأعين العدو تنظر إليهم شذراً، وأن القلوب تغلي كغلي المراجل براً وبحراً، فإن الدولة اليعربية مشت شوطاً عظيماً بهر العالم الشرقي، وخافه العالم الغربي، وهمت الأمم بها بكل المستطاع، وأن بلعرب لم يُقبل على الممالك إقبال من ملك قلبه، واكتفى بأعمال العمال، ولم يرضَ ذلك القوام بالأمر، وبذلك دخلوا على أخيه، وقام هذا حساماً قاطعاً، وسهماً نافذاً، يرمي به الغرض رمي الحكيم البصير المتمرس، الذي مارس الأمور وعاناها، ولا ريب فإنه نشأ في ذلك الجيل الحر اليقظ، الذي يرى أن الخير في توسيع نطاق الملك.

وأقول أيضاً: لو كان الأمر الذي استندوا عليه هو هذا، لكان عليهم من

الواجب أن يقوموا على بلعرب بذلك، ويحتجوا عليه به، ويطلبوا منه ذلك، فإن أجابهم، وإلا خرجوا عنه بشيء يعذرون فيه. أما الخروج عليه بتلك الصفة التي يحكيها التأريخ عنهم. فخروج بغي لا يسوغ شرعاً.

ولعل سيف بن سلطان تاب من ذلك البغي، وقبلوا منه. ولكنهم لم يذكروا في آثارهم، ولا رأينا منهم من حكم ببغيه. والله أعلم بما هنالك ولعلهم اجتمعوا على شيء يحسن السكوت عليه. وهم المسؤولون أمام الله.

ولقد قامت لسيف بن سلطان عظمة هايلة، لا يزال التأريخ يردد ذكراها إلى آخر الدهر. وناهيك بدخوله أرض الهند، بستة وتسعين ألف حصان، ذكور الخيل دون إناثها. فمثل في نفسك هذا الأمر وصوره، لتتصور فيه العظمة التأريخية. وتتخيل فيه أمراً فوق القياس. فإن جيشاً كهذا عظيم ورب الكعبة.

فهل تجتمع في مملكة عربية كعُمان هذه الخيل، وكيف دخولها أرض الهند من عُمان، والبحر قاطع بينهما، إلا أن بواخر الاسطول العُماني، تحملها حتى تنزلها بسواحل الهند. فأعظم بجيش هكذا شأنه، وهذه أحواله. فإن عظمة الدولة بجيوشها ورجالها.

وحسبك الأشجار التي غرسها بعُمان، لينعم بها بنو الإنسان. والأنهار التي أجراها بعُمان، أصبحت قرى مهمة، ودياراً عامرة، تعبر عن الشرف اليعربي الذي لا يجارى.

وكان له من الإماء والعبيد عدد وافر، والأسطول الذي يمخر عباب الأبحر، براية عُمان البيضاء، حاملاً من أهل الدين والإيمان رجالاً، تحملها

تلك البوارج العظمى في تلك الأيام، من بحر الهند إلى خليج العرب إلى رأس الرجاء الصالح.

وتوفي سيف بن سلطان في شهر رمضان، سنة ١١٣٤، وإِذا ذاك بويع لولده.

إمامة سلطان بن سيف بن سلطان

بويع الإِمام سلطان بن سيف بن مالك بن أبي العرب إماماً على عُمان، فقام هذا الإِمام حق القيام، وحذا حذو أبيه.

وإذا أعظمت ذكر سيف بن سلطان قيد الأرض، فأعظم بذكر ولده الجليل سلطان، وعبر عن عظمته بما شئته، وصف جيوشه الفاتحة لممالك فارس، المتغلغلة في تلك النواحي، الطاحنة لتلك الإِمارات، الملتهمة لتلك الزعامات، قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء.

فوطيء سلطان آثار أبيه القولية والفعلية، وجعل نصب عينيه الفتوح في الخارج، لتوسيع نطاق الملك، وإِعلاء كلمة الحق وبث دعوة المسلمين في جميع الأقطار.

وبنى حصن الحزم من غنائم فارس، وخراج العجم، حين اصطلم تلك الممالك. والحصن المذكور، لا يبعد مسافة عن شقيقيه جبرين والشهبا قلعة نزوى. إِن هذا الحصن مثال للعظمة التاريخية. ولكل واحد من هؤلاء مقصد في بنائه.

وهذا الإمام هو الذي همَّ أن يجعل عُمان كجنتي مأرب. ومات في حصنه هذا، الذي بناه للعزة والمنعة. ودفن في نفس الحصن المذكور، في البرج الغربي النعشي، كما مات عمه في حصن جبرين، فدفن به، كما مر. وقد زرناه مرات. رحم الله تلك الأشخاص الطاهرة الرضية، التي لا هم لها في شيء من الدنيا إِلا نشر الحق، وإعلاء كلمته، ورفع مناره، رحمة واسعة.

هؤلاء الأئمة الخمسة، هم الذين أقاموا منار الحق، ورفعوا علم الناطقين بالضاد في الشرق، كما يقول صاحب حياة الشرق، في تلك المدة الوجيزة. ولما توفي الإِمام سلطان، بويع الإمام مهنا بن سلطان بن ماجد بن بلعرب.

إمامة الإمام مهنا بن سلطان

إن إمامة الإمام بن سلطان، كانت بمحل من الاحترام، وكان الإمام مهنا محبوباً في هذه العائلة اليعربية، وكان تزوجه بأخت الإمام سلطان، بنت الإمام سيف بن سلطان، أكبر دليل على جلالة مقامه عندهم.

وكانت آمالهم فيه جميلة وافرة، لأن يكون خلفاً لأولئك الأساطين الأجلاء، فكانت بيعتهم له بالإِمامة، بعد وفاة الإمام سلطان. وكانت خيرة العلماء الذين هم أعمدة هذا البناء المجيد، وقعت على المهنا هذا، ولكن أراد الرؤساء غير ما أراد العلماء، لينبت هنا بذر الشقاق، ويورق غصن الافتراق، ويتجلى ما كان مغروساً في أيام بلعرب بن سلطان. ولا أبرىء أهل الدهاء والمكر، الذين أخذت الإمامة على أيديهم، وغلت ألسنتهم، وسدت في وجوههم طرق الفساد، لأن الرؤساء لا يسألون إلا عن مصالح دنياهم، ولا يراعون إلا حظوظهم العاجلة. وإِذا أراد الله أمراً هيأ له أسباباً.

فبدأ هنا دور الانحطاط لهذه الدولة العظمى براً وبحراً، ووضع أول حجر لذلك. فشمخ الرؤساء على إمامة مهنا، وقالوا: لا نرى الإمام إلا سيف بن سلطان. أي ولد الإمام الراحل، وكان الولد صبياً، وقد لاحظ الرؤساء طاعة الإمام في السواد الأعظم لولد الإمام سلطان، وأن العلماء لا يوافقون على ذلك، وبهذا نكون قد أخذنا بالجناح الأكبر، وسنرغم به العلماء حتى نكون متولين الإمام باليد القوية. وأهل عُمان في ذلك الوقت في قمة المجد، وفي ذروة الشرف.

ولما علم العلماء لوائح الأمر من الرؤساء، أجابوهم أن القاعدة الشرعية في الإمامة الكبرى، بل والصغرى، لا تصح للصبي، لأن الصبي لا يصح أن يكون إِماماً في الصلاة، فضلاً عن الإمامة العظمى، التي تقضي في الدماء والفروج، وأحكام الولاية والبراءة والحدود والجمعاتِ. والتوليةُ والعزل، بمقتضى الأحكام الشرعية في أمور عديدة، لا تصح إِلا من الإمام.

وبذلك انفتح باب الخلاف، واتسع الخرق على الراقع. فإن الرؤساء قوة الإمامة، والعلماء روحها التي تعيش بها، وهل يعيش جسم بلا روح؟...

وكان قصد الرؤساء التملص من نير العلماء، والتلاعب بأمور الدولة. فإن الدولة إذا كانت في يد العلماء، كانت أمورها مستقيمة، وأعمالها قويمة، وأعلامها نزيهة، تولي وتعزل عن علم، وتحرب وتصلح، وتحل وتعقد، عن علم، وبذلك يكون الأساس قوياً، والبناءُ محكماً، والأمور يشد بعضها بعضاً.

وبهذا وقع الخلاف بين الزعماء، ودخل به الرؤساء على طغام الناس وغوغائهم، وأوهموهم أنه ينبغي أن يكون الإمام سيف بن سلطان، عملاً

بالخطة المتقدمة، وهي كون الولد إِماماً بعد أبيه بالوراثة، حين رأو تلك السلسلة التي سبقت في الأئمة المتقدمين، وما دروا أن ذلك لأجل المصلحة. فإن انقياد الناس لقريب الإمام والسلطان معهود، مغروس في الطباع مألوف بلا نزاع، فإذا وجد ذلك بشروطه كان ولى من غيره، لكون الناس أسرع انقياداً له، وامتثالاً لأمره.

والصلاح في الأصل مطلوب من كل أحد. وإِذا ظهر الصلاح في الأمة التي اعتاد الناس الخضوع لها، والطاعة لزعامتها، وكانت لها المكانة في الأمة، كانت توليتها أولى من غيرها. فإِن الأنشودة الصلاح، وهنا قام له معاضد بطبيعة الحال المعتاد في الأمة.

وقضية الإمامة قضية شرعية علمية، من عهد الصحابة رضوان الله عليهم إلى الآن. وأنت خبير أن الانتخاب للإمامة معروف في المذهب. والعلماء هم الذين ينتخبون الإمام، إِذا رأوا توفر الأسباب، وأشارت قرائن الأحوال إلى شخص اختاروه للإمامة، سواء كان من أباعد الناس، أو من أقاربهم، أو من أواسطهم، غنياً أو فقيراً، عملاً بقضية قوله تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» ويتبع باقي الأمراء العلماء.

وليس لهم أن يقولوا: لا نقبل هذا إذ قبله العلماء. بل تتعين عليهم طاعته ومنصارته، ويجب عليهم القيام معه على عدوه وقد استفرغنا صفات الإِمام، وما لذلك المقام، في كتابنا «إرشاد الأنام».

ولما كان الإِمام من حيث وصفنا، لم ير العلماء إمامة الصبي. ولم يوافق الرؤساء إلا على إمامة الصبي على طريق الوراثة. والعلماء ينصحونهم أن الإمامة لا تكون ميراثاً، وأن الله لا يرضى لدينه هذا الحال. والرؤساء

مصرون على ذلك، لأمر أراد الله وقوعه. فابتلي العلماء بالرؤساء، ودولة المسلمين في ذلك النشاط الذي مر عليك علمه، وأعداؤها يتحينون الانتقاض عليها، ويترقبون لها الفرص أن تمر فيغتمنونها.

وبذلك التخالف وقف سير ركب الإِمامة في الخارج، وانشقت عصا المسلمين. وهنا غلب السواد الأعظم، على الأقل المحق، من العلماء والفضلاء ومن تبعهم.

وضربت المدافع بإمامة الصبي سيف بن سلطان. ولا عقد ولا شرط. وهنا راح العلماء وهم مغلوبون على أمرهم، مقهورون على رأيهم. وحجة الإمامة العلماء كما عرفت. وتحفزت الفتنة، ونادى منادي اللهو ليلعب دوره الجديد.

وافترق الناس بين إمامتين، مهنا بن سلطان إمام العلماء، وسيف بن سلطان إمام الرؤساء. ثم جاء الثالث وهو يعرب ابن الإمام بلعرب بن سلطان، صاحب جبرين، بصفته قائماً بأمر سيف بن سلطان، مؤيداً لدعوته. وليته تبع خطة أبيه.

ولكن النفوس اخترمها الشيطان، فقلب حواسها، وبدل ما كان على منهج الشرع، بما هو على منهج الهوى. فلما كانت الإمامة شرعية، أصبحت رئاسة ملكية.

وسار يعرب المذكور إلى مسقط، وهي إذ ذاك عرش مهم لعُمان، وكانت لها الزعامة منذ استعمرها البرتغاليون، واصطلمها الأئمة اليعربيون، فشدوا من عضدها، وأيدوا حركتها.

ويتخلل دولة هذا الإمام، حصاره في قلعة الرستاق إلى أن قتل سنة ١١٢٣ وما إلى ذلك من الأحوال.

ثم نصب بعده الإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك، وهو الخارج على الإِمام المهنا باغياً، بدعوى النيابة عن الإمام الصغير، وهو سيف بن سلطان.

ومن هنا نشط دور الانحطاط لهذه الدولة العظيمة الشأن، الطايرة الصيت، البالغة من المجد أعلى الذرى. نعم حق على الله أن لا يرفع شيئاً إلا وضعه. فالفت نظرك إلى الممالك في الخارج التابعة لعُمان ما شأنها، وحال الإمامة في عقر دارها هذا.

وأقول: إِن سبب الانحطاط أولاً خروج سيف بن سلطان باغياً على أخيه الإمام بلعرب بن سلطان، المجمع على إمامته، ولم يقترف جرماً، ولم يفعل إلا المعروف، ولم يظهر منه إلا الصلاح. ثم نصبوا سيفاً بعد بلعرب، على ما كان منه من بغي على أخيه. وحكم القائمين معه مثله، إلا من قام تقية، وإن تحسنت الأحوال فيما بعد بحسن الحظ لسيف، فإن البذر الذي بذره في الخروج، لا بد وأن ينبت يوماً ما.

وقد صلحت الأحوال لسيف بن سلطان. وجاء ولده سلطان على ما ينبغي من الخصال الحميدة، والأعمال الرشيدة، ولم يذكر عنه أمر إلا حسن القيام بالأمر. فكان الصالح المصلح، الجاد المجتهد، الذي هم أن يجعل عُمان كجنتي مأرب، عمراناً وحسن عواطف ورعاية وإخلاصاً. والأمر لله من قبل، ومن بعد.

فعندي هذا أول حجر وضع للانحطاط. فإن هذه الأحوال وأمثالها، من

أسباب التضعضع لهذه الدولة الطاهرة النقية الصادقة المرضية الصافية السيرة والسريرة.

ولما مضى ليعرب بن بلعرب هذا حول كامل في بغيه على الإمام، تاب من ذلك كله، وانتبه من غفلته، وتراجع عن غطرسته، ورد الأمر إلى العلامة المقدم إذ ذاك، عدي بن سليمان الذهلي، القائم بأمر الإمام مهنا. هذا ما كان من أمر يعرب. والله أعلم بمقصده في توبته، وإليه ما تكنه الضمائر، وتخفيه السرائر.

وفي أيامه لم تزل الرؤساء تتلاعب بالأمر، وهذا الذي كان الرؤساء يحاولونــه، وما زالت الرئاسة تذهب بالأمر كل مذهب. متذرعين بإمامة سيف بن سلطان الصغير، بجعل الدولة ميراثاً، وأنه هو الأحق، وهو الوارث المستحق للإمامة.

فتحرك عند ذلك يعرب بن ناصر اليعربي، وهو خال الإمام الصغير، متعصباً لابن أخته المذكور، ودار في عُمان دورات هامة، ومشى في قلبها مشية غير صالحة، وحالف بني هناءة ليقوموا معه، وكان بنو هناءة في تأخر أيام تلك الدولة الواعية، حتى أحجر الإمام ناصر بن مرشد ﵁ على بني هناءة بناء حصونهم وقلاعهم، وأحجر عليهم حمل السلاح، وهو أكبر شيء عليهم. ومضى العهد ولم يجسر أحد من الأئمة بعده أن يبيحه لهم. ثم وعدهم يعرب بن ناصر أن يحل ذلك المنع من أصله، على أن يناصروه لتأييد ابن اخته.

وأوقع الحرب على حصن الرستاق، وأحاط به جنده، وأطبقوا عليه، وألقيت النيران على باب الحصن ليحترق، فيتسنى دخوله مهاجمة، فاحترق

على باب الحصن مائة وخمسون من بواسل الرجال، وأهل الإِقدام وقت النزال، بذلك الحريق، لأنهم لما أضرموا النار على الباب ورأوها تمكنت فيه، تصارخوا عليه على عادة العُمانيين في حروبهم. واحترقت أيضاً كتب مهمة. وظهر بذلك الحريق مال مخزون في الجدران.

ثم ذهب بعد ذلـك إلى مسقط واحتلها، وأخرج منها واليها، وهو حمير بن سليمان الريامي، من أهل حادة الرحى من ازكي، في حوادث هناك مهمة، لم يزل يطن على الأسماع دويُّها، من جهة علي بن محمد العنبوري الهنائي، ومن جهة قتل الشيخ العلامة عدي بن سليمان الذهلي، والشيخ سليمان بن خلف، مصلوبين بالرستاق، وسحبا بعد قتلهما على وجوهما في ضواحي الرستاق، يوم الحج الأكبر.

وهل مثل هذا وقع بعُمان؟... إِنه لشنيع بين المسلمين، حيث يدار بجثة القاضي كما تسحب جيفة الكلب، وصاحبه سليمان بن خلف. ثم خروج الإِمام بلعرب من قلعة نزوى، مصالحة للغايرين عليه في حقن دمه، حين استشعر العجز عن الدفاع، طلباً لسلامة النفس. ثم ذهب إلى جبرين والإمامة لسيف بن سلطان. وكان العنبوري هو القائد الأعظم في هذه الحوادث السوداء. وتلك رغبة الرؤساء أن يكون الإِمام اسماً، وهم المعنى.

واستقام الأمر ليعرب بن ناصر المذكور، مدة غير طويلة. ثم قام يهدد القبائل، وشد على بني غافر شدة الجبار. وكان رئيس بني غافر ذلك الصنديد العظيم، الذي ابتلى الله به أهل عُمان، وبخلف بن مبارك العنبوري، على أثر تغييرهم وجعلهم الإمامة ملكاً عضوضاً، حتى فتق هذان الزعيمان في عُمان فتقاً لا يلتئم إلى يوم القيامة. والله سائل الكل عما صنعوا. والشهوات النفسانية تدعو إلى المهالك. والعياذ بالله.

فإن يعرب بن ناصر، قد آن له أن يذوق وبال الأمر الذي تعصب له بالباطل، رافضاً لسيرة السلف الصالح، تابعاً لهواه، فإنه لما هدد محمد بن ناصر، وكان الرجل عظيم النفس، بعيد الهمة، وحيد العزم، خرج إلى قبائل البدو، وأهل الضغائن على يعرب بن ناصر، ومن دخل في أمره، حتى أدرك المراد، وجند الأجناد.

وفي هذا العهد شبت نيران الفتنة بين المسلمين، وأطلقت أبواق التعصب، ونادى منادي الزعماء وأهل العصبية، واستفحل الخطب، وتخاوضت السرايا في عُمان، وتواترت الزحوف بين أهل عُمان، وتشاغلوا عن إفريقيا والهند وفارس، وبلاد العرب الداخلة تحت سلطان أئمة آل يعرب، أولئك الأئمة الخمسة العظماء، الذين أسسوا ذلك الملك الضخم، المترامي الأطراف، وهبت تنتقص من أطرافها، وانصدع ركن الزعامة العُمانية. واستقل أولئك الولاة في الممالك الأخرى بما في أيديهم من الممالك، وعضوّا عليه بالنواجذ، وظلوا يكافحون عليه، بدعوى أنها ملكهم، وأنهم الفاتحون لها، ويستندون على هيبة الدولة وأئمتها في عُمان، ويتقلدون القوة التي توجهوا بها.

وظلت المعارك بينهم وبين أمراء تلك الممالك. وتشاغل العُمانيون بعُمانهم. وما برحوا يتزاحفون على نزوى وبهلى والرستاق وسمايل وغيرها، طراداً ونزاعاً، وشقاقاً وخداعاً، وتهارشاً وابتداعاً واقتتالاً، في حروب لا تزال ولا تبرح.

خاضها من أعيانهم محمد بن ناصر الغافري، وخلف بن مبارك العنبوري الهنائي، ويعرب بن ناصر اليعربي، ومحمد بن سليمان بن زياد،

ومالك بن ناصر، وجاعد بن مرشد اليعربي، ورحمة بن مطر بن رحمة الهولي. حتى قتل في هذه الفتن، علي بن محمد العنبوري بالرستاق. ومات يعرب بن ناصر بنزوى.

ولا تسأل عما أصاب أهل عُمان من بعضهم بعضاً، ولا عن أناس ماتوا في السيوح والجبال عطشاً وجوعاً، ولا عمن حمل فبيع بيع الحيوان في الأسواق، لا يعرف أمه ولا أباه، ولا أخته ولا أخاه، من الرجال والنساء والولدان، في سائر البلدان. حتى رسخت بذلك العصبية العمياء، وتمكنت العداوة الدهياء، وملأ الحقد القلوب ناراً حمراء، وعظم الخطب بين أهل عُمان، حتى صاروا فئتين متعاديتين، وفرقتين متخاصمتين، وأمتين متخالفتين، وكيف لا وهذا مقتول أبوه، وذاك أخوه، وآخر حملت كريمته، وثاني ينهب ماله، وثالث أهلك عياله، وهكذا.

فبذلك تغلغل البعض في أعماق القلوب، ورسخت العداوة في النفوس، واستمر الحال على ذلك منذ ذلك العهد، فانغرس شجر العداوة، وأورق وأثمر، فرعته قلوب تزداد به حنقاً وبغضاً.

واستمر ذلك إلى ماشاء الله. اختلاف ولا كاختلاف اليهود والنصارى. حتى شاع إلى الخارج عن عُمان، لاتصال عُمان وأهلها بالخارج، لأن الممالك المجاورة لعُمان، عمتها الفتن المشار إليها. ذلك لأن ما حول عُمان، بل وما يتبع عُمان من سائر البلدان، فيها ولاة عُمانيون، وقضاة عُمانيون، وجنود موظفون وعساكر وجيوش من عُمان، وكل منهم يتصل بنسبه ببعض أهل عُمان، ولكل ميل إلى آخرين، والشيطان يحمي الوطيس، وأعداء الحق يدسون عليه، وأهل الباطل يدعون إليه، والناؤون تأتيهم أخبار

هذه الرزايا الشنعاء، ولا بد أن يصوب للفريق الذي يميل إليه، ومن خف معه، ويضلل الفريق الآخر ويتبرأ منه.

وهكذا فشت بذلك عداوات عظيمة، واتقدت نيران حامية، أكلت من أهل عُمان اللين والخشن، وأذابت الصخر والحديد، وقضت على المجد والشرف، ودعت إلى التناحر والتعادي، فمزقت الدين والدنيا، واندحر على ملك عُمان ذلك الملك المترامي الأطراف بركان من الأهواء والعداوات، وفاضت أمواج من سعير الفتن، أشعلها محمد بن ناصر، وأصلاها خلف بن مبارك، بعدما أوقدها أولئك الزعماء اليعربيون، الذين يحسبون أن الدنيا لهم، وأن ملكها بأيديهم. وأنهم يفعلون ما يشاؤون.

وأنت خبير أن لكل واحد منهم أتباعاً وأنصاراً. وإذا انشقت العصا بالفتنة، وقام التهارش بين المسلمين، وسفكت الدماء، تأصل الداء واستعصى على الأطباء علاجه. ولم يزل ينفجر ويعظم، ويظل الفرقان كل يبرره أنصاره وتابعوه، ويضللون سواه، ويرون أن المظلوم، وسواه الظالم لحقوقه، الهاضم لشرفه، والآخر كذلك.

وهكذا الأُمم عند اختلاف أهوائها. وذلك أمر معقول بديهة، من عهد بعيد. وحسبك بفتن الصحابة في عثمان وعلي، وأهل النهروان وغيرهم وإذا أراد الله أمراً هيأ له أسباباً اقتضتها حكمته عز وجل. والأمر كله إلى الله.

وبذلك افترق أهل عُمان الافتراق الثالث، كما مر عليك. وعلى ذلك تزاحف جموع أهل عُمان عصبة للرجلين، ويكون بأسهم بينهم، كما شاء الفعال لما يريد، ولتتجلى الضغائن الكامنة في الصدور، بارزة ظاهرة واضحة ملأ الأعين. وتواقعوا في بركا، وانهزم الهنائي ومن معه، وهذه أول هزيمة وقعت بينهما.

ثم تألبت على محمد بن ناصر قبائل عديدة، حمية لخلف بن مبارك، وأظهروا خلافهم ومناوأتهم لمحمد بن ناصر، وتجمعوا على شريعة فلج المحيدث من البطحا، بأطراف ينقل، ولم تزل المناوشات مستمرة، والحوادث والفتن متكررة، وتوالت الغارات والغزوات، وعظمت ضوضاء الفتنة، وكثرت الوقوعات فيها، منها وقعة ينقل المشار إليها قريباً. ومشى أهل عُمان مع هذين الرجلين مشي سوء وضلال، مزقوا به دينهم، ودمروا به معالم دنياهم.

وأخيراً آل الأمر بعد الحروب المتكررة ليلاً ونهاراً، أن بايعوا محمد بن ناصر إماماً، وذلك ثمرة الخلاف والشقاق، وثمرة انتصاراته التي أحرزها في الحروب، التي دارت بينه وخلف بن مبارك. والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي، ولأم المخطئ الهبل.

فقد تعارك أهل عُمان أكثر من أربعين معركة، تحت رايات هذين الرجلين. واستمرت الفتنة، وتأصلت العداوات. فكانوا في دعاياتهم واستصراخهم لبعضهم بعضاً، وسؤالهم هنائي أم غافري، فكان من تبع خلف بن مبارك، مبغوضاً عند محمد بن ناصر وأتباعه تمام البغض، ولا بغض اليهود والنصارى، وكذا العكس، حتى كان أهل عُمان لا يتساءلون إلا عن هنائي وغافري. وتمشت هذه الأحقاد في الأعقاب، تمشياً فاسداً إلى آخر الدهر.

وكان من قدر الله عز وجل، أن جعل النصر في تلك الحروب والثورات والغارات لمحمد بن ناصر، حتى يتم الأمر، ويعظم سلطانه فيهم. فبايعوه بالإِمامة لسبع ليال خلت من المحرم سنة ١١٣٠.

ومن يستقرىء تاريخ محمد بن ناصر هذا يرى عجباً، من بسالة الرجل وصرامته، وقوة نفسه وشهامته. فقضى الله على الرجلين بصحار، في ساعة واحدة. وكان محمد بن ناصر لبث في الإمامة قدر عشر سنين، حارباً محروباً، وطالباً مطلوباً، في قلب عُمان.

وإذا تعجب الإنسان من قوة قلب خلف بن المبارك وعزيمته، والعجب أيضاً من أعوانه وأهل طاعته، فإن الغالب على الناس إذا انهزموا مرتين أو ثلاثاً، يغلب عليهم اليأس، ويهجم عليهم الوهم، ويؤثر فيهم باعث الانهزام، فيفت العضد بالنكوص، ولكن هؤلاء بخلاف ذلك. وما ذلك إلا لقوة باعث العداوة، وقوة التعصب، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وقد دخل محمد بن ناصر على الدولة باسم الإمامة. والذي يظهر من حال خلف بن مبارك، أنه كان مغموراً بحب الإمارة، متهالكاً عليها. واسم الوصاية لمحمد بن ناصر باعث قوي مع النصر الذي أحرزه، فإنه كلما تولى خلف بن مبارك بلداً، جاءه محمد فأخرجه منه، سواء أكان إخراجه بحرب أو سلم، ولكنه لا ينثني أن يخرج من مكان آخر.

فكان محمد بن ناصر الوالد الشفيق لسيف بن سلطان، الذي قام بإمامته، وحارب من أجلها. ففنيت القوات والذخائر والمعدات للطوارئ، ووهنت شوكة المسلمين، وخفت صوت العدل، وتلاشى السلطان، وانغرست في القلوب الضغائن النهائية والغافرية، حتى عادت عُمان تسحب ذيل الوهن، وتجر رداء الفقر والضعف، وتتأخر يوماً فيوماً، وتمشي القهقهرى كذلك. وأنى للممالك في الخارج من إمام عُمان، الذي كانت تخشاه وتخافه.

إمامة سيف بن سلطان الصغير

إمام الرؤساء

ولما كان محمد بن ناصر في حروبه بزعمه لسيف بن سلطان، وهو الإمام الصغير كالمنتظر عند الشيعة، ومن أجلها شنها شعواء باسم إمامته، ولم يزل تحت رايته ليتلقى دروس الحرب العُمانية، ويتعلم خططها، ولم يبرح معه في مشاهده، وجميع وقائعه ومهاجماته، ضاماً له تحت جناحه، حتى لا يدخل عليه داخل من قبله، فإن طغام الناس تبع له، والعامة تمشي تحت الشبهة، وأهل المطامع تحت ضوء الدرهم والدينار.

وكانت البيعة لسيف بن سلطان يوم الجمعة، في العقد الأول من شعبان سنة ١١٤٥. وظاهرا لحال أن سيف بن سلطان، إلى هذا الحال لم يظهر منه ما يعاب به أبداً، فإن احواله إلى هذا الوقت مستورة.

وبقي في الإِمامة خمس سنين، تخللتها أحوال أوجبت عزله، فعزله المسلمون، وبايعوا بلعرب بن حمير بن سلطان.

إمامة الإمام بلعرب بن حمير

ابن سلطان بن سيف

بويع الإِمام بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف بن مالك سنة ١١٤٥ في نزوى. وكان هذا الإِمام ابن عم سيف بن سلطان المعزول، فاستولى على نزوى، وعلى جانب من عُمان.

وتخللت أيامه أيضاً حروب عُمانية، تكفل التاريخ بحفظها لطالبها،

حتى استنجد سيف بن سلطان المعزول بالعجم، أي سار إلى فارس وجاء بنجدة من الدولة الفارسية، وكانت لهم في عُمان مطامع، ولهم فيها مآرب ونوايا أخرى، كما يرومون فيها ثأراً لا يزال مسجلاً عندهم، حتى أيقظهم منادي الدهر، واستصرخهم الشيطان، فجاؤوا أنصاراً لسيف بن سلطان. وليت سيفاً لم يفعل، وثبت على ما كان عليه، ولم يتبرم من العزل، وبقي على سيرة آبائه، تبعاً لآبائه الفضلاء، وأجداده النبلاء، ولكن لا بد من القضاء والقدر.

وانظر بعقلك في هذه الأحوال التي تتناقص مواردها ومصادرها بأسرع وقت، كانت عُمان بالأمس تسيطر على فارس وما حولها، وها هي اليوم ترد الكرة على عُمان، بواسطة سيف بن سلطان. كانت عُمان وفارس عداوتها الكبرى، وشرها الأخطر، وما زالت تخشاها وتتوقع شرها، هنا أظلم أفق الممالك العُمانية في الخارج، حين اشتعل بأس عُمان في قلب عُمان، ووقع الاضطراب على الأبواب، إنا لله وإنا إليه راجعون، تزلزلت أركان الممالك العُمانية في الخارج، حين اهتز حجر أساسها في عُمان، ونزل العجم الذين جاء بهم سيف بن سلطان خور فكان من شمال عُمان، وضربوا معسكرهم بها، وذلك في سنة ١١٤٩، وبقوا بها متمركزين، وعليهم غيم هيبة من عُمان، نشرته في الأفق الرياح اليعربية العُمانية، حتى إذا رأوا هدوء الحال، وسكنت دهشة الداخل، ففي المحرم من سنة ١١٥٠، بعدما استقرت بهم الحال، وتوطدت الأقدام، ولبَّاهم من لبّاهم من أهل عُمان، من أنصار سيف بن سلطان، وما من سلطان إلا وله أتباع وأنصار، كان على الحق أو على الباطل، ومن يميل إلى الهوى من الناس، أكثر ممن يميل إلى الحق، وإذ ذاك

زحف الإمام بلعرب بن سلطان، ومن معه من أهل عُمان، والإمام المعزول سيف بن سلطان وعجمه، وانهزم أهل عُمان والإمام بلعرب بن حمير.

والحقيقة أن أهل عُمان يقاتلون أهل عُمان ومعهم العجم، ولكن أهل عُمان هم أجرأ على قومهم. ولا بد للانهزام من أسباب يذكرها التاريخ، ومشى الإمام المعزول بعجمه، ينقض الأساس العُماني من أصله وتبع المنهزمين في أثرهم قتلاً وأسراً فتغلغل في عُمان إلى أن وصل مسقط. واستزاد من العجم جنوداً أخرى، ودخل بها عُمان ليتشفَّى ممن لم يرضه، وممن خالفه، وحارب من أجل الإمام المنصوب بعده.

ولما تمكن لا تسأل عما فعل هو وعجمه بعُمان، وما أذاقه أهلها من الوبال والهوان. إلى أن انخلع بلعرب من إمامته، وتغلب سيف بن سلطان.

وشأن المنهزم التأخر، وعادة المنتصر التقدم في صرامة. فإن انهزام الإمام مرة واحدة، أثر في أتباعه تأخراً عظيماً، استشعر منه العجز، هو وقومه.

واستمر سيف بن سلطان متغلباً على عُمان عهداً مشحوناً بالرزايا، حتى أجمع أهل عُمان بعد مرارة الهوان، وما أذاقهم إياه سيف بن سلطان، من إلباسهم أردية الجور والعدوان، وما نالهم من العجم أجناد سيف بن سلطان، على الجلاء من عُمان.

ولم يكف تغلبه على الأمر، وجعله إليه، دفعاً لشره وشر جنوده، وإبقاءً للناس من رحمة الشر المحدق بهم، والبلاء المسوق عليهم، من قوم لا يردها دين، ولا تراعي عهداً ولا مروءة. طغام غوغاء، ولئام سفهاء، ليسوا بعرب يهتدون إلى واجبهم.

وبذلك عظمت المحنة على أهل عُمان، ورأوا بأن بلعرب خذله الناس، وذهبت قوته، وانحل بناء زعامته. وسيف بن سلطان أيضاً جربوه، ورأوا منه ما يسوءهم، وبذلك عزلوه، فإذا عادوا إليه والحال ذلك، فقد اقترفوا من كبائر الذنوب ما لا يقف عند حد.

وهم يعلمون أن لا بد لهم من إمام، يلم شعثهم، ويجمع شملهم، ويقوم بأمر دينهم ودنياهم، وأن يكونوا في محل بعيد من صفات الرجلين، اللذين هما تحت نير الشقاق، سيف بن سلطان، وبلعرب بن حمير.

وهنا وقع نظر فريق منهم حسب اجتهادهم إلى سلطان بن مرشد اليعربي، من هذه الشجرة الوارفة الظل، العظيمة الساق، الكريمة المنبت، العزيزة المكان، شجرة آل يعرب وهذا آخر أئمة آل يعرب.

ولما قام هذا الرجل بالأمر، قام التبادل العربي في عُمان كعادته، واشتد الخطب مع طلب الرئاسة والزعامة من آل يعرب. وجاء فريق آخر من أهل عُمان، راجعين الإِمامة لبلعرب بن حمير مرة أخرى، فقبض على قلب عُمان. وأخذ سلطان بن مرشد جانباً من نحو الرستاق، وما تبعها من البلاد، تلاعباً يعجب الناس منه، وهو في الحقيقة عندي نوع من الجنون الفكري، من غير شك.

هذه هي آخر أيام اليعاربة، الذين ملأت أسماؤهم الدنيا، وطن صوت شرفهم في آذان العالم، وملأ مسامع الكون، وضج به الأفق العربي.

يا للأسف على تلك النهضة التي نهضتها تلك الدولة في العالم المشرقي، لم يطل عهدها، فكانت كأيام الصحابة قصيرة العهد، بعيدة الفتوح، كثيرة المغازي، شهيرة المعارك، عظيمة الشأن. مضت في قرن

ونصف، وهي على رأس الرجاء الصالح. نوردها للقارئ أعجوبة الدهر، وأحدوثة الذكر، وعبرة العاقل. والأمر لله يجعله حيث يشاء.

ولما صار أمر اليعاربة إلى هذا الحد، أذن الله بزوال الأمر من أيديهم، إلى هذا الحي من آل بو سعيد، ملوك العصر، والله يؤتي ملكه من يشاء.

ولا يعزب عن بالك أن هذه الأحوال، هي التي نقلت الملك من آل يعرب الغر الميامين، إلى الملوك البوسعيديين. إنها أسباب فعالة، وقضايا مهمة، ملأت القلوب ضغناً، والأفكار حقداً، والنفوس نفوراً.

وتلاعب العجم في الميادين العُمانية، في حماس وصرامة وشدة، تقضي على الأرواح. ولا أرواح الأغنام، وتنتهب الأموال، لا تبالي بحلال أو حرام. أسالت الدماء في قلب عُمان، تحت غرض التشفي. ولمَ لا، وهذا داء دفين بينها وعُمان، من العهد الجاهلي.

ولما تمكنوا أخذوا يدقون عُمان دق العصف، ويذرونها ذرو التبن في الريح، حتى ذبحوا أهل عُمان في كل ضحوة، ودمروا الأنهار، وهدموا المباني، وغيروا الأوضاع في عُمان، إلى أن أصبحت عُمان ولا تنفعهم، فضلاً عن أن تكون مصدراً لآمالهم في المقبل.

الدولة السادسة
دولة آل بوسعيد ملوك العصر

اعلم أن دولة آل بو سعيد في عُمان، هي الدولة الحالية، التي ورثت الدولة اليعربية، وحلت محلها، بعزم همامها المقدام، وإمامها الضرغام، وفيصلها المجيد، أحمد بن سعيد بن عبد الله بن محمد بن خلف بن أبي سعيد.

كان أحمد بن سعيد كما أنه متسلسل من بيوتات الشرف، ومنحدر من سلالات المجد، إذ هو من عنصر الماء الأزدي في عُمان، الذي جعله الله الخلف الصالح، الذي يخلف الدولة اليعربية، ويتلقى تراثها الباقي بعد الحروب العُمانية التي أشرنا إليها. وأول هذه الدولة هو هذا الهمام المذكور. كان أحمد بن سعيد رجلاً عاقلاً فطناً، يرى بعيني عقله انهيار الدولة اليعربية، وتقلص ظلها الوارف.

وكان في بدء الأمر والياً على صحار، ولكني لم أقف على حقيقة من ولاه من أئمة آل يعرب. والظاهر أن الذي ولاه هو سيف بن سلطان أيام إمامته، ولكنه لما رأى اضطراب حبل اليعاربة، وتلاشي أمرهم وانحلال دولتهم، وكان والي صحار بحكم موقع ولايته، وعادة تلك المنطقة بأن واليها يعد زعيماً بمنزلة حاكم مستقل، إذ يحكم على ما تحيط به حدود صحم تغريباً إلى أقصى البلاد الشمالية، وهذا يعد ثلث الباطنة والباطنة تعد قريباً من ثلث عُمان، فلذلك كان أحمد بن سعيد أيام اضطراب أمور اليعاربة، قبض على هذا القسم من الباطنة بيد من حديد، ولذلك زحف العجم على حصن صحار وضربوه بالمدافع، ولكن لم تغن شيئاً.

وكان أحمد بن سعيد ذا همة علية في طلب الملك، وله نشاط سامٍ في بناء دولة جديدة، تقوم على اسمه، وتنبعث بعزيمته في تحرير البلاد من ذلك الفساد.

وكان قلبه يغلي حنقاً على أفعال العجم بعُمان، وهو من أبناء عُمان وممن أظله الشيح والقيصوم في عُمان، والدم العربي الحر يجري على خيوط قلبه، والإِباءة العربية متغلغلة في نفسه، والإرادة المتحمسة على جرائم العجم، وأميرهم سيف بن سلطان.

وكان يتلظى على ما حل بعُمان سعيراً، ويتوقد جمرة حمراء، حين يرى أبناء عُمان تسوقهم عجم فارس سبايا، وتقودهم لما تهواه أسارى ورعايا، وتتحكم على كرائمهم أيادي أعجام فارس وغوغائها. وما نال أهل عُمان من الذل والهوان. ولكنه ماذا يفعل وأمر عُمان إلى السادة من آل يعرب، وهم المطاعون في عُمان، تخضع لهم رؤساؤها، وتدين لهم زعماؤها، عملاً بالحال الذي كانوا عليه، والشرف الذي نشأوا فيه.

وطبعاً تدين الأمة لخادم أهل السلطنة، فضلاً عن زعيم من زعمائها أو كبير من كبرائها. وذلك شأن الدول إذا طال عليها العهد، واستمر لها الخضوع، لم تأنف الأمة من الانقياد لها، والخضوع لشرفها، والاتباع لسلطانها، والانقياد لأمرائها، دون سواهم.

ولكن كان أحمد بن سعيد يرى بعيني عقله انحلال دولة آل يعرب، وانهيار صروحها. ورأى ما تغلغل في قلوب العُمانيين من بغضها، المتجسم من حرب محمد بن ناصر الغافري، باسم سيف بن سلطان، وسيف المذكور معه، ومشايخ آل يعرب ينظرون إليه. وحروب خلف بن مبارك بالقصيِّر. وما ذاق أهل عُمان من جرّاء ذلك. وما تلاعب فيه آل يعرب بعُمان.

وزاد الطين بلة أفعال العجم - التي أوغرت الصدور، وأحرجت النفوس - في عُمان، باسم سيف بن سلطان. والعجم يقولون: هذه فرصة يجب أن ننتقم بها من أهل عُمان. وكانت أعمالهم باسم سيف بن سلطان. إذ جاؤوا أنصاراً للمذكور، وما يفعلونه يعده أهل عُمان عليه فإنه القائد لهم، والمستنصر بهم، والداخل على الدولة العُمانية بزعامتهم.

فلم يبق في القلوب أي رأفة أو محبة لآل يعرب. وود أهل عُمان لو كان

لهم منقذ من تلك الأحوال. وأضف إلى ذلك أن العجم أحاطوا بحصن صحار كما قدمنا، وضربوه بالمدافع، وحصروه حصاراً شديداً، لكنه لم يغن شيئاً.

وبذلك رسخ الحقد في قلب الهمام أحمد بن سعيد، ولم يزل الغيظ في قلبه يتقد اتقاداً، ويغلي كغلي المراجل، ويتمنى أن لو تسنت له فرصة أن يرمي فيها العجم بغصّة تبرد من غلة قلبه، وقلوب قومه.

ومن حيث إن أحمد بن سعيد ذلك الرجل العاقل المحنك، رأى ما رأى من أحوال عُمان، وتقلبات أمور أهلها. وعلم بزوال دولة آل يعرب.

والعاقل من يرى الامور قبل وقوعها، ويستنتج النتائج من مقدماتها، فتتجلى في ألمعيته واضحة مكشوفة، فيعلم منها ما تحدثه الأيام بأهلها.

وكان وقوفه بصحار - تلك الناحية النائية - إذ ذاك يمثل سلطاناً عُمانياً، وأميراً عربياً. وقد قلنا: كان في صحار بمثابة سلطان. لأن الشميلية كلها تتبع صحار. بل من حدود أعمال صحم في الشرق، إلى الحدود الغربية إذ ذاك، كلها تتبع الشرَف الصحاري. ولذلك لم تزعزع العجم من صخرة أحمد بن سعيد شيئاً.

وبذلك قام له في الباطنة شأن، وعظمت منزلته، والتفت القلوب إليه، وعولت في مهامتها عليه، وخصوصاً في تلك الأزمات التي ملأت عُمان ضجيجاً وعجيجاً.

فكانت الباطنة التي عرفتها مما قلناه عنها، تقدس أحمد بن سعيد، وتنظر إليه بعيون الإكبار. وبذلك استطاع أحمد بن سعيد أن يبني دولته الجديدة، ويحييها زعامة رشيدة. ولا يخفى عليك إذا أراد الله أمراً هيأ له أسباباً، وأعان عليه.

وظل حصار صحار يدوي في قلب أحمد بن سعيد، ويثير عَوَاطِفه الحرة، كلما خطر بقلبه حديثه. ولكن لم يتزعزع أحمد بن سعيد كما تزعزع غيره، ولا انساق لرغبة العجم وسيف بن سلطان، كبقية زعماء عُمان، فبنى ذلك من دولة أحمد بن سعيد أقوى البناء.

وماذا فعل أحمد بن سعيد، الإمام الجديد، والسلطان الرشيد، في الانتصاف لأهل عُمان من عدوهم؟... لقد رمى أحمد بن سعيد رمية فرق بها العديد، ومزق بها الجمع، وشتت بها الشمل، وقضى بها على العدو القضاء المبرم، الذي لم يبق من قوته شيئاً. وإلى ما قلناه يشير شاعر الدولة البوسعيدية، حيث يقول:

طوقت بالجيوش حصن صحار ... تحت نار المدافع الرعناء
وقف الشهم أحمد بن سعيد ... وقفة الليث مفعماً بالإباء
لم تزده الحروب إلا وقاراً ... فهو كالطود في عيون الرائي
قابل الخطب بالثبات وأبلى ... في قتال الأعداء أي بلاء
قدرته عُمان تقدير حق ... وكذاك التقدير للأمناء

ولقد أشرنا إلى هذه الأحوال في تاريخنا «العقد الجديد».

وكان انتقال الدولة إلى أحمد بن سعيد سنة ١١٥٦. وتلقى أحمد بن سعيد دولة عُمان من السادة آل يعرب بصدر رحيب، وجأش ثابت، وعزم باهر، وحزم ظاهر، وهمة تخر لها عزائم العظماء.

وفي هذه الظروف من الأحوال ما يبهر عباقرة الرجال، وتخر لهيبته شم الجبال. فإن رايات العجم باقية ترف في سماء مسقط، وجنود سيف بن سلطان منتشرة في نواحي عُمان، ومحاولات السادة من آل يعرب باقية، وإمارات عُمان متلاشية، والزعماء في عُمان كلٌ عاضٌ بنواجذه على قسم منها.

واستقل الولاة أيضاً بما في أيديهم. وتلقبوا بألقاب الأمراء، وتسموا بأسماء السلاطين والملوك، في أفريقيا، وفي بلاد العرب والخليج العربي، وما جاور عُمان وتعلق بها.

ولكن الرجل الشهم يحتمل الأمور على كاهل الشهامة، ويتحين لكل أمر وقته، ويراعي كل غرض في ظروفه. وإذا مشيت بصحيح النظر في استقراء أحوال أحمد بن سعيد، وأعماله في تلك الأزمات، أراك التاريخ ما تقضي به العجب، ويدهشك الأمر، من قهره العجم في بركا، وندائه بقتلهم، واستئصال شأفة فسادهم، وخضد شوكتهم، وحسم جراثيم مقاصدهم، واستيلائه على مسقط بكتاب لماجد بن سلطان اليعربي، وتقييده إياه في حصن صحار.

هذه الاحوال كلها مهمة. وقد علم أحمد بن سعيد من هو ماجد بن سلطان، وممن هو. ولكن النفور المتغلغل في أعماق قلوب أهل عُمان، وألزمهم الطفرة عنهم، والنفرة والتباعد عن المذكورين. وطبعاً إن الدنيا لمن غلب.

وأما داخلية عُمان ففي يد الإمام، بلعرب بن حمير بن سلطان، المعتزل عن الإمامة سابقاً، عهد سيف بن سلطان. فرجع إليه فريق من أهل عُمان،

فطلبوا منه عودة للإمامة فوافقهم. وحكم بتفريق أموال سيف بن سلطان، انتقاماً منه، وحسماً لشوكة فساده، واستناداً في الحكم على ما اقترفه العجم بعُمان، وما فعله هو أيضاً.

ونظراً إلى الضمانات التي تحيط بأمواله، فإن الضمانات التي جنتها العجم بعُمان، والأحداث التي أوقعوها في الأموال والذراري، والجنايات التي اقترفوها -سيف بن سلطان وعجمه- كلها تتعلق بذمة سيف المذكور. وحكم بأن سبيل أموال سيف بن سلطان المذكور، سبيل أموال بني نبهان.

ثم قام حبيب بن سالم، على الإمام بلعرب بن حمير، وعد عليه أحداثاً، وذكر عنه مظالم متنوعة، أنكرها عليه هو ومن معه. ونَسُوا بليّة أهل عُمان، بسيف بن سلطان والعجم. ولم يتركوا الحركات تهدأ، والحوادث تسكن، والقلوب تطمئن، حتى يروا الخيرة للمسلمين، ويجتمعوا على الأمر الجامع.

وقد انخلع بلعرب هذا أول مرة كما علمت. وعادوا عليه ونصبوه مرة أخرى. ثم لم تطل الأيام، وإذا هم يعدون عليه الأحداث. سبحان من لا تبدو له البدوات. ما أعجل هؤلاء الناس في الحق، وما أشدهم فيه، وما أسرعهم إلى الإنكار، وما أبعدهم من السياسة. استغفر الله، لقد ابتلوا بالأمور، فَلِمَ نلوم نحن الآن، لعل له عذراً وأنت تلومه.

وقتل بلعرب هذا في وقعه فرق، سنة ١١٦٧ التي وقعت بينه وأحمد بن سعيد، ودخل أحمد نزوى.

ذلك لأنه لما استتب الأمر له في الباطنة، وتجمعت إليه قبائلها، ووقع ما وقع له من الظفر، بقبض ماجد بن سلطان اليعربي، الذي جاء بكتاب الشاه

ليتولى ملك عُمان من يد العجم، أنصار سيف بن سلطان. وفعلاً تولى أحمد بن سعيد ذلك الملك، بنفس ذلك الكتاب المشار إليه. وقبض على زمام مسقط، ودق العجم في بركا دقة لم تبق للعجم باقية.

كل ذلك وأمثاله، شد من ساعد أحمد بن سعيد، وقوّى نفوذه، وألبسه الهيبة والسلطان، على من خالفه في عُمان.

وتلك أمور جلائل، تولاها أحمد بن سعيد في تلك الظروف، وقابلها في تلك الأوقات الحرجة. ولكن الأقدار تساعد على المقدور. والدنيا لمن غلب. والناس أتباع المنتصر مهما كان.

ونفرة الناس من أحوال اليعاربة، من يعرب بن بلعرب، إلى يعرب بن ناصر، إلى سيف بن سلطان، إلى ماجد بن سلطان، كلها أمور أثارت في عُمان الضغائن والأحقاد. وعقدت الإمامة لأحمد بن سعيد، في هذه السنة التي دخل فيها نزوى، وهي سنة ١١٦٧.

وكانت سياسته حسنة، وأعماله وافية. فتسنم عرش الملك فحلاً مقداماً، وقعد على أريكة الإمامة هماماً مهماماً، وساد البلاد، وقهر أطرافها بعزمه القوي، وأراح العباد من الظلم والفساد، وصان الممالك، ورد المياه في مجاريها. ولكن لم تسعفه الظروف للاستيلاء على مستعمرات الإمامة في الخارج. فإنه رام أن يثبت الدعائم المتزعزعة، ويوطد الأركان بأطواد راسية، ويركز الملك بأعمال عالية، وبعد ذلك يتوجه لاسترجاع ما ضاع. ولكن كان خوفه كله من العجم، الذين رأى وسمع من أفعالهم المريرة، وتلطّخ بدمائهم الخبيثة، وجرت الدماء بينه وإياهم.

وهم في الحقيقة جيران عُمان، وأقرب الأمم إليها. وقد قاتلهم في صحار وقاتلوه. وقضى عليهم في بركا، بعدما استل الملك من أيديهم بكتاب الشاه، وفعل بهم ذلك الفعل الشنيع. ولم يزل يرقب حركتهم عليه، لعلمه بأنهم أمة من أشد الأمم على أهل عُمان، منذ العهد الجاهلي. ولذلك هو يحسب لهم الحساب الطويل العريض، اهتماماً بهم. وقد رأى بعينه منهم، وسمع بأذنه عنهم، مما مر عليك إجمالاً.

حتى جاءت تركيا تؤم البصرة لفتحها، فرآها فرصة سانحة في صالحه. فاستنجدت هي أيضاً به، لعلمها بما بينه والفرس، وأن الرجل ممن يعول عليه. فأعانها بتلك الأبطال العُمانيين، على تلك الطرادات الحربية.

وكان قائد الحملة ولده هلال. فدخل جيش عُمان البصرة، وفتح مغالقها في الفاو بطراده الرحماني العُماني، فقطع السلاسل المسلسلة على المضيق، حتى تمكنت تركيا من القبض على نواصي البلاد. وشكرت أحمد بن سعيد شكراً ما عليه من مزبد وأجرت له على ذلك أتاوة، قدرها ثلاثون ألف قوصرة من التمر. لم يزل يتقاضاها حيناً من الدهر، مع إجلال واحترام وإكبار وإعظام.

وبذلك قذف أحمد بن سعيد في قلوب الفرس الرعب، وملأ روعها خوفاً، وأصبحت بعد ما كانت تحاول غزوه في عُمان، تخشى غزوه إياها في عقر دارها. فلله دره من همام عرف من أين تؤكل الكتف. ولكن القضاء والقدر عَاجَل أحمد بن سعيد بسهام المنية، فإنه توفي في سنة ١١٩٦. فتراه قام في عُمان بالأمر في حال الإمامة وقبلها، قدر ٤٠ سنة.

وقد وصف المؤرخون أيامه بحسن الحال، في الحل والترحال. وكانت مدة ملكه بعد الإمامة، تسعاً وثلاثين سنة.

وبموته وقبل موته تلاشت الممالك العُمانية، من إفريقيا الشرقية، إلى بحر العرب وبر فارس ونواحي البحرين والأحساء ومكلا الشجر، التابعة هذه الممالك لعُمان، في ذلك الأوان.

ولقد هم أحمد بن سعيد بقطع الفساد في عُمان قبل غيرها، لأن عُمان يخشى منها إذا غادرها الانقلاب. كما فعلت بالإمام المرضي ناصر بن مرشد، رحمه الله ورضي عنه، وما فعلت بإخوانه بعده.

فقد قام أحمد بن سعيد للظاهرة، فوقعت بينه وبين ناصر بن محمد بن ناصر الغافري، السابق الذكر، وقعة عظيمة، تجمع فيها بنو غافر ومن لف معهم، وكان ناصر هذا راجعاً من البحرين، إذ كان واليها أيام خضوعها لعُمان، وجمع أموالاً قومته لحرب أحمد بن سعيد. والغنى رأس الطغيان. وكان ناصر هذا ولد ذلك الزعيم، في تلك الحروب المارة الذكر. فإنه لما توفي محمد بن ناصر، وخلف بن مبارك، قتيلين في يوم واحد على باب حصن صحار، قام عن كل واحد من الزعيمين أولاده الوارثون. وهل تلد الحية إلا حية؟.. فإن ناصراً هذا قبض على زعامة الظاهرة، وهم أن يعيدها جذعة. وتبين لأحمد بن سعيد ذلك، فهم بإخضاعه، والقبض على ناصيته، ولكن الرجل غير قريب المأخذ، ولا سهل القياد. والأقران تعرف أمثالها. فقد تجمع القوم، وسار إليهم أحمد بن سعيد، فالتقوا بالأثيلة من الظاهرة، فتقاتلوا قتالاً لان منه الحديد، واحتر منه الماء البارد، وحمي وطيسه بشدة، وانكشفت الوقعة عن اثني عشر ألف قتيل، من جيش أحمد بن سعيد خاصة، عدا من قتل من أصحاب ناصر.

إنها وقعت تشابه صفين، بين أخوان مسلمين. بالأمس يقتتلون عند

محمد بن ناصر، وخلف بن مبارك. ثم عند سيف بن سلطان وعجمه. واليوم يقتتلون مقتلة تجعل في كل بيت نائحة، وفي كل بلد عويلاً. فإن اثني عشر ألف قتيل، من الأُمور التي تشيب لها الأطفال، وتذهل منها فحول الأبطال، وتترك عُمان سوداء مظلمة. فيا للأثيلة أخت صفين والجمل.

وفي هذه القضية قتل أحمد بن سعيد من شيوخ بني غافر جملة، ممن قبضت عليهم يده والحرب خدعة. وقطع الرؤوس بقتل الأجسام طبعاً.

وكان أحمد بن سعيد بصيراً بعلاج الأمراض المعنوية. ولكن إذا أراد الله أن لا ينجح، أحال الحال بين الداء والدواء. فسبحان الفعال لما يريد. والحرب نار تأكل كلما تلقى. والرجل كان يدري أن قتل الحية بشدخ رأسها، لا بقطع ذنبها. ولكن كانت دون ذلك أهوال. والناس قد طبعوا على حب الجديد. ولم تزل تتخلل دولة أحمد بن سعيد، حروب في الظاهرة وغيرها، ذكرها المؤرخون.

وتوفي أحمد بن سعيد بالرستاق. وخلف عدة أولاد، أكبرهم هلال، قائد حملة البصرة، فعمي آخر عمره. وقيس، وسيف، وسلطان، وطالب، ومحمد، وسعيد، الذي تولى الأمر بعده.

واقتسم أولاد أحمد بن سعيد الملك بعده بالوراثة، على عادة الملوك. فصاروا ملوكاً، بعدما كانوا ملكاً. فتشعبت المملكة، وتفرق المجتمع، واختلف المتفق. وهكذا الدهر يبدي في تقلبه عجائب، تدهش الأفكار، وتذهل الألباب.

فأما سلطان فأبو ملوك مسقط وزنجبار. ولم ينتقل الملك منهم إلى غيرهم إلا برهة وجيزة، تملك فيها الإِمام عزان بن قيس رحمه الله، ملك

عُمان ومسقط، ثم عادت إلى آل سلطان بن أحمد.

ثم تملك الإمام سالم بن راشد الخروصي، داخلية عُمان. ثم خلفه الإمام الخليلي. ولما بويع غالب بن علي إماماً على عُمان، سرعان ما رجع الأمر إلى السلطان الحالي، سعيد بن تيمور. كما سوف تعرف ذلك إن شاء الله.

وأما قيس ابن الإمام، فتملك هو وآله الرستاق وتوابعها إلى أن صار أمرها إلى السيد أحمد بن إبراهيم بن قيس، فأخرجه منها الإمام سالم بن راشد الخروصي. ثم عادت هي وجميع ملك عُمان، إلى السلطان سعيد بن تيمور.

وأما سعيد ابن الإمام، فهو الذي تملك ملك عُمان بعد أبيه الإمام وتلقب بالإمام. وخاطبه بذلك الشيخ أبو نبهان، من غير أن يقع له عقد بالإمامة، كما وقع لأبيه.

واضطرب عليه الأمر، وخاض فيه على نهج. واقتتل هو والعبريون مرات. حتى طلع عليه ولده حمد بن سعيد، وكان من الحزم بمكان، ومن العزم بمحل، ومن حسن التدبير، وجميل العواطف إلى الأمة، بحيث لا يخفى على أهل الفضل بعُمان. وكانت للناس فيه آمال.

فكان على الإجمال خير رجل في أولاد الإمام. ولكن لم تطل الأيام به، بل عاجله الحمام، فاحترمه قبل أن يقوم بالأمر خير قيام، يذكره التاريخ، ويعرف عنه الناس شيئاً.

أعمال أحمد بن سعيد بن أحمد بن عبد الله الإمام

كان من أعمال أحمد بن سعيد في أول دولته، بعدما تولى أمر مسقط عرش عُمان، أسند القضاء إلى الشيخ محمد بن عامر بن عريق العدوي، من أهل أفي من وادي المعاول. وأسند الولاية بمسقط، إلى الشيخ خلفان بن محمد بن عبد الله البوسعيدي. وأسند أمر العسكر إلى الشيخ خميس بن سالم البوسعيدي، جد أهل الفتح من وادي بوشر. وأسند أمر المراكب، أي القطع البحرية، التي خلفتها الدولة اليعربية إلى حسن الصهرنج. وأسند أمر فرضة مسقط إلى رزيق بن بخيّت بن سعيّد (بالتصغير فيهما) بن غسان النخلي.

وكان من موالي اليعاربة. وكان له من عبيد الزنج ألف عبد. ومن النوبان ألف نوبي. كان أعتدهم لحوادث الدهر. وكان اتخذ أربعة أعلام، تنشر عليه أيام الحرب، اثنان رؤوسهما ذهب، واثنان رؤوسهما فضة.

وكان شاعره الأعمى أشعر الشعراء في زمانه، راشد بن سعيد البلحسني الرواحي. وله فيه مدائح غرا، وقصائد طنانة فيحا ذكرها التاريخ، وهي من الأدب العُماني الشهير.

سلطنة سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد

بعد أحمد بن سعيد، تولى الأمر ولده سعيد، فاختلف هو وأهل نزوى والشيخ أبو نبهان، وطال الخطب، حتى تأثر سعيد بن أحمد بعمليات السر، من الشيخ أبي نبهان، وكان معروفاً بذلك. وهنا ثار على سعيد بن أحمد، أخوه سلطان بن أحمد ليتولى الملك.

وكان سلطان كاسمه، بطلاً من أبطال عُمان، الذين لهم حسن التدبير

والنظر إلى معالى الأمور، والتباعد عن سفاسفها. ولكل زمان رجال. ولكل قطر سياسة. والناس تعرب عن شخصياتهم مقاصدهم.

سلطنة السطان السيد سلطان بن الإمام أحمد

تولى الأَمر سلطان بن أحمد، السلطان الثالث لهذه العائلة البوسعيدية. وسار في الأمة سيرة أبيه الإمام. أحمد في أعماله التي عملها، وأفعاله التي قام بها في الأُمة. واتخذ مسقط عاصمة عُمان، وبنى بها ذلك القصر العظيم المعروف، الذي لا يزال مركز السلاطين، من ذلك العهد. وتسمى إذ ذاك بالسيد السلطان. أعظم به وبالأَسماء. أول من تلقب بالسيد هو.

وكان هماماً ليثاً ضرغاماً، تتجلى على وجهه ملامح السيادة الحرة العربية. فغزا لنجة وما جاورتها من بلاد بأنسر الصحراء، فأدخلها في حظيرة عُمان العربية. وكذلك البحرين شيد فيها قلعة طاولت نجوم السماء.

جــاء في وقتــه فــوارس نجــد ... دعــوة الــدين عرضــة للنكــاء

ضــربت بعضــها عُمــان بــبعض ... واستســاغت دماءهــا بانتشــاء

عقــد العاهــل الأبي ببركــا ... مجلســاً ضــم قــادة الزعمــاء

عاهــدوه وبــايعوه علــى المــو ... ت فــأكرم بالقــادة الكرمــاء

عقــد العــزم وامتطــى الحــزم لمــا ... قــاد ســير الكتيبــة الشــهباء

علــم القــوم أنــه ينتــويهم ... فتنــادوا وآذنــوا بــالجلاء

زهــرت مســقط بســلطان لمــا ... شــاد فيهــا قصــراً مــتين البنــاء

ودعاهـــا بتخـــت ملـــك عُمـــان فســـمت في مـــدارج الإرتقـــاء
ركـــب البحـــر بعـــد ذاك وقـــد ســا ر مجـــداً للبصـــرة الفيحـــاء
فتصـــدت لـــــه عنـــدما عـــا د ســـفين لعصـــبة أشـــقياء

قتل سلطان عند منصرفه من البصرة، زائراً لأميرها العثماني، تجديداً لعلاقات كان والده واضع حجر أساسها، مع تلك الدولة السامية في وقتها، فاعترضه من خاف استفحال خطبه، أن ينزع الملك من يده، وهم القواسم أهل الشارقة، فقاتلوه في البحر، فكان من قدر الله عز وجل أن وافاه حمامه هناك، على يد أولئك الأشقياء.

ودفن في لنجة إذ ذاك، وهي تابعة لمسقط. واعتنى به عبيده الخصّيصون. وكان قتله سنة ١٢١٩.

وقيل، إن أولئك الذين اعترضوا سلطان بن الإمام، كانوا لا يعلمون بسلطان المذكور، وإنما كانوا غزاة لمن يمر أياً كان. وكانوا إذ ذاك أعداء بريطانيا ومن إليها. وكانوا يعترضون سفن الإفرنج التي تتوجه إلى الهند لنهبها.

ولذلك اهتمت بريطانيا بالقواسم أشد الاهتمام، وجعلت نصب عينها قلع الشجرة القاسمية من الأرض. فشدت بريطانيا على قتل هذه العصابة القاسمية في عقر دارها. وكان من سوء حظ القواسم قتل سلطان من عدة وجوه. حتى حملت بريطانيا على القواسم، معتضدة بسلطان مسقط، وحنق العُمانيين على القواسم بذلك، فتعاضدت الأحوال، واجتمعت القوات، فزحفت على رأس الخيمة لتمحوها من دائرة الوجود، وليأمن طريق الهند لبريطانيا، بعدما تموت القواسم في عقر دارها.

تقدمت بريطانيا بسعيد بن سلطان، لضرب رأس الخيمة بالمدافع كسراً لشنشنة القوم، وسحقاً لهم. فسارت إليها تحت رايات سعيد بن سلطان متسترة به، لا ترى أن يقال عنها: إنها متأثرة بخوف القواسم. بل القائم عليهم سعيد بن سلطان لثأر أبيه، وهي فقط مساعدة له، وشادة لعضده.

ومصالحها في هذه البادرة ظاهرة مكشوفة. وأهمها أمان سفنها ممن يعترضها في البحر العُماني، حتى تفارقه حول المحيط الهندي.

وبريطانيا إذ ذاك جديدة العهد بهذا الوجه. ولها نوايا حول هذه الزعامات العربية. وهي ذات الصوت العالي في ذلك الوقت، ولها الطالع السعيد بين دول الشرق، فلذلك تحب أن يكون طريقها معبداً، وسبيلها آمناً، وعلمها مجللاً. وهي سيدة البحار في وقتها.

وإذا ساعد الحظ قوماً رفعوا كل شيء يحبونه، لأن الدنيا تلبي دعوة المحظوظ، وتخدم أغراضه.

سلطنة السلطان سعيد بن سلطان بن الإمام

لما تولى الأمر سعيد بن سلطان بعد أبيه، وسعيد المذكور لا تسل عن عزمه وحزمه، وكان إذ ذاك صغير السن، لكنه كبير النفس، ضخم القلب،

فارتقى نجله سعيد على العر ش وأدى رسالــة الآبـــاء

قام سعيد بن سلطان بالأمر قياماً ملوكياً، ورفع من شأن المملكة العُمانية، ولكن عمه قيس بن الإِمام، ثار عليه ثورة الأسد الباسل، فتغير الصفو، كما قال شاعر دولة مسقط:

أشعل الحرب ضده عمه قيـ س وقيس من أقرب الأقرباء

لا تسل عن سعيد بن سلطان، همة وعزماً وإقداماً وحزماً وبسالة عرف بها. حتى أظلم الجو بينه وعمه قيس بن الإمام، قبل أن يأخذ سعيد بن سلطان ثأره من قتلة أبيه، وأردفها الجبري كما قال شاعرهم:

وكـذاك الجـبري قـد كـان منـه ... أقـرب النـاس طاعـة في ولاء

رام أعـداؤه بـه الكيـد عمـداً ... ثم كانـت بدايـة الشـحناء

أم نجـداً وعنـدما عـاد منـها ... عـاد يحـدو بالحيـة الرقطـاء

تبعتـه جمـوع غـافر تسـعى ... ويـل قـومي مـن هـذه الفرقـاء

فتمادى الوحـوش في القتـل والنهـ ... ـب وسـاروا تـواً علـى الأشـلاء

وانتـهى الأمـر عنـد قتـل المطـيري ... بأيـد مـن آل عيسـى الوضـاء

أردف الجبري محمد بن ناصر قضية قيس بن الإِمام، كما قال الشاعر المذكور، فزاد الطين بلة بفتنة الجبري. وتفصيلها بأسبابها محله التاريخ.

وإمام هذه البادرة، الجبري المذكور، وزمامها مطلق بن محمد المطيري سنة ١٢٢٢، أي بعد ثلاث سنين من ولاية سعيد بن سلطان لأمر عُمان.

وتغير الصفو بين الرجلين. وانحازت الغافرية عند الجبري والمطيري، وتبعهما أكثر أهل عُمان، من كل مغلوب على أمره، أو طامع في الحطام، برئاسة تمضي سريعاً. وانخذل عن سعيد بن سلطان أعوانه من الهناوية.

ولما رأى الحال في عُمان على هذه الصفة، أعرض عن أهل عُمان

استبقاءً لهم، ورأى تدارك ممالك إفريقيا أولى، قبل أن يستحكم داؤها. فترك عُمان والجبري فيها، موهماً للناس اتفاقه والجبري، وأنه أحد رؤساء وزارة سعيد بن سلطان في عُمان، وأنه عامله عليها، وهو كذلك في الأصل، كما قال الشاعر المسقطي في هذه البادرة حيث يقول: فكر سعيد بن سلطان في فتح إفريقيا، فسار إليها سنة ١٢٤٦.

وكان الجبري عاملاً لسعيد بن سلطان، فدخل بين السلطان وعامله من أغرى كل واحد على الآخر، لإرادة شق العصا، واستغلال الموقف بذلك. فكان ما أراده المغري بينهما. فخرج الجبري إلى الرياض، مستصرخاً لآل سعود، ومستنصراً بهم، حين رأى لهم في عُمان أنظاراً، ولهم إليها حركات، حين قاموا أول مرة مع شيوخ البحرين، لاسترداد البحرين من ملك عُمان. ثم قاموا عند أمراء الساحل كذلك. فكان انفصال الشارقة ورأس الخيمة عن عُمان. وهكذا تتابع الساحل في شمال عُمان.

ولم تزل غارات أهل الشمال، القواسم ومن انضم إِليهم من غرب عُمان، ومن لف معهم من أهل نجد، وراموا مهاجمة مسقط ومطرح والساحل. ولأجلهم بنيت قلعة الخليل، غربي العذبية على الساحل. ولا تزال باقية الأثر حتى الآن.

ولم تزل أنظار السعوديين في هذه الآونة ملتفتة إلى عُمان، لأغراض سياسية يقتضيها الوقت. وكذلك أيضاً أيام ثويني بن سعيد.

لكن سعيد بن سلطان أعرض عن عُمان، وشق العصا بينه وبين أهلها، فجيش جيشاً كثيفاً من عُمان والباطنة والساحل، وممن لم يمد إلى الجبري يداً. ورأى الجبري ذلك مما يقوي دعائمه في عُمان، فلم يمنع ممن أراد

الخروج عند السلطان سعيد بن سلطان إلى زنجبار، نظراً منه لبعد الشقة، وأن البلاد لا طريق لها إذ ذاك، إلا في وقتها الموسمي.

ولعل سعيد بن سلطان يرى في إفريقيا ما يشغله عن عُمان وجبريها. وهذا في صالح الجبري غير خفي. وعدم وجود السلطان بعُمان، يخفف من وطأته على الجبري وأعماله. فهذه الأحوال كلها تمشي في صالح الجبري. وبذلك تسنى له القبض على الأملاك التي بيده، لاسيما وأن قسماً مهما من عُمان، لم يدخل تحت راية سعيد بن سلطان، كأطراف البريمي، والظاهرة، والساحل الشمالي، وجعلان.

خرج السلطان سعيد بن سلطان، بأسطول يمخر عباب البحر، تحت رايته الحمراء. فإنه أول من اتخذها في عُمان، رمز الدم، وإشارة إلى ما ينويه في دولته لمن يعاديه. وكذلك أحدث العمامة الصحارية، لباساً رسمياً، بدل العمامة البيضاء، له ولأعضاء دولته.

وسن في عُمان سنناً لا تزال باقية الأثر. ومنها ديّة القتل أربعمائة قرش. لا تزال تدعى حتى الآن، بدية السنة. والدية الشرعية ألف قرش نمساوي، أو مائتا قرش وألف قرش. وهي الدية الكبرى، كما جرى عليها القضاء الشرعي في عُمان، باجتهاد علماء ذلك الزمان. أي جرى الحكم في عُمان، بأن الدية ألف قرش، أو اثنتا عشرة مائة قرش. وتعرف بالدية الكبرى. كما تعرف تلك بدية سعيد بن سلطان، إلى الآن.

وسار سعيد بن سلطان، بجيشه الكثيف الباسل إلى زنجبار. ولما وصلها - وزنجبار عُمانية - اهتزت لوصوله، وارتجت جوانبها. وكان قد رسخ فيها الداء الهنائي والغافري، الطاير إليها من عُمان، فانقسمت على سعيد بن

سلطان، فكان بعضها معه، وبعضها عليه. فالذي معه، إِما راغب فيما عنده، وإما راهب منه. والذي عليه بطبيعة الحال غير راض به، لاسيما والسلطان ميله إلى القسم الهنائي، لانقلاب القسم الآخر عليه في عُمان، مع الجبري وأعوانه.

فدارت المعارك بينه وبين أمراء أفريقيا، الذين استولوا على تلك الأصقاع، ولاة للدولة اليعربية، كما عرفت ذلك آنفاً. وهــي قد تعثرت بسيف بن سلطان، وتلاشت بعجم فارس، وانمحت بأحمد بن سعيد. وبذلك عضّ الولاة على الولايات، واطمأنوا عليها حكاماً، ولا يظنون أحداً ينافسهم فيها. وتوارثوها كابراً عن كابر، من عهد تأخر الدولة اليعربية، أيام سيف بن سلطان، صاحب الجيوش الإفريقية.

ومنذ ذلك العهد انقطع الرائد العُماني عنها، واشتغل الحاكم في عُمان عن النظر إليها، حتى قام هذا السلطان الجليل، أجل سلاطين آل بو سعيد سنة ١٢٤٦، قام لها بعدما قضى هذا السلطان في عُمان أربعاً وعشرين سنة، كلها مرت عليهم مغبرة الأفق، مظلمة الأجواء، متكدرة الصفو، إلا ما شاء الله. ولكن الرجل خُلِق للدنيا، ولا بد أن يبلغ مبالغ رجالها، ولا يشك أنه سينال منها ما يليق بسمو نفسه السلطانية، وهمته الأبية.

وأهم المعارك التي دارت بين سعيد بن سلطان، وخصومه في أفريقيا، معركة سيوي (بكسر السين المهملة، وسكون المثناة من تحت، بعدها واو مكسورة، فياء تحتانية). إذ قتل فيها ثلاثة آلاف شخص من أهل عُمان، فناهيك بوقعة كهذه تفنى فيها آلاف من الرجال، إنها لما يهول أمره ويدهش الحاكم وقوعه. وعلى قلة السياسيين - على ما قيل - إذ ذاك في جيشه، فقد

قتل منهم سبعون رجلاً، أو قريباً منهم، بقيادة زعيمهم الجديد إذ ذاك، نجيم بن عبد الله بن سعيد بن عبدالله. فاسترد السلطان سعيد بن سلطان ممالك إفريقيا، التي كانت تحت سيطرة العُمانيين.

ولا تسل عن جلالة سعيد بن سلطان في إفريقيا، البلد الخصب الغني الواسع، وطار لسعيد بن سلطان صيت في تلك الأصقاع، فأصبح هنالك الحاكم المطلق، وخفقت أعلامه على إفريقيا، في سبعة عشر مركزاً. وأصبح العُمانيون سادة هذه الأصقاع.

ثم أقبل بعد ذلك على ما حول عُمان، فاسترد جانباً من ملك فارس، فضمه تحت رايته الحمراء. ومن ذلك أيضاً جواذر من بلوجستان، قطعة مهمة من الهند. وعاش - على ما قيل - عمراً يبلغ خمسين سنة في الملك، لأنه تولى الملك بعد موت أبيه سلطان، سنة ١٢١٩، وتوفي سنة ١٢٧٣. فيكون ملكه اثنين وخمسين سنة.

ولم تزل الأيام تريه من وميضها شرارات متقدة من نحو نجد، ومن نحو الشمال، ومن نحو بني بو علي بعُمان، في خصوص أرض جعلان. ولكن سعيد بن سلطان أخمد لتلك الشرارات، وقتل عمه قيس بن الإمام في خوزفكان، مع جمع من أهل عُمان. كما بيّناه آنفاً.

وبقي سعيد بن سلطان ملكاً على عُمان وزنجبار، ولا يشذ عنه إلا ما كان بيد عامله الجبري، واسترد أكثره بصفة سلمية. وعاش عظيماً في عُمان، لولا أن المنايا تناويه وتراصده، لترميه بسهام الحمام. والأقدار تدافعه إلى تلك السهام بالاحترام، كما أنها على كل فرد لزام. فوافته المنية في البحر، في حال توجهه إلى زنجبار قافلاً من عُمان، قريباً من جزيرة سيشل. فنادته

بلسان الحال، أين أنت الآن من قصور زنجبار، ومن عروش عُمان. وما تدري نفس بأي أرض تموت. وحمل إلى زنجبار، ودفن بها في التاريخ المذكور سنة ١٢٧٣. فكانت أيامه غرة الأيام، في الدولة البوسعيدية، جلالةً وعظمة ورفعة، كما عرفها الأجانب من الإفرنج.

وأعاد سعيد بن سطان شرف أهل عُمان في تلك الأقطار الإفريقية، حتى لم يعرف له مثيل في أيامه بين ملوك العرب. واجتمع له من القوة والسلطة هناك، ما دوخ به الأملاك. وزاد على اليعاربة في إفريقيا، فإنه كان حكيماً تأتيه الأمراء والأعيان، وأهل الزعامات تتعلق به، فيضع جناح عطفه عليه رغبة ورهبة، فلا تزال عزيزة تحت رايته، خاضعة لعز دولته.

وبقي هو ملك القطرين، عُمان وزنجبار. وبنى اسطولاً ضخماً في البحر، مهد به له ولدولته الطريق الذي يعرفه كل أحد. وكان مع بريطانيا بالجانب الموقر، والسميع المطاع.

ولله رجال يصلح بهم ما فسد، ويكبح بهم أهل اللاد، وبحق أقول: إن سعيد بن سلطان، كان تاج الملوك البو سعيديين، وسيد أهل عُمان أجمعين.

سلطنة السلطان ثويني بن سعيد بن سلطان
ابن الإمام

لما توفي السلطان سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد، تولى السلطنة بعُمان بعده ولده، السيد ثويني بن سعيد، فجلس على عرش الملك، وأخذ بأزمّة الإمارة العُمانية. كما جلس على عرش مملكة زنجبار وتوابعها من إفريقيا، السلطان ماجد بن سعيد بن سلطان.

وهنا بدأ دور الدخول لإنجلترا على ملك عُمان، وما تولاه سلاطينها. وانفتح لها باب الدخول في هذه المملكة العربية الحرة، لتكون شريكة في هذا الملك الواسع، المترامي الأطراف، العربي من عهد الخلفاء الراشدين، الحر من عهد الجاهلية الأولى.

فلقد لعبت انجلترا بين ماجد وثويني دوراً مهماً، بصفتها نصيحة الكل، وصديقه آل أحمد بن سعيد، فمهدت بذلك لها طريقاً يبساً، لا تخاف دركاً، ولا تخشى هلكاً.

وكان السلطان ثويني شديداً في أعماله، ولعله اقتضى تلك الشدة الحال، فإن زعماء عُمان أمرهم غير خفي. ولذلك جرت عُمان النجديين، فخيموا بالبريمي، وضربوا معسكرهم هناك، وكان سعيد بن طحنون حاكم أبو ظبي القائد للنجديين في هذه الحادثة، ومعه زعماء أهل عُمان، باطناً وظاهراً، إلا من شاء الله من الهناوية.

وكان دهاة العلماء استعظموا قهرة ثويني، وقوة سلطانه، وعظيم جبروته، ولذلك دخلوا عليه من جهة ولده سالم بن ثويني. وكان سالم لا أقل من أبيه، تعاظماً في نفسه، وبسالة وإقداماً. وقد لاحظ العلماء ذلك من سالم بن ثويني، ورأوا تقدير ثويني لولده المذكور، واعتقدوا بل تحققوا فيه عظيم الجراءة على أبيه، حتى أن ثوينيا كان يجعل في البرزة عند مقابلة القبائل مغنمين، ولا يأخذ ثويني القهوة إلا وقد أخذ سالم القهوة مثله، وهكذا.

ولقد تجلت هذه الأُمنية، أعني قتل ثويني بيد ولده سالم. وقد أسر إلى ثويني بذلك من اطلع عليه، وأوضح له أن العلماء المشار إليهم، وعدوه أن ينصبوه إماماً، إن هو قتل أباه.

فاستبعد ثويني ذلك كل البعد، لما هناك من حسن الرعاية، التي يرعى بها ثويني سالماً، وذكر أحوالاً تبعد ما يقال، وأن القائل بهذا مراده تعكر الصفو بين ثويني وولده.

ولم يدر أن طموح سالم في الملك والسلطان، أعمى بصيرته عن الواجب، وأخذ به إلى الغي، وجعله ينفي الممكن. والقضاء والقدر أمران لا بد من وقوع ما جاءا به على رغم كل راغم.

وكان ثويني وولده سالم، وأخوه تركي، وأعيان العائلة، وأعضاء الدولة، وأخصاء السلطان، وزعماء القبائل في صحار، كانوا خرجوا لالتقاء النجديين. والقضاء المبرم، والقدر الجاري في الأزل، لا بد من إنفاذه في الخارج.

ففي يوم ٢٨ من رمضان المعظم سنة ١٢٨٢ ثار سالم بن ثويني ضحوة ذلك النهار، وأطلق الرصاص على والده ثويني، وهو نائم في ذلك القصر الفخم، بين أخصّائه وأعزته، في مأمنه ذلك. والجيش محيط به في صحار، فأرداه قتيلاً وهو يقول: أنا أبو سالم. وسالم يتقلد تلك الجريمة رغم ما يلاقيه بسببها. وإذ ذاك أودع عمه تركي الحديد، في ذلك الحصن.

وبذلك يظهر أن سالماً تسلط على الحركة تسلطاً فعالاً، وإذ ذاك نكص على عقبيه راجعاً إلى مسقط، ليقبض العاصمة، تاركاً ما توجه له والده السلطان، من الأمر المهم النجدي، مخلفاً وراءه أحاديث سيئة، تابعاً في فعله لولد كسرى، حين قتل أباه ليكون له الملك بعده، فلم تقم له قائمة.

وبذلك الفعل السيئ، غرس سالم بن ثويني له الكراهية في قلوب الأمة على اختلافها، وأبغضه القريب والبعيد، ونفرت منه الرعايا على اختلاف

أحوالها، ولازمته الطفرة بذلك، وبقي في قلق من فعله. فقال العامة فيه: هذا رجل فعله في أبيه هذا الفعل، فماذا يكون فعله في غيره؟....

وكانوا وعدوه بالإمامة بعد قتل أبيه خدعة منهم له ليتوصلوا إلى قتله به. فلما انقضى الأمر تأملهم أن يصبحوا عنده مسرورين بمقتل ثويني، قائمين له بعقد الإمامة، مسلمين له الأمر، شاكرين له الفعل. ولم يدر أنه أصبح مرهوباً من جهة، ومبغوضاً من جهة.

وبذلك الحال تمكن النجديون من وضع دعائم القهر على البريمي ونواحيها، مستغلين هذه البادرة بين ثويني وآله.

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

فانصدع ركن السلطنة، واهتز عرشها، إذ كانت قائمة لرد جماع النجديين، فأصبحت وهي متزعزعة متزلزلة في داخليتها.

ولما رجع السيد سالم بن ثويني على قفاه، أرسى السعوديون أعمدة سلطتهم على البريمي، كما قلنا، وأغمدت السيوف المسلولة لقتال النجديين فيها.

وأنام سالم بن ثويني عيون الزعامة العُمانية عما حول عُمان، من إمارات الخليج العربي، وظلت المملكة تتناقص من أطرافها، حتى صار النظر مقصوراً عما كان عليه الحال من قبل.

وفي أيام السلطان سالم بن ثويني، وقعت أحوال وحوادث، أهمها انقلاب العُمانيين عليه، إذ بايعوا الإمام عزان بن قيس رحمه الله.

إمامة الإمام الرضي النقي عزان بن قبس

ابن عزان بن قيس الإمام

في سنة ١٢٥٨ اجتمع العُمانيون وزعماؤهم، المشايخ الأجلاء، الغر الميامين، صالح بن علي بن ناصر، زعيم الهنائية مطلقاً، والعلامة الرباني المجيد، سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي، والعالم الفقيه النزيه، محمد بن سليّم الغاربي، ومن معهم من خيار المسلمين، وبايعوا السيد عزان بن قيس ابن الإمام أحمد بن سعيد إماماً، لدينه وفضله، وتقواه وعفته، وزهده وورعه وإخلاصه.

وأنت خبير أن الإمامة عند أهل عُمان، وجميع أهل المذهب، على سنن الصحابة رضوان الله عليهم، بالانتخاب للأفضل في الخصال المرضية، لا على الوراثة، إن صلح الوارث أو فسد، فإن المناصب الدينية تصان عن مقاصد الدنيا. والقهر والاستبداد لا تتفق معهما مصالح الدين والدنيا، ولا يقول بهما العقل الصحيح. وتاريخ عُمان منذ العهد الأول شاهد بذلك.

ولما وقعت خيرتهم على السيد المذكور، بايعوه في مسقط ببيت الشجر. ولا يخفى عليك أن آل عزان بن قيس، بيت كريم في بيوتات أهل الشرف بعُمان، وأهل فضل ومروءة.

والناس معادن، كما صرح بذلك الحديث. وأساس التقوى الثقة بالله. ولكن حكمة الله في خلقه، تدعو إلى الاجتماع والتعاون، وتنهى عن التفوق والشقاق، فإنهما يثمران الفشل.

ولهذا لم يطل عهد هذه الإمامة. فإنها لما استولت على عُمان بأقصر

وقت، كان انهيارها بأيسر الأحوال، كما قال شاعر الدولة البوسعيدية:

عمرها لم يكن طـويلاً كمـا قـد   خمنتـــــه أكـــابر العلمــــاء

لعبــت دورهــا العمــائم فيهــا   يــا لتلــك العمــائم البيضــاء

يشير إلى وقعة نفعا، التي تجمع لها الغافرية مع السيابيين، فانهزموا.

هـــذه غـــافر تهـــز قناهـــا   تتعـــالى وصـــال كـــل هنـــائي

أي إن انقسام عُمان إلى هنائي وغافري، كان بلاءً محضاً لعُمان. وإلى هذا يشير العقلاء العُمانيون، المعنيون بسياسة عُمان:

وهو أن السلطان في عُمان، إذا مال ميزانه إلى الجانب الهنائي، ثقل عليه الجانب الغافري، فكان حصاة رجحانه، وكذا العكس. وبهذا لم يطل عمر هذه الدولة السايدة، فإنها في ظرف سنتين ونصف قبضت على ناصية عُمان.

قتل الإمام عزان بن قيس رحمه الله ورضي عنه، صالحاً مصلحاً، ولياً رضياً، وفياً مخلصاً. كان قتله على سور جبروة من مطرح، وشقيقته الحمرا المصطبغة بدماء الأبطال فريدة تلمع كالشهاب.

كان عزان من الرجال النجباء الأجلاء، المعدودة في مقدمة البطولة الحرة، وفي مقدمة أهل الصلاح. وله بين رجال عصره علم لا تطاوله الأعلام. وهيهات أن يأتي الزمان بمثل عزان.

كان شهاباً رصداً للباطل، وقبساً نيّراً للحق. كان سيداً دينياً في أول الركب. إلى الله عزيمة حرة خالصة لله، ونية صادقة في واجب الشرع، قائمة

بأوامر الله، في ذلك العهد العصيب.

رحم الله من قام ناصراً للحق، دامغاً للباطل، متجرداً لإقامة حدود الله عز وعلا. فإن اليوم السباق، وغدا الجوائز. والحمد لله.

سلطنة السلطان تركي بن سعيد بن سلطان ابن الإمام

بعد قتل ذلك السيد الشهيد الرضي، تولى الأمر السلطان تركي بن سعيد بن سلطان ابن الإمام أحمد بن سعيد.

وكان الغافرية أنصاره، وبناة أركان دولته. إذ قضوا على دولة ابن عمه الإمام عزان.

ثار تركي وارث العرش حقا — إنه من فحولة الأكفاء
بطل كابر الخطوب بعزم — ومضاء وهمة علياء
سلمت مطرح الحصينة بالحر — ب وكان الإمام في الشهداء
واحتفت مسقط وأهل عُمان — بمليك البلاد أي احتفاء
وأتته الوفود من كل صوب — يتعالى هتافها بالدعاء
ظل في ملكه عظيماً إلى أن — قد دعاه إليه داعي الفناء

بعد انحلال دولة الإمامة العزانية، عادت السلطنة سيرتها الأولى، ومشت في عُمان على ضوء السلطان تركي بن سعيد بن سلطان ابن الإمام أحمد بن سعيد، ولم تتزعزع بعد ذلك.

وقد ناوشها الهنائية من العُمانيين مرات، لكنهم لم يكن لهم تمكن. وزحفوا على مسقط مرات، ولكن بقي السلطان على عرش عُمان، إلى توفي سنة ١٣٠٥ ، وجلس على العرش السلطان فيصل.

كان تركي صخرة البناء للثبات الذي تقر عليه أركان السلطنة، وكان عاقلاً حمولاً للرزايا، ثابت الجأش عند حلول الخطب. كان من كرام الملوك الذين فيهم ما يخلد حسن الأحدوثة لهم، فكان يراعي جانبي عُمان بكل حكمة، ويسير في المنهج الجامع سير الحكيم الماهر.

كان تركي ذا حزم في أموره، وحليف صبر على الحوادث، لا يعرف اليأس، ولا ينام عن الحقوق، ولا يهمل الأمور، ولا يثق بكل أحد.

عاش على كرسي الملك عزيزاً، إلى أن جاءه مالا بد منه، ولا محال عنه. والله المستعان.

سلطة السلطان فيصل بن تركي بن سعيد
ابن سلطان ابن الإمام

لما توفي السلطان تركي بالتاريخ المذكور، وكانت مخايل النجابة تتجلى على وجه فيصل الهمام المقدام، وما أدراك ما فيصل، السيد الجليل. وحسبك اسمه دليلاً على شخصيته المتجلية على العرش العُماني، الذي نوّه القرآن الكريم بشأنه قديماً.

وكان فيصل هماماً مقداماً، وسيداً مهماماً، كريماً مبذالاً، تتجلى عليه طلائع الملوك، وتلوح على وجهه همم الزعماء الأجلاء، ولكنه صادف الجو

مغبراً من جهة البحر، والأسوار الحديدية محكمة، وحيطة الدول الإفرنجية ضيّقة الحلقات، وإنجلترا وحليفاتها ملء العالم، وقد صفا الجو لبريطانيا، وساعد الحظ على بسط نفوذها في الشرق الأوسط، والأقدار تمشي في صالحها إذ ذاك.

وبقي فيصل سلطاناً على عُمان، وشهاباً رصداً في أفق مسقط، عاصمة السلطنة.

وقد حاوله الهناوية مرات، وذلك لأنه وجد والده وأعوانه وأنصاره الغافرية، فعمل بالحال الوراثي من جميع جهاته، فلذلك بقي في نفوس الهناوية ما فيها. وهذه حالة الرؤساء في عُمان، وعلى هذا المنهج، ما دام معنى الهناوية والغافرية معتمداً عليه، ومعولاً على حقيقته في الأوضاع العُمانية. فسبحان الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

ومن المعلوم أن العلماء تروم إعادة الحق في مجاريه، لا السلطة والرئاسة على عباد الله. والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة شعائر الدين، محورُ العلماء. وهم بعيدون عن أحوال الرئاسة. وحب الرئاسة هو الشهوة الخفية. ولا ينظر العلماء إلى هنوي ولا غافري مهما كان، وهذا هو المبدأ الذي يمشون عليه. وما دام هذا المبدأ ثابتاً صحيحاً معمولاً به، كانوا في خير وراحة، فإذا اختل هذا المبدأ من جهة ما، اختل الأساس الذي قامت عليه الإمامة.

وأهم محاولات الهناوية لفيصل في سنة ١٣١٢، فإن فيصلاً لما توفي والده السلطان تركي في مسقط، كان أنجب أولاد تركي، فتولى الملك بعد أبيه، وأشعر بذلك الهنائية والغافرية، ولكن بقي في النفوس ما حكاه التاريخ.

وهكذا الدهر لا يستقر على حال.

إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

وللعلماء نياتهم، وللملوك نياتهم، والله سائل الكل عما صنعوا، وإليه المرجع والمآب.

ولما ثار الهناوية على السلطان في التاريخ المذكور، لم يكن لهم تمكن يخولهم انقلاباً إليهم، يأتون بمن شاءوا، سواء أكان حمد بن ثويني، أو أحد أولاد تركي، أو إخوته، إذ وقف فيصل في وجوه القوم وقفة، أبقت المياه في مجاريها. وكانوا ظنوا أنهم تمكنوا من مسقط.

وزعيم الثائرين الشيخ الأمير العلامة صالح بن علي، وقائد الحركة الشاب الحر، المرجو لمثل هذه الأحوال، عبد الله بن صالح.

وقر هذا السلطان على عرش ملكه، واضعاً رأسه بين البيض والقنا، إلى أن توفي في سنة ١٣٣١، في أول دولة الإمام، سالم بن راشد.

وكان العلماء - وفي مقدمتهم الولي السالمي المرضي - قد راودوا السلطان المذكور بالإمامة، كما أشار إلى ذلك العلامة المجيد السالمي الوحيد في تحفته، وطلبوا منه أن يكون حاكماً انتخابياً، وإماماً شرعياً، يتولى أمره العلماء في الأخذ والرد، والحل والعقد، والأمر والنهي، وأن يكونوا شركاءه في الرأي والنظر، فلم تسعف الظروف فيصلاً على ذلك، لما هنالك من الروابط الدولية، بين السلطان وأصدقائه وهنالك نصبوا الإمام سالم بن راشد الخروصي.

وكان زعيم الحركة العلامة نور الدين السالمي، رئيس العلماء يومئذٍ وعمدتهم، وأعظم الأجلاء الدعاة إلى الإمامة.

وأمير الثورة حمير بن ناصر النبهاني، وأولاد هلال بن زاهر، من بني هناءة بن مالك بن فهم.

وتتابع الناس إليهم، وفي مقدمتهم آل عبرة بن زهران، وعالمهم الشيخ ماجد بن خميس بقية السلف، ثم بقية الناس، رغبة في الإمامة، لما علموا من أعمالها في المساواة، عدلاً وإنصافاً، وتولوا عُمان الداخلية، وناوشوا السلطان في مسقط، ثم انكفأوا إلى داخليتهم لما رأوا بريطانيا نزلت في الميدان، واستشعروا غلبتها عليهم. وكانت تتحين الفرص لتأخذ لها نصيباً، تخرجه من بين السلطان والإمام، كما هو شأنها عند حلول الفرص.

واستمر الإمام في إمامته، حتى قتل في بلدة الخضرا، من وادي عندام سنة ١٣٣٨.

وعلى إثر قتله نصبوا بعده الإمام، محمد بن عبد الله بن سعيد الخليل إماماً للناس، فقام على إثر الإمام المقتول.

وكان رئيس حركة هذه الإمامة الثانية، الشيخ العلامة عيسى بن صالح الحارثي، وهو عمودها الأكبر، والعامل على بقائها، والمخلص الوحيد في القيام بأعبائها. كما كان حمير بن ناصر النبهاني، زعيم الإمامة الأولى والعامل الأكبر لوجودها.

وعيسى بن صالح يمتاز بالتقوى والعلم، وهما أعز شيء في حياة الإنسان المسلم، مهما كان.

وعلى وساطته عقد مؤتمر السبب، بين الإمامة والسلطنة، الذي هدأت به البواعث الشعبية، وسكنت به الحركات في عُمان، واصطلحت به الأحوال، وائتلفت به القلوب، وتبادلت الاحتفاظ كاملاً، وتوثقت به الروابط.

ومشى الإمام والسلطان في عُمان، على حال هدوء، واحتفاظ بالحقوق، وتعاون معنوي في الشؤون العُمانية، على ما يصلح الشعب ديناً ودنيا.

وكان محور الأمة العُمانية كلها جمعاء، إقصاء الدخيل الأجنبي قبل كل شيء. وأصبحت عُمان مثال العز والشرف والاطمئنان في العالم، بل أصبحت أحدوثة الكل. وكان السلطان الركن القوي، الحافظ للحيطة العُمانية.

وكلنا يدعو إلى الواجب الديني في الأمة، ضد الدهر الذي من شأنه ضد ذلك. والحق أحق أن يتبع. وما بعد الحق إلا الضلال.

ولا يليق بالعاقل أن يكون عبداً للدنيا، يخدمها ليلاً ونهاراً، ويجمعها ألوفاً، وينظمها صفوفاً، ويذهب عنها راغماً، ويتركها لبنيها يتلاعبون فيما جمع، ويتصرفون فيما صنع، وله من ذلك العناء في لذة يسيرة، سرعان ما تنقضي، ومدة قصيرة، لا تبرح ملياً حتى تنتهي.

بل العاقل الذي يقوم بواجب الدين، ويجتهد في إصلاح ما كلفه به رب العالمين. فإنه مسؤول عن فتيل ونقير، ومناقش عن جليل وحقير، في موقف لا يعرف فيه أحداً، ولا يعرفه فيه أحد. وإذا علم العاقل ذلك، تجنب سبل المهالك، وراعى حقوق المالك.

وما أشرف اجتماع الدين والدنيا إذا وفق الله، وما أعز المال ينفق في طاعة، وما أعلى مقصد القائم بواجبات مولاه.

إذا رزق الله السعـــادة عبـــده أقام على إسعاده السيف والقلم

سلطنة السلطان تيمور بن فيصل
ابن تركي بن سعيد

لما توفي السلطان فيصل، جلس على عرش المملكة العُمانية السيد تيمور بن فيصل بن تركي بن سعيد بن سلطان ابن الإمام أحمد بن سعيد أصل هذه الشجرة.

فاعتلى العرش نجله الليث تيمور وتيمور ملتقى العلياء
وحفيد الملوك بطناً وظهراً وعظيم الخؤولة الشماء
عظمت قدره عُمان ولكن داؤها في تقلب الأهواء

اعتلى العرش تيمور بن فيصل، سلطاناً على عاصمة عُمان مسقط وتوابعها. وكان انفصال عُمان الداخلية - كما عرفت - بإمامها الخليلي قد تأكد، ولكن السلطان والإمام، كل منهما معنًى بأحوال عُمان، وما يرفع أعلامها، ويؤيد سلطانها، ولكن كانت أيام هذا السلطان عصيبة، وظروفها متأثرة، وأفقها عليه غيوم لا تنكر.

فإن الحرب العظمى بين الدول كانت متأججة، وانحياز العُمانيين في داخليتهم، وحصرهم عن السلطان في غابهم الداخلي، تحت علم الإمامة الأبيض، والسلطان بين أمواج هذه الزواخر يلاحظ الأهم ويفعل المهم، ويقف موقفه المرموق بأعين حادة، في جأش ملوكي، وصدر سلطاني متسع، حتى وفق الله، وهدأت الحال بينه وبين أهل عُمان، وزالت الهواجس، وأطفأت النفوس حرارتها، وصلحت الأحوال، واستراح أهل عُمان من تلك الأزمة، ساحلياً وداخلياً.

وصارت عُمان مثلاً في العالم، هدوءاً وطمأنينة، وأمناً وإيماناً، وعدلاً وإنصافاً واستقامة بكل معانيها الشرعية، وغدت غرة في جبهة الدهر، حتى غبطها على ذلك الكل. ولكن الدهر لا يستقر على حال، كما قيل: من المحال دوام الحال.

قام السلطان بواجبه، وبذل الإمام جهده في الحقوق كلها، الدينية والدنيوية.

وكان الزعيم الباروني عفا الله عنه، أعظم الناس سعياً في تأييد الروابط العُمانية، بين الإمامة والسلطنة. وهو العامل الأكبر في جمع الشمل، وتقريب ما تباعد بين الحكومتين، الإمامة والسلطنة، وفي إزالة كل جفاء ووحشة، بما لا يخفى على المعنيين بهذه الأحوال.

وهو من الدعاة إلى جمع الشمل، والتحذير من العدو المفرق، الواقف على الباب. إذ كان الزعيم الباروني من أعاظم الرجال العاملين ضد العدو العام، في هذا العالم الإسلامي. وقد عرفه التاريخ العربي الإسلامي في المغرب.

وكان مجيئه عُمان بفضل السلطان تيمور بن فيصل. وهو الذي مهد له الطريق السوي، للالتقاء بإخوانه في الدين، وأهل مذهبه من المسلمين.

وكان لزيارته هذه رنة في العالم، يعرفها كل أحد. فقد أقامته عُمان مقام ملك عظيم السلطان، أنزلته المنزلة العالية الشأن، وجعلته محل ثقتها الخاصة، حتى نسي كل ما كان فيه. فكانت الطوائف تتلقاه لقاءً رائعاً، وتسنده المسند المقرون بكل حفاوة واحترام.

ولما كان الحال بين السلطنة والإمامة طيباً، كان من زار السلطان أحب أن يزور الإمام، ومن زار الإمام، أمره بزيارة السلطان.

ولقد زار الباروني مسقط، بهمة السلطان. ثم أحب زيارة الإمام، ولما نزل به أكرمه كما يليق، واتخذه أعظم صديق، وأعز رفيق، وأدناه منه تماماً، حتى رأى المقام معه لزاماً وعاش عشر سنين تحت راية الإمام، ثم عاد إلى السلطان في مسقط، أيام مليكنا الحالي، سعيد بن تيمور. وبقي في أعماله حتى توفاه الله في صحبته بالهند.

وعلى ذلك مشت عُمان تلك الأيام، فعظم لها قدر بين ممالك الإسلام، إذ كان في سواحلها سلطان، وفي داخلها إمام.

سلطنة السلطان المؤيد سعيد بن تيمور بن فيصل

كان السلطان السيد تيمور، يتخيل في نجله السعيد سعادة الشعب، وعلو النظر في الأحوال التي تتعلق بها شؤون الأمة، في أحوالها كلها، فلذلك تنازل له عن الملك، في سنة ١٣٥٠، آملاً فيه كل خير وسعادة، فقام هذا السيد سعيد بن تيمور، سلطاناً على مسقط وتوابعها، وأدار شؤون المملكة إدارة شهد له التاريخ بها، واعترف له الزعماء المعاصرون من العرب وغيرهم، بحسن العمل فيما تولى، وخطب وده الأمراء العُمانيون، وانقاد له أكبرهم شأناً، وأوفاهم أعمالاً، وأصدقهم إيماناً، وأجلهم زعامة.

واستمر على حسن العمل، وحسن الوفا، وأكمل الصفا، بينه والإمام الخليلي رحمه الله، تجنباً لأحوال الدخيل الأجنبي.

وجاءه الأكابر بحسن العلاقات، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة الأمير، عيسى بن صالح، المتوفى سنة ١٣٦٥. وما كان غرض أهل عُمان من تلك الحركة - كما عبرنا عنها غير مرة - إلا الاستقامة في الأمور كلها، دينية كانت أو دنيوية. والغرض من الإمامة إجراء الأمور على مقتضى الشريعة.

وحين وجدوا من السلطان أملهم، ورأوا أن التطاحن بسفك الدماء، وشق العصا، أمرٌ يتمناه الغير، ويوده الواقف على الباب، أعرضوا عن ذلك، الإمام والسلطان وأنصارهما معاً، وظلوا متعاونين متعاضدين.

وبذلك أصبح سوق الأجنبي في كساد، وأصبح ما حاكه من عشرات السنين لا أثر له، فعظم في أعين العدو، وأصبح يحسب لهذا السلطان حساباً في حساب.

وكان أمل السلطان تيمور في نجله الموقر سراً، أصبح يدهش الرائي، ويحيِّر السامع.

ولما توفي الإمام الخليلي رحمه الله، في سنة ١٣٧٣، وقام عنه بولاية العهد الإمام الثالث، غالب بن علي الهنائي، انفتح الباب المغلق، وانصدع البناء المحكم، ودخل الدائرة المصونة بالأمس، من كان لا يرى معالمها، واندك ذلك الصرح الذي رفعه السلطان، وأغلق بابه الإمام الخليلي. ولم تزل أعلام الحق، لا في العير، ولا في النفير، إلى أن بلغ السيل الزبى، وضاق الخناق، وامتلأت الحياض، فطرق الباب الطارق المضمون، وفتح الأمين حجرة الدار، ليلج الوافد، ويرتع الوارد.

وفي هذا العهد كان ما كان بعُمان، إلى أن تولى الملك كله هذا السلطان، جامعة الملوك البوسعيديين، من آل أحمد بن سعيد الأزدي، الذي لا تزال الآمال في سلطنته الحرة الجليلة، متواصلة بكل خير، ولم تبرح الأمة ترجو منه كل سرور. فأنه تولى أمر عُمان وانفتح بركان الذهب الأسود، الذي هو عمدة الغنى الدولي، وحياة الأمم في هذا الوقت.

ومن حسن الحظ ويمن الطالع لهذا السلطان المعظم، جعل الله ذلك على يديه، لتحيى به الأمة، وتعود به عزتها وكرامتها، ويرجع إلى عُمان شرفها العريق. ولله أمر هو بالغه. وكل شيء يكون في وقته.

أعمال السلطان سعيد بن تيمور
في عُمان

اعلم أن السلطان سعيد بن تيمور، لما تولى الملك أقبل على تنظيم دوائر الحكومة على اختلاف أوضاعها، دينية ودنيوية.

وأهم شيء قام به، إدارة شؤون المالية. ومشى في أعماله هذه جاداً مجداً، مجتهداً تمام الاجتهاد، حتى قوي ميزان ماليته.

وأسند الاحكام في غالب الأنحاء إلى الشرع، وأقام القضاة للأحكام، فقام لعمله هذا في الأمة قوام شرعيون.

ولما توفي الإمام الخليلي رحمه الله، في سنة ١٣٧٣، وبويع بعده غالب بن علي الهنائي إماماً، وكان جانبه عند السلطان، ليس كجانب الإمام الخليلي، وكانت الأنظار متباينة المنزع، مختلفة المقاصد، ورأى السلطان أن الإمام الجديد وأعوانه، يتصلون إلى أياد قوية المأخذ، مكينة الأركان، فخاف على ملك عُمان الضياع، وعلى آماله الخيبة، وعلى أوامره الفشل، وتحرك لهذا الدم الملوكي، وجرى في عروق العزم إلى شرايين الثبات والحزم، فأول بادرة بدرت لهذا، الاصطدام على واحة البريمي، فكان من قضاء الله وقدره، ما علم عند الكل. ثم أردفها ما يتحدث الشاعر - البوسعيدي المعروف - عنه.

سـدَّد الضـربة القويـة ممـا   جعلـت مـا أتـوا بـه كالهبـاء
وابتـدى أولاً بـنزوى فـدانت   إن سـر التوفيـق في الابتـداء
خضـعت كلـها عُمـان برفـق   واسـتكانت بغـير سـفك دمـاء

لم يمض على غالب بن علي في إمامته إلا سنة وثمانية أشهر، حتى خرج المذكور تاركاً عرش إمامته، غير قادر على الدفاع عنه.

وتولى الأمر السلطان الحالي، سعيد بن تيمور بن فيصل. وهذا شأن الدهر. وتلك الأيام نداولها بين الناس.

وأصبح العلم السلطاني، يخفق على المعالم العُمانية كلها، من البريمي إلى ظفار، علماً واحداً أحمر، يعبر عن العهد السلطاني السعيد. ولله الأمر كله.

كان السلطان المذكور، محمود الفعال، طيب الأعمال، يحترم العلماء، ويكرم الزعماء، كان يقظاً واعياً، يطلع على كل شيء من أعمال حكومته، ويراقب الأحكام الشرعية ويطلع عليها، ويناقش أهل الأعمال على اختلاف طبقاتهم، ولا يترك متمرداً على الأمة، ولو كان من أقرب الناس إليه. ويميّز الأمور بألمعيته، قبل أن يقضي عليها. لا يرى لقريبه إلا الحق، كما لا يرى لبعيده إلا ذلك.

كان كلامه كلام الملوك، بكل معنى الكلمة، إذا وعد وفى، وإذا توعد شفى، وإذا رأى المنكر، عنه نهى.

أشرف الملوك نجاراً، وأعز الملوك نفساً، وأعظمهم هيبة، وأنزههم عرضاً. بقية الملوك الأوفياء، وأجل الملوك في الجزيرة العربية، وإن صغرت مملكته.

كاد أن يكون جامعة الملوك البوسعيديين، وخاتمة الأمراء العُمانيين.

والحمد لله على كل حال، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وسلم.

انتهى تحرير هذا العنوان
في شهر رمضان
المعظم سنة
١٣٨٥هـ

الحاق بما سبق

سبقت الإشارة إلى أمم عُمان، الأصيلة والحادثة. ومن حيث إن التوسع في التحقيق عن الأحوال التاريخية، ومن بينها أمم عُمان، شيء لا يتسع له هذا العنوان، الذي طالما قلنا عنه: إنه كرمز لتاريخ عُمان، وكإشارة إلى حقائقه. فإن أمم عُمان الآن، غير أممه في سالف الأزمان، ولا بد من إيضاح ذلك في الجزء الأول، من تاريخ عُمان. فإن بعُمان في العهد الأول أمماً باد أسمها ومعناها. ثم جاءت أمم أخرى كذلك فذهبت. ثم أخرى فأخرى.

حتى في هذا العهد القريب، نزلت عُمان أمم من مختلف الأمم، جاليات وحاميات وأخرى كذلك يحق لتأريخها الذكر، ومنها الأمة الحيدر بادية، التي أصبحت وإليها زمام التجارة بعُمان، فهي القابضة على الموارد والمصادر. إذ تغلغلت بالعاصمة مسقط، وامتلكت نواصي الأموال في المدينة الكبرى مطرح، واشترك معها في ذلك من الهندوس أفراد، ومن البلوش قليلون.

ويرجع تاريخ العهد الحيدر بادي في عُمان، إلى العهد البرتغالي النبهاني في عُمان، لأن في التاريخ العُماني ما يشير إلى ذلك، وكان الواجب المحتوم، على أن التاريخ إطراء الأمم، في البيئة أو القطر أو الدولة أو... أو..

قال ابن رزيق في سيرته، أي تأريخ عُمان: إن أحمد بن سعيد كان إذا نزل المطرح، أول من يواجهه بنو حسن، ثم الحيدربادية، ثم بقايا الناس.

وهذا يدل على وجود الحيدر بادية بعُمان إذ ذاك. ولا شك أن وجودهم بعُمان، يقتضي السبق على عهد أحمد بن سعيد. وأحمد المذكور قام على رأس الستين ومائة وألف للهجرة، أي بعد تقلص ظل دولة اليعاربة، على رأس الخمسين ومائة وألف. وكان قيامهم بأمر عُمان أول القرن الحادي عشر هجرياً. فالحيدر بادية قد وجدوا ذلك العهد، حتى كان لهم خصيص وقت لمقابلة السيد الهمام أحمد الإمام في مطرح، كما ذكر ابن رزيق.

وعلى كل حال، إن الامة إذا وجدت من السلطان عواطف جميلة، ورعاية حسنة، تنام عليها وتستنيم إليها.

وبذلك استوطنت عُمان أمم أجنبية، ومنهم أولاد ابن عيسى، أهل أزبق. وكانوا تجاراً أغنياء. كانت ملاحظات السلطان طائفة على حركاتهم وسكناتهم. وفي ذلك العهد صاهرهم الأمير محمد بن ناصر الجبري.

وكذلك القواسم أهل الجصة. وجدوا من سلطان مسقط حفاوة وإكراماً، فعاشوا في ظله آمنين مطمئنين إلى أن انتهى دورهم.

وكذلك يوسف بن أحمد، المعروف بالزاواوي، لم يكن من أهل الوطن العُماني، ولكنه لما جاء ووجد من السلطان الإكرام والاحتفال، ولقبه بالسيد يوسف، نشط لأن يعيش في مسقط، عيشة حرة آمنة مطمئنة.

وهذه أحوال عُمان في حق الوافد، قد تنسيه وطنه وأهله، وكثير من هذا النوع.

وإنا لنرجو أن ينشط هذا الدور المقبل، خصوصاً بإخواننا العرب خاصة. وإلى ما يشير الحديث إليه سيأتي إن شاء الله.

وجود الحيدر بادية بعُمان

قد أشرنا إلى تاريخ وجود هذا الجيل بعُمان، بما في تاريخ ابن رزيق الشاعر العُماني. ومن الممكن تحقيقه إن شاء الله في أول الجزء الأول، عند الكلام على تحقيق أمم عُمان، العرب وغيرهم.

ومن الممكن أن يكونوا جاءوا عُمان، أيام أرهاط فارس بعُمان، أو في دولة اليعاربة، التي سحبت أمماً من الهند، كأعوان وكأسارى، وكأصحاب أعمال، من صناع وغيرهم، فاستوطنوا عُمان إذ وجدوا فيها بغيتهم، من يسر العيش، واطمئنان النفوس، وحسن العواطف، من الإمارة العُمانية سواء كانت إمامة أو سلطنة، فأدنتهم منها لمصالحها أيضاً، وللروابط بين القطرين.

وأفاد بعضهم: بأنهم عاشوا في الهند على ضنك من العيش، وثقل من الحياة، فلما جاءوا عُمان وجدوا فيها أنشودتهم، وتهافتوا عليها منذ ذلك العهد، زرافات ووحدانا، حتى أعطتهم حكومة عُمان امتيازاً خاصاً.

فهذا سورهم إلى الآن لا يدخله غيرهم، مهما كان من الحال. في أشياء أخر، هي من حقائق التاريخ.

وكان لسورهم المذكور قلاع أربع، من جهاته الأربع، في كل جهة قلعة حصينة. بقيت هذه القلاع إلى هذا العهد، إذ كان لعُمان غزوات وغزاة، في مختلف الأوقات، ومن مختلف الأمم.

وكان الحيدر بادية غير متأثرين من الغزاة، ولا هم يتدخلون على أحوال الغزاة، ولا يشاركون في مطلق السياسات مهما كانت، وبذلك أصبحوا في التاج العُماني نقطة لها وبوص. ولا يخفى أن عُمان تحترم الأمم التي تفيض على عُمان، مهما كانت صبغتها، وكان هؤلاء الحيدربادية، مدداً

لعُمان التجارية. وهم والبانيان معاً، أمم هندية. وكان الحيدر بادية من نواح شتى من الهند. كما أن البانيان كذلك.

ولله في بريته وانتشارها في هذه البسيطة حكمة بالغة. فإن الهند مادة الدنيا، وأصل حياتها، ولا تزال منبع الخيرات، ومعدن البركات، والأرزاق بها لا تخفى، وإذا بأممها تعيش في هذه الأقطار، الضيّقة العيش، الشديدة في مساعيها كلها. سبحان من له في كل شيء آية، وله في كل قطر معتبر.

ولا شك أن وجودهم بعُمان في الساحل، لا في الداخل، منذ تاريخهم إلى الآن، وذلك للاتصال التجاري.

نسبتهم الجنسية

أما نسبتهم: فيعرفون بالحيدر بادية، نسبة إلى «حيدر أباد» من الهند. ويقال لهم: اللواتيا (بفتح اللام، وفتح الواو، بعدها ألف، فتاء مكسورة، فياء مفتوحة، بعدها ألف).

لا أدري ما معنى هذا اللقب، مع أن لوتيا فيما يقول المؤرخون: اسم للثور الواقع على الصخرة، التي هي المركز الأول لهذا العالم.

ويقول بعضهم: نحن من لوي. أي عرب. أخبرني جعفر بن الحاج باقر بن عبد اللطيف، في يوم ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٨٥، بمقامه الخاص بمطرح، ينقله عن جده عبد اللطيف بن فاضل، يقول: إننا نحن معاشر الجماعة الحيدر بادية عرب من لوي، وهاجرنا إلى الهند، في القرون الوسطى تقريباً، وكنا بها آغا خانية.

ثم جئنا إلى عُمان، وكان مسجدنا هذا الجامع، الكائن على الساحل، معبداً للآغا خانية. وبعد ذلك صرنا سنية. ثم صرنا شيعة من عهد قريب، على التحري ما أكثر من خمسين سنة.

وأول داع لنا إلى الشيعة، الشيخ علي بن محمد البحراني. ومنذ ذلك صرنا شيعة. هذا ما كان من أمرنا في الديانة. أما في وجودنا بعُمان، فمنذ أكثر من ثلاثمائة سنة، أي على رأس الألف.

قال جعفر المذكور، قال أبونا الحاج باقر بن عبد اللطيف بن فاضل: بعضنا من الهند من حيدر أباد، وبعضنا من الكتش. انتهى بنص حروفه.

قلت: إن وجود الآغاخانية فيهم إلى هذا العهد الذي نحن فيه. وفي هذه الأيام قام الآغاخانية يرحلون من عُمان متخوفين، لأنهم يتحينون حرباً في هذه البلاد، في تخمينهم.

وكانت أسماء الحيدر بادية، أيام كانوا على المذهب السني، خلاف ما هي عليه الآن، لما صاروا شيعة. فكانت أسماؤهم أسماء عربية عُمانية، كخلفان وناصر ومسعود ومحمد وعبدالله. ثم صارت في هذا العهد الجديد، عبد الحسين وعبد الحسن وغلام حسين وغلام علي، وهكذا. سبحان من له في كل شيء أمر لا يزال دليلاً على سلطانه العظيم.

عددهم الحالي بعُمان

اعلم أن أكثرية أهالي مطرح - وهي المدينة الكبرى في ساحل عُمان - هم الحيدر بادية، ويليهم البلوش، فالبانيان، فالعرب.

ولهم في الساحل العُماني اتصالات بأحيائهم، إلى الشارقة فدبي. ولهم أموال وتجارات يديرونها، حاضرة وغائبة.

فهم من ناحية جلب المصالح التجارية لعُمان مجدون، ولهم فيها حركة مهمة، وأعمالهم ناشطة.

وهم بطبيعة الحال محبون للحكومة، لأنهم يجدون عندها آمالهم، في المصالح التي هم بصددها.

المحتويات